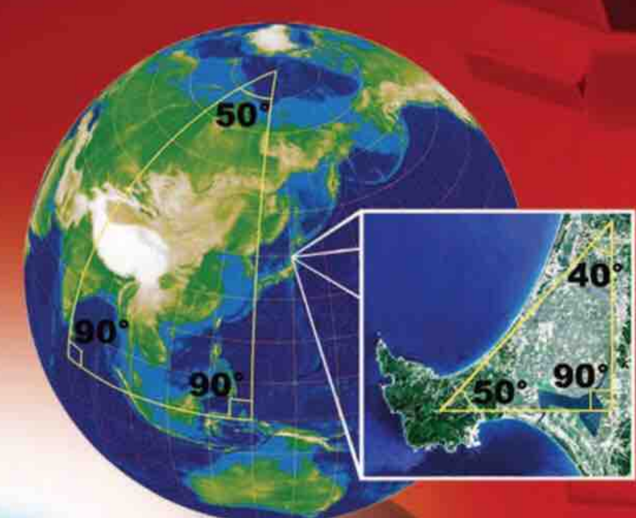
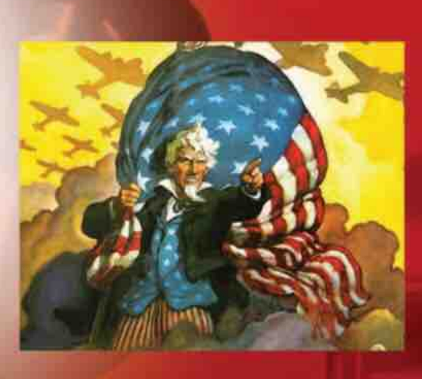
أ. د. نيكولاي ستاريكوف

الأزمة $: كيف تفتعل










الأزمـة $:

كيف تُفتَعل

Николай Стариков

Кризи$:
КАК ЭТО ДЕЛАЕТСЯ

أ. د. نيكولاي ستاريكوف

الأزمة $:

كيف تُفتَعل

ترجمة

د. سعيد الباكير

♦ الأزمة $ كيف تفتعل.

• تأليف: أ. د. نيكولاي ستاريكوف.

• ترجمة: د. سعيد الباكير.

• الطبعة الأولى: 2015.

• عدد النسخ: 1000 نسخة.

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار علاء الدين
للنشر والطباعة والتوزيع
سوريا ـ دمشق ـ جرمانا
هاتف: 00963 11 5617071
فاكس: 00963 11 5613241
ص. ب: 30598
daraladdinsyria@gmail.com

دار مؤسسة رسلان
للطباعة والنشر والتوزيع
سوريا ـ دمشق ـ جرمانا
هاتف: 00963 11 5627060
00963 11 5637060
فاكس: 00963 11 5632860
ص. ب: 259 جرمانا
darrislansyria@gmail.com

وفـــاءً لذكرى

السيدة زويـــا ميخائيلينكو

لدورها الكبير في مسيرة دار علاء الدين

الفصل الأول

ما هي الأزمة؟

أن تجـري أحـداث كهــذه دون أن نلاحظهــــا

أمر بعيد الاحتمال، بل بعيد الاحتمال جداً [1].

تشيرنو يردين ث. س

لو أجرينا مسابقة لأكثر الكلمات شيوعاً في العـالم لفـازت كلمـة أزمـة بـالمركز الأول دون منازع ولن نجد في تحديد تلك الكلمة أي صعوبة. ولن يحتاج تحديدها إجـراء أيـة اسـتطلاعات للرأي ولن يكون ذلك الموضوع ذا طابع من الإثارة. فالكل مـن كـل المسـتويات يتنـاولون كلمـة أزمة بالنقد والتحليل ويلقون اللوم عليها في كل الآثام القاتلة ويصلّون للتخلص منها ويلعنونهـا. فالأزمة أمر مخيف للجميع ولكلمة "أزمة" جاذبية كبيرة.

لقد ارتبطـت الأزمـات في التـاريخ الإنسـاني بـالكوارث والأحـداث الكـبرى وسـواء كانـت طبيعية أو من صنع البشر كالحروب والاجتياحات. مما يؤدي إلى تدهور حاد في مستوى الحياة.

لكن الأزمات لا تحدث دون أسباب "وباء، مجاعة" فمثلاً كانت رومـا تعـاني مـن مجاعـة إذا تأخرت القوافل التي تحمل القمح من مصر، كما كانت تبدأ الاضطرابات في العصر البيزنطـي التالي بسبب نقص الأغذية حيث كانت هجمات البرابرة تقطع طرقات الإمداد.

كثـيراً ماكانـت أزمـة الحكـم تـفضي إلى بدايـة الحـرب الأهليـة. التـي بـدورها تستنفد قوى وإمكانات البلاد وتـؤدي إلى اسـتفحال الأزمـة لتشـمل مختلـف نـواحي

---

[1] ازفيستبا، 10 أيلول 2008.

الاقتصاد. ولكن تأتي بعد ذلك مرحلة تنتهي الحرب وتنتهي معها الفوضى. يتعافى الاقتصاد وتتحسن معيشة الناس تدريجياً. ويستمر الحال هكذا حتى الاجتياح التالي أو الوباء التالي أو المرحلة التالية من الصراع على السلطة.

لم تحدث في التاريخ أبداً أزمة دون أسباب واقعية واضحة. كما أنه لم يحدث أن كان الخبز متوفراً وغالبية الناس تعمل في أماكنها - وهناك أزمة على الأبواب.

ما الذي حدث في هذه الأيام لماذا يتداعى الاقتصاد على كامل مساحة العالم وليس في بلادنا وحدها؟ فلا تنتشر في العالم أوبئة. ولا توجد هجمات من كواكب أخرى سوى في ستوديوهات هوليود. لم تكف الأبقار عن إعطاء الحليب. وما زالت الحقول تجود بمحاصيل وفيرة؛ وما زالت الشركات تضخ النفط والغاز بوفرة في روسيا والسعودية والنرويج وقطر. حتى فرق الروك والمغنيين من كل الأصناف ما زالوا يصدحون للترويح عن البشر. في الظاهر لم يتغير شيء ولكن لدينا أزمة. كل شيء كما كان في الأمس تماماً، رغم ذلك يستعد الناس للأسوأ. فما الذي جرى؟

ليست تلك مسألة سهلة، علينا أن نتبين أصل الأزمة الحالية، ونفهم من المستفيد من هذه الأزمة ولماذا، عندئذٍ يصبح واضحاً كيف نعالجها. كما يمكننا عندئذٍ تقييم أعمال قادتنا من موقع العارف. هل يقوم بوتين ومدفيديف بالخطوات الصحيحة أم يحكمان على اقتصادنا بالإعدام على حد تعبير الصحفيين الليبراليين. لابد لنا من أن نتفحص بعناية أقوال السياسيين وليس فقط أفعالهم.

لقد انتشرت في الأشهر القليلة الماضية من الأزمة في الخطاب الروسي بكثرة كلمات لم تكن تستخدم من قبل. والأصح هذه الكلمات كانت موجودة في السابق ولكنها كانت حكراً على دائرة ضيقة من الاختصاصيين. أما الجمهور الواسع فلم يكن على دراية بهذه المصطلحات.

أكثر التعابير شيوعاً بالطبع- هو تعبير "أزمة" كما رأينا. في الدرجة الثانية يأتي مصطلح "نقص السيولة" لا يبدو لنا واضحاً للوهلة الأولى معنى ذلك،فما تلك السيولة التي أصبحت فجأة غير كافية؟ طالما نتحدث عن الأزمة الاقتصادية فلا بد أن الأمر مرتبط بالاقتصاد المعاصر. لسبب ما نستخدم في الاقتصاد كلمات لا يفهمها الإنسان العادي عملياً. و"نقص السيولة" من هذه التعابير.

والمقصود بهذا التعبير الشبيه ظاهراً بالتعابير العلمية، حالة بسيطة جداً عانى منها كل فرد ولو مرة واحدة في حياته - وهي نقص النقود (السيولة) هذا التعبير مفهوم لأي شخص- لا يوجد نقود، فلماذا يطلقون هذه الأسماء المعقدة على مثل تلك الأمور البسيطة؟

"يعترف البنك المركزي لروسيا الاتحادية بنقص السيولة في السوق" -صرح مدير البنك المركزي سيرغي إيغناتيف.

"نقص السيولة في البنوك - مشكلة مفتاحية للأزمة في روسيا".

"تعالج البنوك الروسية نقص السيولة على حساب المودعين" - تُعنون الصحف مقالاتها الهامة.

تستخدم المصطلحات المبهمة لإخفاء حقيقة الأحداث الجارية، لكي لا تطرح الجماهير أسئلة تصعب الإجابة عليها. تخيلوا مدير البنك الرئيس في البلاد يقول: "لا يوجد نقود في سوق المال في بلدنا". والجرائد تُعنون بالأحرف الكبيرة: "نقص النقود في البنوك - مشكلة مفتاحية للأزمة في روسيا". عندئذٍ سوف يطرح أي شخص أسئلة واعية.

-أين اختفت النقود؟

-أين اختفت تلك السيولة؟

-لماذا أصبحت النقود غير كافية فجأة في كل البنوك تقريباً؟

سيكون هذا غريباً كما في حالة "نقص سيولة البطاطا". ولكن في حالة البطاطا سوف تظهر التبريرات بسرعة بأسبابها المتعددة: الطقس لم يكن جيداً هذا العام. مشكلة في الإنبات، مشكلة الحشرات وما إلى ذلك. ولكن كيف هو الحال مع النقود؟ فقد كانت متوفرة من عام أو نصف عام. وفجأة اختفت،كيف اختفت "السيولة" في روسيا؟

ينبري الليبراليون عندنا للإجابة. القيادة الروسية هي المذنبة في كل ذلك. الخمول لسنوات طويلة، انعدام الرقابة اللازمة. الاعتماد على النفط وحده. قد يكون ذلك مقنعاً بدرجة كافية. ولكن نقص السيولة يشمل كل دول العالم وليس روسيا وحدها.

"أزمة سيولة في العالم كله": "أزمة السيولة في الولايات المتحدة". "مشاكل أسواق المال في الولايات المتحدة سببت أزمة سيولة عالية" - هذه العناوين موجودة بالمئات أو بالآلاف في الإنترنت.

لا يمكن لدولة واحدة مهما كانت فاشلة ومستهترة أن تسبب أزمة عالية. لابد لنا من استيضاح أسباب الأزمة الراهنة وإلا فسوف نقع ضحية الخداع مرة تلو المرة.

ماذا نعرف عن الأزمة الراهنة؟

-اختفت النقود (السيولة) في كل العالم.

-لم تبدأ الأزمة في روسيا "ذات النظام الشمولي"، وإنما في أمريكا "ذات الديمقراطية الكاملة".

من الولايات المتحدة تحديداً بدأت الأزمة بالانتشار في العالم كالتسونامي طالت الأزمة حتى روسيا. لم تولد الأزمة في أرضنا. أي أننا يجب أن نلوم البيت الأبيض وليس الكرملين. ولكننا نعيش في روسيا وما شأن أمريكا بنا يجب أن نلوم السلطات الروسية وليس الأمريكية...

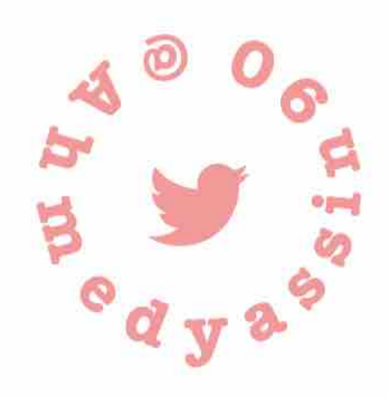
كثرت التفاسير والشروحات المنطقية المتناسقة لما يجري خلال الأشهر الستة الماضية. لن نبحث فيها كلها، وسنكتفي بأكثرها طرافة. إنها أزمة الثقة هي المسؤولة عن كل ذلك. حيث يقال: "حدث نقص السيولة نتيجة فقدان الثقة فيما بين المؤسسات المالية". يقول الأذكياء أن أزمة الثقة بين البنوك والشركات، والأقل ذكاء - يوسعون المفهوم. فيزعمون أن السكان ورجال الأعمال لا يثقون بالسلطة الروسية. ومن هنا تأتي المشاكل. وحالما تنتخب حكومة شعبية حقاً، ومسؤولة أمام الشعب تتلاشى الأزمة بسرعة[1].

---

[1] بهذه المناسبة نشير إلى أن المطالبة بـ "حكومة مسؤولة" جرت منذ أيام القيصر نيكولاي رومانوف. وتحققت المطالب هذه الحكومة دخلت في تاريخ روسيا باسم الحكومة المؤقتة ولما كان قصب السبق في الإنجاز حيث تمكن كيريفسكي وحكومته من تقويض الإمبراطورية الضخمة خلال 242 يوماً (8 أشهر). المكانة الثانية في سجل المصائب هذا يشغله بحق م. س غورباتشيف فقد استغرق لتحقيق نتيجة مشابهة أكثر من 2400 يوم. راجع كتابنا عن نشاط الحكومة (المسؤولة) في 1917: ستاريكوف لغز الثورة "الروسية".

لا جدل أن الثقة مهمة جداً في القضايا المالية. بدون الثقة لا قروض، ولا تأجيل ولا فوائد مميزة. إلا أن هنالك ما تفوق أهميته أهمية الثقة في القضايا النقدية. وهو النقـود ذاتهـا. فـإذا فقدت النقود لا يمكن إقراض أحد مهما كانت الثقة كبيرة ومهما كان الحب والتعاطف كبـيرين. تماماً كوجود البنزين في خزان وقود السيارة هو الشرط الأهم لكي تسير السـيارة. أمـا إذا لم تكـن لديك سيارة أصلاً فـلا معنـى لكميـة الوقـود التـي تحضرهـا لـن تـذهب إلى أي مكـان، دون أن تشتري وسيلة النقل. عندما تفقد النقود تفقد السيولة، لا يتمكن الاقتصاد من العمل. سيسـتمر الجدل طويلاً دون طائل ما لم نستوضح أمراً واحداً. إذا حدثت أزمة نقص البطاطس، فعلينـا أن نبحث عن أسباب عدم وفرة المحصول في الحقـول الواسـعة ونتبـين مـا هـي الآفـة- طبيعيـة أم اصطناعية- التي سببت فقدان المحصول. كذلك الحال مع النقود فإذا أردنا أن نستوضح أسـباب فقدان النقود في كل الأماكن. علينا أن نتوجه إلى المكـان الـذي تـرى النقـود النـور فيـه. وفقـط عندئذٍ يصبح سبب الأزمة الاقتصادية الراهنة واضحاً تماماً.

إذن أين هـي "الحقـول" التـي "تـزرع" فيهـا النقـود المعـاصرة لزمننـا؟ لا شـك- أنهـا في الولايات المتحدة الأمريكية.


@Ahmedyassin90

الفصل الثاني

ما هي الأسهم، سوق المال والبنوك

أهلاً بكم في مملكة اللامعقول

من لا يفكر في المصاعب البعيدة

يقع في المشاكل الغريبة.

كونفوشيوس

النقود كروث الحيوان لا يستفاد

منها إلا إذا نثرت وتبعثرت.

فرنسيس بيكون

كلنا يعرف خاصة النقود في كونها تختفي بسرعة وسهولة، كالرمل من بين الأصابع، كالماء من المنخل - يمكننا وضع الكثير من التشابيه الجميلة لعملية انتقال النقود المبتذلة من جيب لآخر. لندع الشعراء والكتّاب يهتمون بذلك ما يعنينا مختلف تماماً: أسباب وجود أو غياب الأموال في الاقتصاد. لا ينكر أحد أن النقود تحديداً هي سبب المشاكل العالمية الحالية. وهذا ما يصرحون به: الأزمة المالية العالمية بهذه الجملة ينتهي أي كلام صادق عن الحقيقة. لأن الحديث يجري بعد ذلك عن أسباب الأزمة.

إذا نظرنا إلى شاشات التلفزة يتكون لدينا انطباع أن العالم فقد عقله دفعة واحدة. منذ سنة واحدة كان كل شيء جيداً، هب أنه ليس جيداً جداً، ولكن ليس سيئاً. وفجأة كالثلج على الرؤوس تهبط الأزمة، تراجع كل المؤشرات، الإفلاسات. يقلق الناس، يريدون أن يفهموا الأسباب. وحالاً يصدر التفسير- أزمة الضمان في الولايات المتحدة هي التي سببت الأزمة المالية.

ما هو الضمان؟ هو إمكانية شراء منزل بواسطة قرض، يدفع البنك ثمنه ويتكفل ساكن المنزل بتسديد المبلغ مع فوائده المترتبة تقسيطاً خلال عشر سنين

أو خمس وعشرين سنة وربما أكثر. في الغرب انتشرت على نطاق واسع القروض ذات الضمانات منذ زمن بعيد. في الولايات المتحدة كانت القروض على أشدها منذ محاولات بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي. واللافت أنه لم تحدث أبداً هناك أزمة ضمان كالتي تحدث الآن. يزعم المحللون أن عدداً ضخماً من الأمريكيين فجأة لم يتمكنوا من الوفاء بالتزاماتهم المالية للبنوك. بعد ذلك استولت البنوك على المنازل وعرضتها للبيع. ولكن لا يعلم أحد لماذا حدث ذلك دفعة واحدة. أي أن المنازل عرضت للبيع ولكن لم يكن أحد تقريباً يشتريها. وهذا أدى إلى قضيتين اثنتين. أولاً - هبوط أسعار العقارات، وثانياً - أصبحت وكالات الضمان مدينة وأفلست لاحقاً لعدم تمكنها من بيع ممتلكات المدنيين.

لماذا فقد الأمريكيون إمكانية التسديد وبأعداد كبيرة؟ هل فقدوا وظائفهم في ظروف تفشي البطالة؟ هل فقدوا نقودهم في البنوك المفلسة؟ كلا. فكل هذه الظواهر السلبية- ازدياد البطالة وانخفاض الأرباح وموجة الإفلاس - ليست سبباً للأزمة وإنما هي نتيجة لها! أما الأسباب كما يؤكدون لنا فهي تكمن في أزمة الضمان، أو بتعبير أبسط عدم وفاء المقترضين بالتزاماتهم وبأعداد كبيرة.

كل ذلك نتائج وليس أسباباً للأزمة المستشرية، ويشرحون لنا كل شيء بالعكس - يجعلون النتائج مكان الأسباب.

في البداية لا بد من صعوبات في الاقتصاد تؤدي إلى انخفاض الدخل. فقط عندئذٍ تضطرب الضمانات. لا يمكن أن تكون الأمور على ما يرام حيث لا تتزايد البطالة ولا تفلس أية بنوك وتهوي الضمانات كما حدث.

لا يمكن أن تحدث النتائج قبل الأسباب. أي أن الأسباب الحقيقية لأزمة الضمان ليست في انخفاض مستوى المعيشة لدى الأمريكيين الذين عجزوا عن تسديد أقساط منازلهم.

أطرف ما في الأمر أن وسائل الإعلام هي التي تسمي هذا السبب. وتستمر في التكرار بحيث نكف عن التفكير في أنها بعيدة كل البعد عن الحقيقة، وتنص إحدى المقالات على الإنترنت على ما يلي: "يرى الخبراء أن منح كمية كبيرة من القروض بدون أية كفالات أثر إلى درجة كبيرة في ظهور الأزمة في قطاع الإقراض

السكني". ولا تختلف كثيراً عن ذلك آراء الصحف والمجلات. تتكرر الفكرة في كل مكان: أن المقرضين منحوا قروضاً لمقترضين لم يتمكنوا الآن من تسديد أقساط هذه القروض.

ولكن كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ إن البنك الذي يقرض أياً كان لن يصمد طويلاً بالتأكيد. سوف يفلس لا محالة. كذلك الحال بالنسبة لوكالة الضمان التي تمنح قرضاً لشراء منزل كيفما اتفق. يريدون أن نصدق أن الممولين وأصحاب البنوك أصبحوا يوزعون أموالهم بكميات ضخمة دون التدقيق بتفاصيل فائقة الأهمية. مثل دخل المقترض وهل لديه أملاك أخرى يمكن أن تشكل رهناً (كفالة) وبكلمات أخرى تصرفوا كامرأة مستهترة وليس كحيتان رأس المال الخبيرة.

أكثر ما يضحك، أن هذا كله - حقيقة خالصة!

لقد قامت البنوك الأمريكية طيبة الذكر بما يتلقى من أجله الزوج أو الزوجة صفعات اللوم والاستنكار إذ أعطت القروض في كل مكان وعلى نطاق واسع. فالنقود تجنى بصعوبة بالعرق والدم - هذه حقيقة يلقنها الأهل لكل طفل. يجب التعامل مع النقود بحرص. لا يمكن إعطاء النقود لكل راغب وخطورة فقدانها دون رجعة ماثلة. كل شخص أقرض ولو مرة في حياته نقوداً، وكلما كبر المبلغ انخفضت الرغبة في إعطائه وازدادت المخاوف بصدده، فالشخص العاقل لا يقرض مبلغاً كبيراً إلا لمن يعرفه جيداً. بل جيداً جداً. لا يقرض أحد جاره أو حتى زميله في العمل إذا كان لديه أدنى شك في استعادة المبلغ، هذا هو الصواب وهذه هي الحكمة في التفكير.

في الولايات المتحدة على العكس. كما في قضية "السيولة". اخترعوا مصطلحات جميلة لتمويه أعمال الممولين الغريبة التي من شأنها أن تثير أسئلة لا لزوم لها. بهذه الكلمات أخفوا عن المراقب أموراً لا تصدق.

يبدو أنه في أمريكا يمكن أن يحصل على قرض لشراء منزل أشخاص لا يجوز أبداً أن يحصلوا عليها وفق المنطق السليم. يسهل أن نضرب مثلاً على مقترض من هذا النوع؛ عاطل عن العمل بلغ 70 سنة ليس لديه ملكية ولديه مشاكل في

الصحة. يأخذ قرضاً يسدد على أقساط على مدى 25 عاماً. بالطبع هـذا مثـال مبـالغ فيـه ولكـن ليس كثيراً. منح قرض كهذا يخالف معايير قروض السكن التي وضعتها البنـوك الأمريكيـة ذاتهـا. أي أن شخصاً سـليم التفكـير لا يعطـي لـذلك الشـخص دولاراً واحـداً. أمـا البنـك فيعتـذر لهـذا الشخص بلطف عن طريق رئيسه وخدمة الأمن فيـه. هـذا مـا كـان سـابقاً في أمريكـا. حتـى أن سبب الرفض لم يكن السن فقط. بل أخذ في الحسـبان وقـائع ليسـت قليلـة الشـأن: هـل جـرى تأجيل دفع الأقساط في الماضي القريب، هل صدرت أحكام قضائية بشأن قرض ما، هل صـودرت له ملكية مرهونة لقرض. هل أعلن إفلاسه يوماً كان كل ذلـك يجـري تقييمـه وببسـاطة يـرفض إعطاء القرض لأشخاص مشكوك فيهم.

وفجأة - لم يعودوا يرفضون. دون أية تفسيرات واضحة صارت البنوك تمـنح قروضـاً لكـل الراغبين! وبمبالغ كبيرة- إننا نتحدث عن شراء العقارات. بالنسبة لمقترضين على غرار المثال الوارد آنفـاً الكهـل المـريض أوجـدوا مصـطلحاً خاصـاً - سـوق الإقـراض غـير النمـوذجي (Subprime Market). ثـم نسـيان كـل الأسـباب التـي كـان يـرفض مـنح القـروض لأجلهـا للمقترضـين غـير النموذجيين. غضوا النظر عن حقيقـة لا جـدال فيهـا وهـي أن القـروض غـير المضـمونة تشـكل مجازفة بالنسبة للمانح، وأن توزيع مبالغ كبيرة كيفما اتفق يؤدي بسهولة إلى إفلاس المانح.

انطلقت دوامة غريبة في سوق الإقراض السـكني الأمـريكي بـدءاً مـن عـام 2001، وبلـغ حجم القروض غير المضـمونة 6% مـن إجـمالي القـروض في عـام 2002. أمـا في 2006 - 20%[1]. وبلغ حجم ما يسمى القروض البديلة 20%. هذا عندما يكون للمقترض سجل جيد في السـداد - يسدد دائماً ما يأخذ من قروض من البنك- ولكنـه لا يسـتطيع الآن أن يضـمن دخلـه. المجمـوع مذهل: 40% أي أن ما يقارب نصف القروض الممنوحة "على كف عفريت"!

أما بقية القروض فكانت أفضل حالاً بقليل. اخترعت البنوك الأمريكية سـبلاً شتى لكي يعطوا النقود لمن يشـاء! عرضـت بعـض البنـوك قروضـاً بفوائـد متغـيرة

---

[1] غرينسبين، عصر الاضطرابات.

يجري تدقيقها كل عام بدءاً من العام الثالث. في البداية كانت الفائدة قليلة بشكل مضحك. وروجت بنوك أخرى لقروض يجري سداد الأقساط الأولى منها بعد مدة من الزمن.

لا حاجة لدفعة نقدية لشراء منزل جديد، لا حاجة لرهن ممتلكات، قدموا شروطاً أغرت حتى الذين لم يفكروا يوماً بشراء منزل لعدم قدرتهم بتغيير آرائهم. أخذ كل الناس يقترضون لتحسين ظروف سكنهم. كنتيجة لذلك ارتفعت أسعار العقارات بسرعة في 2001-2005. في هذه الفترة ازداد حجم بناء المنازل بمقدار الضعف (مقارنة مع الفترة 1990-1995) ازداد الطلب على مواد البناء، وعلى المفروشات ظهرت إمكانية جديدة لجني النقود من لا شيء عند المراوغين الأمريكان. الخطة بسيطة جداً. يأخذ قرضاً لشراء منزل قيمته 100 دولار مثلاً حيث يمكنه الانتظار لسنتين حتى يبدأ بسداد القرض ومن ثم يأخذ قرضاً جديداً. إلا أن ثمن البيت أصبح بسبب الارتفاع المستمر بأسعار العقارات أصبح 200 دولار. بعد أن يدفع القرض القديم بنسبة فائدة بسيطة يربح 100 دولار تقريباً دون جهد. لا بأس بذلك. عندما فهموا الموضوع كثيرون أصبحوا يأخذون قروضاً لأجل الربح فقط. مما أدى إلى ارتفاع أكبر في أسعار العقارات. بدأ سوق العقارات ينمو بوتائر مسعورة (عشرات بالمئة في العام).

بنتيجة هذه الحملة من الإقراض غير النموذجي (المضمون) أصبح كثيرون يستعملونها بهدف الاستثمار.. أي أن القروض الممنوحة، الاتفاقات مع المقترضين، والفائدة في المستقبل صارت البنوك ووكالات الضمان تبيعها للمساهمين. ببساطة أكثر - يبيعها بعضهم البعض. ازدهر مسرح العبث اللامعقول بكامل برنامجه.

البشر الذين لا يملكون نقوداً أخذوا قروضاً منحتهم إياها منظمات لا تملك نقوداً. وهي ذاتها تسعى لاستدانة الأموال لكي توزعها على كل راغب!

أعداد كبيرة من العاملين بمؤسسات مختلفة تقاسموا بكل حماس فيما بينهم جلد دب لم يقتل بعد. دون أن يكلفوا أنفسهم عناء التفكير في أن هذا الدب لا وجود له في الطبيعة. دين يولد ديناً آخر كانت الديون تشمل كل حياة الأفراد. ومن ناحية أخرى رأوا أن السندات المالية مربحة تماماً. حيث أن تجارة الديون وضعت

على قاعدة صناعية بكل معنى الكلمة. إذ يجري بيع سندات الضمان والقروض وفق المخطط التالي: حددت وكالات التصنيف درجة خطورة فقدان القرض (عدم استرجاعه) وأعطيت السندات المالية اعتماداً على هذا التقييم درجة (الجدة) النوع الممتاز والنوع الأول كانا يباعان بسعر أعلى ويجدان مشترين بسرعة. إلا أن النوع الثاني أيضاً غير الطازج نسبياً. لم يكسد أيضاً سعر هذه "الرزمة" من اتفاقات قرض السكن ذات المجازفة الكبيرة تنخفض وكانت تجد من يشتريها. الجميع سعداء بالنتيجة أزاح البنك عن نفسه الاتفاقات مع الأفراد وتلقى مقابلها نقوداً من المساهمين المودعين، وأمكنه أن يبدأ الدورة من جديد. المساهمون أودعوا أموالهم وينتظرون الربح. أما الزبائن... غير المضمونين يمكنهم الاقتراض من جديد. الطريف في هذا الوضع هو أن المساهمين أي المراوغين بتعبير أبسط بعد شراء سندات القروض "من الدرجة الثانية" يصنفونها مرة أخرى "على أساس علمي" أي بواسطة وكالات التصنيف ويقسمونها إلى أنواع. ولكن ما يسمى الآن "النوع الأول" (التصنيف الائتماني) هو الأفضل من بين الرديء وليس الأفضل من بين الجيد.

استمر الحال على هذا المنوال 6-7 سنوات نما الاقتصاد الأمريكي، ازداد الناتج القوي وكان الجميع مسرورين. اشترك بذلك عدد كبير من الناس وحققوا أرباحاً كبيرة دون أن ينتجوا أي شيء. استند هذا الهرم من الديون بكامله فقط على استمرار ارتفاع أسعار العقارات، الذي أتاح إمكانية جذب لاعبين جدد مع احتياطات مالية جديدة إلى سوق الضمان.

البنوك مؤسسات كبيرة ومحترمة ولها تاريخ يمتد سنيناً طويلة وأحياناً قروناً. وقد أخذت تشارك في لعبة القمار. وتسمى هذه اللعبة "أعط أكثر ما تستطيع من النقود لأي راغب". بنتيجة ذلك امتلأت صناديق البريد في أمريكا ولكن لم يكن ما فيها نشرات دعاية لأقرب المحال التجارية بل مغلفات سميكة تحوي سندات اتفاق مع مؤسسات بنكية. وفي كل مغلف بطاقة ائتمان لا يلزم لتفعيلها شيء مطلقاً. يكفي ببساطة أن يأخذها المواطن ويدفع بواسطتها عند ذلك يعتبر الاتفاق مع البنك مبرماً. في الواقع أرسلت بالبريد نقود حقيقية إلى كل الاتجاهات دون روية وبمبالغ كبيرة إلى الجميع دون استثناء لم يسبق أن حدث مثل ذلك في تاريخ

البشرية. يقطن أحد معارفي في أمريكا حدثني عن هذه المشكلة غير المسبوقة: قطع بطاقات الائتمان بالمقص لتجنب إمكانية استخدامها من قبل أحد أفراد العائلة. لقد تدحرجت هذه المملكة العبثية إلى روسيا: بدأ أحد بنوكنا الوطنية "المدعومة" بإرسال بطاقات الائتمان بالبريد. إلا أن المقاييس عندنا لا تقارن بما جرى في أمريكا والحمد لله.

النتيجة الطبيعية لهذا النشاط البريدي: أعداد هائلة من العاجزين عن تسديد ما اقترضوه بواسطة هذه البطاقات. حسب معطيات الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي مجموع الديون "البلاستيكية" على الأمريكان بلغ 95 مليار دولار في عام 2008. هذا مبلغ ضخم وسوف يزداد- بسبب ازدياد حجم العجز عن السداد تتزايد نسبة الفائدة لتجاوز صرف الأموال حجم المبلغ الموجود في الحساب، وفي النتيجة يزداد حجم العجز عن التسديد. وفق معطيات وكالة موديس[1] ازدادت نسبة العجز عن تسديد ديون بطاقات الائتمان في الفترة بين آب 2007 حتى آب 2008 من 4.61% إلى 6.82% أي أنها ازدادت بنسبة 48% فإذا ازدادت البطالة سيصبح العجز عن تسديد ديون بطاقات الائتمان بمقاييس تاريخية حقاً.

لم يطلق أحد من المحللين تحذيراً، لم يشرح أحد من الاقتصاديين لأصحاب البنوك خطورة أعمالهم. هل يعقل أنهم مجانين ولا يفهمون حقائق بديهية، بالنسبة لأي شخص ذو تفكير سليم، وأن هذا لا يمكن أن ينتهي إلى خير ببساطة. أيعقل أن رجال البنوك لا يفهمون ما هو واضح للعيان؟ إنهم يفهمون كل شيء، ولكن لديهم طوق نجاة واحد. فكرة واحدة هدأت اضطرابهم العصبي. إذا ما حدث ما هو سيئ - دائماً يمكن الاقتراض من جديد.

لنتذكر فكرة هامة جداً: الشرط الرئيس لهذا المجون في الإقراض السكني وبطاقات الائتمان هو سهولة ورخص الحصول على القروض ليس بالنسبة للأشخاص الأفراد بمقدار ما هو بالنسبة لمؤسسات الإقراض والائتمان ذاتها.

---

[1] هذه الوكالة هي التي تحدد درجة "جدة" سندات الضمان. وهي ومثيلاتها كانت تحدد درجة وثوقية الأسهم. والبنوك ورؤوس الأموال المساهمة وسواها من المؤسسات المالية. أودع كل اللاعبين أموالهم في أوثق الأدوات حسب توصيات المحللين. وأفلسوا.

إذا فهمنا سبب اللامبالاة الطفولية لدى العاملين في الإقراض السكني الأمريكي، يسهل علينا فهم العبث الغريب لدى لاعبي البورصة الأمريكية. لأن السبب ذاته في الحالتين. ولكن لنبحث أولاً ما هو سهم البورصة. إنها ورقة ذات قيمة توثق إيداع الأموال لتطوير جمعية مساهمين أو مصنع ما وتخول مالكها الحصول على جزء من أرباح الجمعية المساهمة (المصنع) على شكل ربح. هذا تعريف ممكن أن تقرؤوه في الكتب المدرسية... وهكذا كان السهم في بداية قيام الرأسمالية. منطق بسيط: نحتاج للأموال من أجل تطوير الأعمال. يقدمها المساهم ويحصل مقابلها على حصة في المصنع تحدد بعدد من الأسهم. الدافع الرئيس لذلك هو الحصول على دخل (ربح) يحصل عليه المالك - الأرباح. في الواقع إن شخصاً ذكياً ومبدعاً أوجد فكرة الأسهم ورأس المال المساهم. وجد بديلاً للتمويل المصرفي. تودع النقود - وتؤمن معيشتك من الأرباح التي كانت في مرحلة التطور الكبير للاقتصاد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أكبر من الفوائد على المبالغ المودعة في البنوك. بالنسبة للمصنع كانت هذه الخطة مربحة: يصدر مالك المصنع أسهماً ويبيعها فيحصل على الأموال اللازمة للتطوير والتوسع، فإذا لم تسر الأمور على ما يرام يمكن اختصار الأرباح، أو حتى عدم دفع أرباح بتاتاً. أما في حالة القرض من البنك يتحتم عليه أن يدفع الفائدة مهما يحصل، لذلك جذب إصدار الأسهم أعداداً متزايدة من الشركات.

أول من اخترع البورصة وافتتحها هم الهولنديون الحاذقون في المسائل التجارية. ظهرت أول بورصة دائمة في 1406 في مدينة بروغي الهولندية بجانب منزل السيد فان دبر بورسا المحترم. رسم على المنزل شعار على هيئة ثلاث محافظ للنقود (جزادين)، وأطلق عليه في اللغة اللاتينية المتأخرة تسمية "Borsa". من هنا انطلقت تسمية المكان الذي "يستبدل" الناس فيه نقودهم على نصيب في مصنع غريب. أول بورصة في روسيا أسسها بطرس الأول في عام 1703 في مدينة بيتربورغ، وهو الذي اعتمد "بشغف" حتى بعض الاختراعات الغربية الضارة مثل تدخين التبغ وليس فقط صناعة السفن والتكنولوجيات العسكرية الفائقة الأهمية. للإنصاف لا بد من الإشارة أن البورصات الأولى لم تكن مالية بحتة بمفهومنا المعاصر، بل أقرب إلى بورصة لبيع

الجملة، وكان الاتجار يجري بأشياء محددة واقعية كالتوابل والخيوط والأقمشة وليس بأوراق مجردة. فقط الدفع لم يكن نقداً بمبالغ صغيرة، بل من خلال وسطاء البورصة بالجملة الكبيرة حسب النماذج (المساطر). كذلك تعتبر بورصة أمستردام التي تأسست عام 1608 أول بورصة للأوراق المالية.

لماذا في هولندا؟ لأنها بعد تحررها من النير الإسباني كانت أهم الدول التجارية. في ذلك الحين هناك تدور النقود الأساسية العالمية. وعموماً حسب مكان سوق المال الأساسية يمكننا أن نحدد في أي لحظة من التاريخ أية دولة تهيمن على الساحة الدولية. تنشب عدة حروب بين هولندا وإنكلترا، وينتزع الإنكليز بعدها قصب السبق من الهولنديين. حتى في يومنا هذا أين توجد البورصات الأساسية في العالم؟ هل في سويسرا الغنية والوادعة؟ هل هي في إسرائيل التي خدعت وأربكت العالم كله. برأي خبراء المؤامرات؟ كلا، إنها في لندن ونيويورك[1]. وفوراً يتضح لنا أن من يهيمن على الساحة العالمية هم ممثلو الدول الأنكلوساكسونية[2] وليس اليهود ولا سكان الألب.

في الأزمنة الغابرة كان المرابون في باريس ولندن يعتاشون من الفوائد- الأرباح من الأسهم التي يملكونها. وكانوا يتوارثونها. امتلاك أسهم في شركة قوية كان يعني العيش المترف مع دخل مضمون. قل لي أيها القارئ العزيز كم مرابياً تعرف ممن يعيشون على أرباح الأسهم؟ أنا شخصياً لا أعرف ولا واحداً. مع أن في دائرة معارفي هناك لاعبون في البورصة. ليست القضية في كون رصيدهم ضئيل ولا تكفي أرباحه لمتطلبات المعيشة. وإنما في تغير حقيقة الأسهم كلياً خلال القرن المنصرم بمعنى أدق استبدال هذه الحقيقة خلسة.

---

[1] تأسست بورصة نيويورك عام 1792، وبورصة لندن في 1801. يبدو أن الإنكليز تأخروا في اعتماد التجربة الرائدة، ليس الأمر كذلك فعام 1801 هو عام التأسيس الرسمي، وقبل ذلك كانت تسمى البورصة الملكية وقد افتتحت في 1570 وفي البداية كانت بورصة "جملة".

[2] نشير إلى أن القياصرة الذين اهتموا بتطور روسيا لم يوافقوا أبداً على "التمويل الأجنبي". الذي يشكل في الواقع سمسرة خالصة دون أية فائدة لاقتصاد الدولة. لذلك تأسس قسم الأوراق المالية في بورصة بيتربورغ فقط في 1900(!). ولم تكن في روسيا قبل الثورة بورصة أوراق مالية عموماً. وهذا ليس دليل على التخلف وإنما هو فكر صائب ببساطة. مخالفة الحكمة من قبل القياصرة الأخيرين، ليس فقط في الأمور المالية، بل وفي اختيار الأولويات لسياستهم قاد روسيا إلى حلف الأنتانت ومن ثم إلى الهلاك.

ماذا يعني ذلك؟ أي شخص يلم بالحساب البسيط يفهم أن مجموع أسهم أي شركة يجب أن يساوي 100%. هذا يعني أن قيمة الشركة الكلية أي قيمة كامل موجوداتها (مصانع، مفروشات، مواد أولية والسلع المنتجة). ويجب أن تكون مساوية لأسهمها. في البداية كان منطق الأسهم هكذا بالذات: عندما يودع دولار في شركة يحصل المودع على الحق بجزء من ممتلكاتها يساوي دولاراً. في حالة الإدارة الرديئة تهبط قيمة موجودات الشركة، بالتالي يصبح الدولار 70 سنتاً فقط. وإذا سارت الأمور بشكل حسن على العكس يصبح 1.5 دولاراً. وقد تمت المحافظة دائماً على قاعدة ثابتة: قيمة الأسهم مرتبطة مباشرة بالاقتصاد على أرض الواقع. والأصح مع الحالة الحقيقية لأعمال كل شركة بعينها. فإذا تطورت الشركة- ازدادت قيمة موجوداتها؛ وازدادت الأرباح التي تدفع لكل سهم- وازدادت قيمة الأسهم ذاتها. والعكس بالعكس.

لقد تغيرت الأمور جذرياً في الوقت الراهن! فلا أحد من لاعبي البورصة يشتري أسهماً ليحصل على جزء من أرباح الشركة. كل عمليات الشراء تحصل من أجل بيعها ثانية وجني الأرباح من ارتفاع قيمة السهم وتسعيرته. قيمة السهم المحددة له (تسعيرته) هي القيمة الأسمية وقد تكون 10 روبلات ولكن قد يتعين شراؤه بـ100 روبل. وسوف تكون الصفقة مربحة إذا كان متوقعاً ارتفاع سعره إلى 110 في اليوم التالي. وهكذا تعمل البورصة، المبدأ بسيط للغاية! اشتر رخيصاً وبع غالياً. وهكذا دواليك مرات كثيرة في العام، في الشهر وحتى في اليوم. يبقى الربح من كل عملية بيع ناجحة. وتحصل الخسائر من العمليات الفاشلة يقول المثل في البورصة لا تجنى النقود وإنها فقط تبدل مالكيها. في هذه العملية المتكررة دون نهاية من "البيع - الشراء" لا مكان لانتظار أرباح الشركات والمعامل. ليست هي عاملاً أساسياً كما كانت سابقاً، بل ثانوي. فإذا كان موعد دفع الأرباح ترتفع قيمة السهم ببساطة بمقدار الربح المتوقع. وإذا مضى الموعد- ينخفض سعر السهم مرة أخرى.

من المهم أن تفهم أن الأرباح التي تدفعها أي شركة ليس لها أي علاقة بسعر سهمها في البورصة! فالأرباح تدفع من الأرباح التي جنتها الشركة نتيجة عملها

وليس من ارتفاع تسعيرة سهمها. المهم اليوم والأساسي- ارتفاع أو هبوط قيمة السهم وليس الربح المتوقع من عمل الشركة. وبما أن الأرباح لم تعد أساسية تصبح مدة بقاء السهم في ملكية شخص واحد أقل وسطياً. في القرن التاسع عشر كانت هذه الفترة تمتد عقوداً في أواسط القرن العشرين- سنوات. في أواخر القرن العشرين- أصبحت شهوراً. واليوم هي أسابيع وحتى أيام. وبعد قليل قد تصبح ساعات أو دقائق.

يقول الناقد: هب أن المنظومة قد تغيرت قليلاً. ولكن المبدأ بقي ذاته. لدى المصنع الناجح ترتفع قيمة السهم، ولدى الفاشل- تهبط! كلا ليس الأمر كذلك فقد تغير المبدأ كما تغيرت المنظومة أي مبدأ تحديد قيمة السهم. فاليوم لا أحد من دهاقنة السوق يقول أن مجموع قيمة أسهم المصنع يساوي قيمة كل فعالياته. لأن سعر السهم يمكن أن يتذبذب بشدة حتى عند عمالقة مثل غازبروم. التي أصدرت كومة من هذه الأوراق المالية. فالتغير الطفيف في سعر السهم يؤدي تغيرات بالملايين وربما بالمليارات للقيمة النهائية للشركة. أما الشركة ذاتها فلم تتغير بأي قدر، يضخ الغاز، والأبراج تنتصب والأنابيب تنقل، تعاني أوروبا من البرد بدون الغاز أي أن سوق التصريف مضمون. رغم ذلك يمكن أن ينخفض سعر سهم غاز بروم وكثيراً جداً ينخفض. ثم يرتفع لينخفض من جديد. وخلال هذه الاضطرابات كلها لا يحصل شيء في الاقتصاد. تتجلى بوضوح عبثية النموذج المعاصر لتجارة الأسهم في أيام الاضطرابات والأزمات. في تلك الأيام تقفز أسعار الأسهم كالأرنب، تنخفض وترتفع في اليوم الواحد بمقدار 10-15%. ومفهوم أن من المستحيل أن تصبح الأمور أسوأ أو أفضل في يوم واحد بهذا القدر في شركات مثل "سيمنس" أو "جنرال إلكتريك".

لكي لا نحبط أو ندهش من هذه الحالة الغريبة، اخترعوا كلمة جميلة- الرسملة. وهي تعني قيمة الشركة على شكل مجموع حسابي لقيمة كل أسهمها. وهكذا يقولون: رسملة غازبروم ارتفعت، رسملة غازبروم انخفضت.

ولكن هذا لا يعني أن شيئاً ما في عمل الشركة قد تغير للأفضل أو للأسوأ. هذا يعني فقط أن مجموع قيمة الأسهم قفز إلى الأعلى أو إلى أسفل. وهذا لا يمت بأي صلة لواقع العمل.

يمكـن أن ترتفـع رسـملة الشركـة أو تـنخفض 30% في يـوم واحـد دون أن يحـدث شيء للمصانع وورشات العمل. لذلك يقول هؤلاء الرجال المهمـون الجـادون عنـدما يقـرؤون مسـألة شراء أي نوع من الأعمال: رسملة الشركة "X" تساوي مبلغاً ما. ولكنها في الواقـع تسـاوي مبلغـاً مختلفاً.

يمكن لهذه الحالة أن تحدث فقط لدى "فك الارتباط" بصورة تامة بين الأسهم وبين عمل المصنع في الواقع. فالسهم أصبح سلعة بذاته ولا يعكس واقع حال العمل إلا بدرجة ضئيلة جداً. لهذا السبب بالذات نشاهد لوحة عبثية حيث ترتفع أسهم بنوك التمويل الأمريكية التي تمتلـك موجودات على هيئة كراسي وكومبيوترات وسـكرتيرات، أمـا أسـهم روسـنيغت أو ليكويـل التـي تستخرج ما يصنع منه كل شيء قد تهبط!

حالة الأسهم في هذه الأيام التي أصـبحت مجـرد أداة للمتـاجرة والمضـاربة في البورصـة- هي عملياً تعكس تماماً لوضع على نفس القدر من الغرابة في الإقراض السكني الأمـريكي. وهـذا هو مسرح العبث الذي أصبح معروفاً لنـا، الـذي يسـمى في العـالم "اقتصـاد السـوق". مـا الـذي تحتاجه للتواجد بنجـاح في البورصـة والضـمان السـكني؟ نحتـاج فقـط لشـيئين اثنـين: اللاعبـين والنقود. حيث لا يمكن للأول أن يوجد بدون الثاني، فالنقود أولاً دائماً. السعي للـربح كـما يقـول الاقتصاديون "البرجوازيون" أو الكسـب غـير المشروع. كـما يقـول الماركسـيون- الخاصـة المميـزة للرأسمالية. كل فلسفة هذا النظام ترتكز على مبدأ: اصنع شيئاً ما، اخترع. انقل وبـع بـأعلى مـن الكلفة فتحصل على الربح. ولكن صنع شيء واقعي أصعب دائماً من عدم صـنع شيء. لـذلك تـم اختراع البورصة. لا نحتاج للإبحار بعيداً إلى بلاد أخرى يمكن أن نحاول زيادة رأس المال لـدينا في المكان. الأسهم - مجرد أداة إضافية للمتاجرة ليس أكثر.

لكنني لم أكتب هذا الكتاب لإدانة "الحقيقة المتوحشة" للرأسـمالية بـل لأمـر مختلف كلياً. إنه عن الأزمة وطريقة ترتيبهـا. لـكي ننهـي موضـوع الأسـهم سـأطرح عليك سؤالاً واحداً. تخيل شخصاً تعرفـه غـير مقـرب كثـيراً منـك جـاء يطلـب منـك نقـوداً عـلى سـبيل الاسـتدانة لـكي يوسـع مخزنـه. مـا هـي الأسـئلة التـي تطرحهـا

عليه؟ افترض بضعة أسئلة: متى ستعيد النقود والأهم علام ستحصل أنت من ذلك. واستمعت إلى الجواب التالي:

- سأعيد النقود بعد عام أو عامين. سوف أتصرف بالنقود دون معرفتك لست واثقاً من أنني سأعيد كل النقود في نهاية المدة. أما بخصوص الفائدة التي سأدفعها لك لا أعرف كم تكون. سأجتمع بشركائي في نهاية العام وسنقرر عندئذٍ كم ستقبض أيها الممول العزيز.

هل تعطي نقوداً لهذا الطالب؟

إذن فلماذا تشتري الأسهم؟ فالحالة مماثلة تماماً. أنت تعطي نقودك لجهة مجهولة وتتصرف بها الشركات دون علمك. الدخل من السهم يحدد باجتماع المساهمين في نهاية كل عام. وأنت في هذا الاجتماع ضئيل التأثير جداً.

أما إذا اشتريت أسهماً لعملاق عالمي فمن المفهوم أنه لن يكون لك أي تأثير على عمله. حتى الاجتماعات لا يحتمل أن تسافر لحضورها. والله وحده يعلم ماذا سيقررون، وأية أرباح يوزعون. ولا توجد ضمانة لعودة نقودك بعد عام أو عامين كاملة لأن سعر الأسهم قد ينخفض.

ليسامحني الأسياد لاعبو البورصة، المضاربون، ومحللو البورصة وسواهم من مصارعي جبهة المال الافتراضية. كيف يمكن أن نسمي الشخص الذي يودع نقوداً بهذه الشروط؟ هل هو ممول؟ أم أحمق؟. إذا أتاك صديق من الشارع المجاور وطلب منك ديناً وفق الظروف المشار إليها أعلاه، لن تعطيه نقوداً أبداً. أما في البورصة فيتزاحم الناس على هذا. وبما أن البورصة قد اخترعت من أجل الكسالى، فقد اخترعوا أيضاً رصيد التمويل لكي يتنازل الكسالى عن أموالهم راضين. إن هذا عبث مضاعف وخداع مضاعف أكثر. عندما تشتري سهم "ليكويل" فإنك تتصور على الأقل العمل الذي تقوم به هذه الشركة وما هي الآفاق الممكنة. في رئاسة مسوخ الاقتصاد هذه يوجد رجال ذوي كاريزما يمكن (أحياناً) التنبؤ بسلوكهم. مثل هذه الشركات تملك موجودات، ولذلك يوجد أمل إذا حدث الأسوأ أن نحصل من أسهمك الورقية ولو على شيء ما. عندما تعطي نقودك إلى رصيد تمويلي فأنت تشتري أسهم هذا الرصيد. وهو بدوره يشتري أسهماً في شركات مجهولة وفق طرائق مجهولة.

يدير الرصيد المحلل المعتمد، المضارب. مـن هـم هـؤلاء؟ لـيس في بلادنـا. أحيانـاً يأسـف المحللون أن سكان روسيا لا ينخرطون كثيراً في اللعب في البورصـة، إنهـم متخلفـون. هـا هـم في أمريكا الكل يلعبون. وأنا أعتقد أن عدم الرغبة في الانتقال مـن الواقـع إلى الافـتراض هـو مـؤشر صحة للجمع وصواب رأيه، وهما في كثير من الأحوال أمر واحد. في أمريكا كل الاقتصاد الافتراضي المجرد وضع على أساس صناعي:

الضمان السكني والبورصة، أكبر لاعبي سوق الأسهم هي بنوك التمويل- عمالقة برسـملة تبلغ مليارات كثيرة. أنها وفق تسميتها تمارس التمويل، أي أنها تشتري أسـهم الشركـات والبنـوك بعشرات المليارات ومن ثم تصدر أسهمها الخاصة ثم يبيعونها في البورصة (أليس هذا مضـحكاً). قيمتها الاسمية تظل دون أي تغيير، وسعرها يزداد باستمرار لذلك كان الناس يشـترونها راغبـين. منذ مدة قصيرة شاهدت في التلفاز وجوهـاً حزينـة لمـوظفي الإدارة المحليـة مـن إحـدى المـدن اليابانيـة الصـغيرة. أودعـوا مـدخرات متقاعـديهم الكهـول في أسـهم أحـد أكـبر بنـوك التمويـل الأمريكية "ليمان برازر". ولكنه في عام 2008 أفلـس فجـأة. وتحولـت مـدخرات المتقاعـدين إلى هباء منثور. لم يتوقـع أحـد مسـاراً للأحـداث كهـذا. والإدارة الآن مضـطرة لاختصـار المصـاريف: يذهبون إلى الكهول على الـدراجات الهوائيـة بـدلاً مـن السـيارات. ولكـن يتعـين علـيهم ركـوب الدراجات مئتي عام لكي يعيدوا ما ضيعوه.

التعطش للربح، والرغبة في جني المال دون عناء، دون عمل تسوقان إلى البورصة لاعبـين جدداً باستمرار. كل الناس يرغبون في جني المال، وكلهم يـأملون أن يرتفـع سـعر السـهم. كتـب الاقتصادي المعروف الكساندر ليغشيتس ملاحظة ذكية لا تخلـو مـن الدعابـة "في الصـباح حضر الرجال إلى المكتب. لكي يعملوا بالأوراق المالية، أمـا في المسـاء فجـأة اكتشـفوا أنهـا لا تصـلح إلا للاحتياجات المنزلية".

البورصة - لعبة قمار. إنها نـوع مـن الكـازينو. هـذه المقارنـة شـائعة الـذكر، ولكنها ليست دقيقة تماماً. يحتاج كل من الكازينو والبورصة أمـرين اثنـين: اللاعبـين والنقــود. إلا أن في الكــازينو يضــع الشــخص الرهــان بنفســه ويختــار بنفســه.

أما في البورصة نصف الأسهم على الأقل تعود لشركات لا تملك شيئاً سوى أسهم شبيهة من شركات أخرى. أي أنه في هذه الحالة لا يذهب الشخص نفسه إلى الكازينو. وإنما يوكل بنية مبهمة لتراهن بدلاً عنه. ولا يأخذ منها سوى توقيع باستلام النقود. وهذا هو السهم في الواقع وبعد ذلك يبدأ لهو حقيقي. هذه البنية لا تذهب إلى الكازينو، وإنما توكل شركة أخرى لتلعب بدلاً منها. إذ تشتري أسهمها. في النهاية من يضع الرهان في الكازينو هو الوسيط العاشر، ويتعلق برهانه كل الاقتصاد في الدولة وليس هو وأقاربه فحسب، لأن الجميع باع كل منهم للآخر أوراقاً مجردة وعندما تبدأ بالانهيار إحدى هذه الأوراق المجردة تجر خلفها البقية وتنتقل الأزمة من إبهام الافتراضية إلى عالمنا الواقعي.

في أية دولة مملكة العبث هذه أكثر تطوراً؟ طبعاً في أمريكا. كل السكان هنا- لاعبون في البورصة، الكل هنا يبيعون بعضهم لبعض أوراقاً مالية. وفي كل مرة يباع فيها "الهواء" تجري زيادة سحرية في الناتج القومي الأمريكي. عندما يتحدث أولئك الذين يدركون غرابة هذا الوضع من المحللين عن حتمية انهيار الاقتصاد الأمريكي، يبتسم الليبراليون. ويقولون أن الاقتصاد الأمريكي يبلغ 20% من حجم اقتصاد العالم. كل ذلك صحيح. ولكن هؤلاء السادة الطيبين يتناسون أمراً واحداً- هذه الـ 20% هي فقط في التعبير النقدي، وليس الطبيعي. فإذا حذفنا الفضلات الورقية التي لا تستند إلى شيء. لن يكون الواقع مذهلاً كما هو عليه الآن. في المرآة المقعرة لعالم المال المعاصر كل شيء "لا يشبه الواقع". فمثلاً إذا استدنت منك 100 دولار وأنت أعطيتني بدلاً منها توقيعاً (سهماً) وبعد ذلك استدنت أنت مني تلك الـ 100 دولار ذاتها بتوقيعي (سهمي)، لا يحدث شيء في الاقتصاد في الواقع تختفي النقود. هذا في الحياة العادية. أما في عالم المال فقد جرت أحداث كثيرة: ظهر في السوق سندان ماليان. وتضخم الناتج القومي الكلي في أمريكا بمقدار 200 دولار. وتلكم العجينة التي صنع منها تفوقهم في النمو الاقتصادي. من المهم أن نفهم أن الأرقام الواردة في المراجع الضخمة ليست سوى وهم لا علاقة له بالواقع. لا شك أن القوة الاقتصادية كبيرة في أمريكا، ولكنها لا تفوق بأضعاف كثيرة قوة دول أخرى. فقد بدؤوا بنقل مصانعهم ومعاملهم إلى أندونيسيا والصين وتايوان منذ زمن طويل...

أيعقل أن العاملين في البورصة وفي وكالات الضمان لا يرون أن ارتفاع أسعار العقارات لن يدوم إلى ما لا نهاية؟ وأن الهبوط لا بد أن يعقب الارتفاع؟ طبعاً يرون ذلك. أكثر من ذلك أي لاعب- محلل في البورصة ذو مصداقية سيقول لكم هذا بالضبط. والأمر ذاته مدوّن في الكتب المعنية بالبورصة، لنأخذ أحد الكتب لا على التعيين على سبيل المثال "طريقة بيتر لينتش". إن هذا المؤلف الذي سميت الطريقة باسمه بيتر لينتش شخصية فريدة إنه أحد أشهر الخبراء في لعبة البورصة. إليه تعود ثلاثة مؤلفات كاملة حول التمويل المساهم. اسم شريكه في التأليف ذائع الصيت أيضاً- جون روتشيلد بكلمة واحدة أنه ليس كتاب فحسب بل هو "تلمود" المضارب، عفواً، الممول المساهم.

يعدد بيتر لينتش بالتفصيل مكونات طريقته سوف نذكرها كلها رغم أنها ليست على نفس المستوى من إثارة الاهتمام.

1. ساهم في تمويل ما تعرف.
2. ادرس السوق في الموقف "الحقيقي".
3. اختر مصنعاً يمكن لأي أحمق أن يديره، لأنه عاجلاً أم آجلاً يحتمل أن يرأسه أحمق.
4. كن مستعداً للخسائر.
5. الأسهم كالأولاد؟ يجب أن يكون لديك منها العدد الذي يمكنك السيطرة عليه.
6. لا يحسن السعي للربح الأسرع.
7. محفظة الأسهم يجب أن تشكل بحيث يكون الأساس فيها أسهم موثوقة، تؤمن بالدرجة الأولى دخلاً ثابتاً وليس دخلاً مرتفعاً فوق العادة.

هذه القواعد السبع الأولى- عبارة عن تفكير سليم ولاحقاً يأتي ما يثير الاهتمام.

1. لن تكون دائماً رابحاً.
2. لا يمكن التنبؤ بنسبة الفائدة ولا بآفاق الاقتصاد ولا ديناميكا سوق الأسهم.
3. لا تستثمر كيفما اتفق (في كل فرصة).

إذن لماذا يبكي عاملو البنوك التمويلية، والأرصدة المساهمة و"المساهمون" الأفراد؟ فهذا هو النص واضح ومدون! يستحيل أن تربح على الدوام. هذا ما يحصل في الحياة و"في البورصة" لا يختلف الحال. لا تشتر ما ينتج بالتمويل المساهم لأن خلف الغلاف الجميل قد تجد صفراً (لا شيء) من تصنيف مرتفع درجة الثقة. لا جدوى من التفكير أن في البورصة ولو قليلاً من المنطق أو الحكمة، فلا وجود لهما هناك، وكذلك حال كامل نموذج الاقتصاد العالمي. لا يمكن التنبؤ بشيء. ولكن ما هو التوقع؟ إنه تحليل للحقائق ونمذجة العواقب المحتملة. في الحياة العادية تجر الحقائق عواقب وراءها. فإذا تبللت قدماك فتصاب بالتهاب البلعوم باحتمال كبير، وإذا سرت والإشارة حمراء فسوف تقع في حادث. في الحياة العادية يمكن أن نقوم بالتنبؤ: إذا قدت سيارتك وخالفت قواعد المرور، -ستكون في القبر، أو كرسي العجزة، أو في قفص الاتهام إذا دهست أحداً عن غير قصد؟ طبعاً لم نكن نريد أن يقع لك ولا لأحد مكروه. ولكن إذا سرت والإشارة حمراء يمكن أن يحدث كل ذلك.

أما في عالم المال الافتراضي فلا يمكن التنبؤ بشيء[1]. ولا لزوم للمحاولة. لا منطق هنا يمكن أن تهبط أسهم مصنع وهو يعمل بشكل ممتاز. شركة تمتلك فعاليات حقيقية تقيم أقل من بنك تمويل منفوخ وعلى حسابه يوجد فرش مكتبي ومليارات من الديون لمختلف الأشخاص والمؤسسات. في النتيجة نجد في "تلمود" لاعب البورصة تأكيد واضح لحقيقة اقتنعنا بها بأنفسنا.

لا تمت البورصة والأسهم للاقتصاد بأية صلة.

قد تكون القيمة السوقية لشركة، أي قيمة مجموع أسهمها، أقل من الأموال النقدية الموجودة في حساباتها! أليس هذا هزلاً. وهنا لا نتحدث عن شركات مجردة تتاجر "بالهواء" أو الخدمات.

[1] اللافت عند تدريب "الممولين" الجدد تقال لهم علناً، على الأقل في روسيا، أشياء مغايرة تماماً: "البورصة ليست كازينو". إذا أردت أن تجني نقوداً - ضع لنفسك خطة محكمة وتمسك بها دائماً (سبع قواعد ذهبية للتاجر). أما الخبير الغربي لينتش يقول العكس: إن البورصة- هي كازينو. لأن الكازينو فقط لا يخضع للتحليل ويستحيل أن نتنبأ في أية حفرة ستسقط الكرة.

منذ فترة قصيرة أمكن مشاهدة ذلك في الشركة الروسية "سـورغوتنيفتيغاز" التـي تتـاجر بكل لوازم الكربوهيـدرات. في 29 تشريـن الأول عـام 2008 في تقريـر عنهـا عـن الربـع الثالـث: "الأموال النقدية" "سورغوتنيفتيغاز" تقدر بـ 20.5 مليار. ورسملة الشركة عند إغلاق المعـاملات في 28 تشرين الأول = 19.16 مليار.

ألـيس هـذا مثـيراً حقـاً. يمكـن شراء النقـود "الحيـة" بنقـود حقيقيـة أقـل. ولكـن لـدى "سورغوتنيفتيغاز" عدا عـن النقـود أبنيـة وحفـارات وكمبيـوترات ومقاعـد وسيارات ومطـاعم لعمالها وكثير غير ذلك. ولكن إذا وثقنا بتقييم السوق كل ذلك لا يساوي قرشاً واحداً. كـل ذلـك دون مقابل ولا فائدة منه. في اقتصاد السوق تقيم جدوى الإنسـان براتبـه، وجـدوى الفعاليـة - بثمنها.

حالة طريفة. حتى المحللون كتبوا عن هذه الحالـة المثـيرة للاهـتمام. عـلى سـبيل المثـال كتب محلل "ويليس كابتال" ديميتري لوتيـاغين: هـذا مسـتحيل بالحسـاب الكبـير، لأن فعاليـات الموازنة في "سورغوتنيفتيغاز" - هي أموال حية.

هذا انعكاس مرآتي مالي مشـوه: يسـتحيل وجـوده لكنـه موجـود... الوسـطاء والممولـون يعرفون أين يودعون نقودهم ونقود غيرهم. يعرفون مـا يمكـن أن يفقـدوه، ولكـنهم مـع ذلـك يجلبون "السيولة" إلى البورصة. لماذا؟ كما في حالة منح القروض السـكنية لأشـخاص مشـكوك في قدرتهم، يحدد الوسطاء أمل بأن الهبوط لن يستمر فترة طويلة. سيهبط السـهم قلـيلاً وسـيرتفع بعد ذلك. أما هم فلا بد أن يتحملوا هذه المرحلة.

كيف؟ يأخذ قرضاً، هل هناك طريقة أخرى!

لعبة البورصة كالإقراض السكني تقوم على نطاق واسع بأموال مستدانة.

عندئذٍ ربح قليل من صفقة واحدة مضروب بملايين الأسهم يعطي ربحاً ضخماً. هذا جيد عندما ينمو السوق بالعشرات بالمئة. وحتى عندما يزداد السعر بمقدار أجزاء من الواحـد بالمئـة، عندما تكون الأعداد ضخمة - يصبح لديهم ملايين الدولارات مأخوذة من الهواء. لا يمكن عملياً مقاومة هذا الإغراء.

ولكن لماذا يرتفع سعر الأسهم؟

لنترك آراء المحللين طويلة الشرح. إننا نرى أن السهم وسـعره يرتبطـان بالحيـاة

الواقعية كارتباط معايير الأخلاق الشيوعية بواقع الحياة في الاتحاد السوفيتي[1] في فترته المتأخرة.

سبب ارتفاع سعر السهم هي الرغبة في شرائه، ولكن هذا ليس الأهم.

العامل الأهم في ارتفاع قيمة السهم - هي القدرة على شرائه.

بتعبير آخر يجب أن يكون في البورصة المكونان ذاتهما: اللاعبون، والأهم النقود. يجب أن يستمر قدوم أشخاص جدد إلى البورصة مع رزم الأموال ليؤمنوا ارتفاع سعر السهم. فإذا لم يوجد الشاري وفقدت النقود- يهبط سعر السهم حتماً. كل مؤشرات البورصة "نيكي"، "داو جونز"، "ناسداك" تعكس أموراً جداً بسيطة عبر معادلات معقدة. عندما يكون الطلب أكبر من العرض أو مساوياً له فإن سعر الأسهم يرتفع وبالتالي المؤشر. وإذا كان البيع أكثر من الشراء ينخفض سعر السهم وكذلك المؤشر. الأمر بسيط جداً. إذا لم يشتر أحد الأسهم - تلك هي نقطة البداية في أزمة البورصة. عندما تبدأ الأزمة يبدأ الخوف الجماعي، يبيع السماسرة الأسهم، وينخفض سعرها أكثر. ولكن المهم أن السعر لم يهو إلى الصفر. انخفاض السعر يعني نقص عدد المشترين وليس فقدانهم كلياً. عندما ينعدم الراغبون في شراء الأسهم يهوي سعرها إلى ما دون العتبة، وتتحول إلى ورق.

ولكن لماذا يحدث أن يتناقص عدد المشترين عندما لا تكون الأزمة قد حدثت بعد؟ حيث لا يشعر أحد بالخوف، وحيث بالأمس القريب كانت أسعار الأسهم ترتفع؟ لأنه لم يعد هناك من يرغب بالشراء. لأنه لم يتبق لديه نقود لشراء الأسهم. ليس عند وسيط مضارب واحد فحسب بل عند كثيرين دفعة واحدة- أي أننا يمكننا أن نقول أن الفقدان المفاجئ للنقود في البورصة يقود إلى انخفاض سعر الأسهم. وكلما تفاقم نقص النقود هوى سوق البورصة أكثر. من كان يشتري الأسهم بالأمس لا يستطيع ذلك اليوم، ليس لديه نقود.

---

[1] هناك حالة واحدة حيث يؤثر سعر أسهم الشركة على ممارستها عملها. إذ يتركون رزمة من الأسهم كضمان للحصول على قرض. فإذا انخفضت قيمتها إما يضيفون عدداً من الأسهم إلى الضمان (الرهن) أو يدفعون نقداً قيمة الانخفاض في ثمن أسهم الضمان - مرة أخرى نرى الارتباط السحري بالسيولة: كل ذلك وارد في حالة الرغبة بالحصول على قرض. فإذا لم تكن تريد الحصول على قرض، فلا يهمك سعر سهم شركتك.

إن توفر النقود أو فقدانها- السبب الوحيد عملياً في ارتفاع أو انخفاض سوق المال.

فقدان النقود- هو ما يدعى "أزمة السيولة". لا يوجد نقود لا توجد "سيولة". لا يوجد حمقى معهم نقود.

ولكن مهلاً- أين اختفت النقود، ومن هي الجهة التي سحبتها من سوق الضمان والبورصة المالية.

لكي نفهم ذلك يجب أن نفهم أولاً من أين تأتي النقود في الاقتصاد المعاصر.

ويقودنا الطريق مرة أخرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

الفصل الثالث

الاحتياطي الفيدرالي

"آلة طبع النقود"

من يخالف دستور أمريكا بفظاظة ولماذا؟

الحكم - يعني رؤية الأمور قبل حدوثها

الإمبراطورة كاترين الثانية

رؤية الأمور قبل حدوثها- يعني التحكم بها

باسكال

من الصعب جداً أن نناقش أسباب تعطل جهاز منزلي كالتلفاز أو الثلاجة أو سواهما دون أن يكون لدينا أية معرفة ببنيته وطريقة عمله. الأمر ذاته في موضوع الأزمة المالية لا معنى لمحاولاتنا الغوص إلى أسبابها إذا لم يكن لدينا معرفة وفهم ماهية التكوين المالي المعاصر لعالمنا.

السؤال الأول الذي يحسن بنا أن نطرحه: ما هي النقود؟ في الزمن الغابر عند فجر الحضارة كانت الطريقة الأسهل هي تنظيم التبادل بين المقاطعات والدول والقارات. تطلبت العملية مقياساً موحداً للقيمة، وجدولاً موحداً للثمن، وتوجب على هذا المقياس أن يكون صغير الحجم لا يتأثر بالعوامل الخارجية. كانت مقاييس الثمن الأولى على شكل رؤوس الماشية، جلود الحيوانات أو الأملاح. وقد أخلت موقعها بسرعة للنقود، المصنوعة من مواد أكثر متانة. كانت الأشكال كثيرة. ففي بعض جزر المحيط الهادي كانت تستخدم نقود حجرية لا يسهل نقلها من مكان لآخر. ولذلك لم تجد هذه المنظومة انتشاراً واسعاً. في النهاية أصبح المعدن

وليس الحجر مادة لإنتاج النقود التي أصبحت بالفعل مكافئاً عاماً لكل شيء. لا نعلم على وجه التأكيد متى ظهرت النقود المعدنية، اتفق على أن نقود معدنية ظهرت في الصين والهند في القرن السابع قبل الميلاد. بعد ذلك بمئتي عام أنجز ملك فارس داريوس ثورة اقتصادية في دولته إذ أدخل إلى التداول النقود المعدنية بدلاً من الـ "البارتير" الذي كان متداولاً قبل ذلك. لقد أعطى هذا دفعة قوية لتطور البلد وأصبح (إلى جانب الانتصارات الحربية) أحد الأسباب الأساسية في توسع الإمبراطورية الفارسية.

لاحقاً خضعت منظومة النقد لجملة تغيرات مدهشة على امتداد تاريخ النقود. لفترة طويلة جداً لم يكن هناك توحيد في اختيار المعدن. وارتبط ذلك بالخامات المتوفرة بكثرة في منطقة معينة. في إسبارطة، حسب أرسطو، كانت في التداول نقود حديدية. وتوجد دلائل على وجود النقود المسكوكة من الرصاص والقصدير. مع مرور الزمن حلّت ثلاثة معادن محل المعادن المذكورة آنفاً. النقود الأبسط والصغيرة القيمة صنعت من النحاس وصنعت النقود الأساسية الأكثر استعمالاً من الفضة. أما الذهب فقد استخدم لسك أغلى النقود. لم يستعمل النقش على النقود فوراً، ففي البداية تكرست ممارسة وضع إشارة محفورة في السبيكة تعطي ضمانة الوزن والعيار. إذ يصعب أن تنتقل والميزان معك دائماً. أخذت السلطة على عاتقها مهمة الضمان وهي أيضاً أصبحت تصدر (تسك) النقود. وباعتبار أن الدول كانت كثيرة والنقود المختلفة الأوزان والنقاء أكثر. فقد ظهر في العالم القديم أوائل الصرافين (الماليين) والذين اضطلعوا بمسألة تبادل النقود (الصرافة).

بقيت المنظومة المالية العالمية بشكلها النحاسي والفضي والذهبي حتى بداية القرن العشرين. على الرغم من وجود الفكة النحاسية حتى الآن. اتفق على اعتبار أن المنظومة كانت ثنائية المعدن لدى تحليل تاريخ النقود، أي أنه إلى جانب الذهب لعبت الفضة فقط دور المادة المكافئة[1]. ولكن حتى بداية القرن العشرين أخذت الدول واحدة تلو أخرى تنتقل إلى نظام المعدن الواحد الذي نعايشه اليوم، فأصبح

[1] لم يعد النحاس يعتبر مادة مكافئة نظراً لضآلة القيمة الشرائية للنقود النحاسية.

الذهب وحده مكافئاً شاملاً، وأصبحت عملة الدولة ذهبية، وحدث ذلك في ألمانيا عام 1871، في هولندا 1877، في أستراليا 1892، في اليابان 1897، في روسيا 1898، في أمريكا 1900[1].

وتكمن الخصوصية الأساسية لإصدار النقود المعدنية في أنه توجب على الدولة أن تملك المعدن الثمين حتى تتمكن أن تصدر نقدها. كل الدول كانت مضطرة أن تعيش "وفق أموالها" محافظة على هذه القاعدة إجبارياً. عدا عن ذلك نتيجة الكوارث المختلفة اختفت المعادن الثمينة في النقود، امَّحت، ضاعت، غرقت. ولتعويض هذه الخسائر كان لا بد من العمل المضني الطويل في مناجم الفضة والبحث عن الذهب. عانت الدول في القرون الوسطى من تعقيدات تطوير الإنتاج الصناعي والتجاري لسبب تافه هو عدم توفر النقود المعدنية المسكوكة، لم يستخرج من الذهب والفضة ما يكفي لتأمين الأموال التي يحتاجها تطوير الاقتصاد. من هنا كان التطور الكبير للكيمياء، في محاولات الحصول على الذهب من معادن أخرى عن طريق التفاعلات والسحر، وجاء الإنقاذ باستيلاء إسبانيا على أراض جديدة وراء البحار. وتدفق ذهب الإنكا والأزتيك بوفرة إلى أوروبا مما أمن عصر النهضة والنمو الصناعي. في أعقاب نبلاء الإسبان اندفع البرتغاليون والفرنسيون والإنكليز والهولنديون للسرقة، أي لاستثمار الأرض المكتشفة.

المرحلة التالية في التاريخ العالمي للنقود أصبح ظهور الشكل الورقي. بخلاف الرأي السائد لم يكن إصدار العملة الورقية بداية شراً. في البداية لم يكن من الممكن إطلاقاً الحديث عن إصدار نقود غير معدنية بدون الدعم الذهبي. ظهرت النقود الورقية الأولى منذ زمن طويل جداً في القرنين السابع والثامن على وجه التقريب في الصين. كتب باركو بولو الذي سافر إلى هناك بنقد لاذع. عندما كان الكيميائيون الأوروبيون يحاولون الحصول على الذهب من مختلف المعادن تعلم أباطرة الصين تحويل الورق العادي إلى الذهب وفعلاً فقد انتشرت النقود الورقية في الصين في القرن الثامن على نطاق واسع، وكان لها شكل صفيحة ذات أربع زوايا

[1] أول من قام بذلك الإنكليز منذ نهاية القرن الثامن عشر.

مزودة بعلامات وأختام خاصة، وكانت مصنوعة بذوقية عالية. تمتعت هذه البطاقات بقدرة شرائية مختلفة وكانت مُعتمَدة إجبارياً تحت طائلة الإعدام. إلى جانب العصا كانت الجزرة - أي مالك لهذه الأوراق يمكنه أن يستبدلها بالذهب في أية لحظة.

ظهرت النقود الورقية في روسيا بعد خمسة قرون من زيارة ماركو بولو للصين. في عام 1768 قدم الكونت سيفيرس لكاترين الثانية تقريراً برهن فيه على جدوى اعتمادها في روسيا. هذه الجدوى كانت واضحة للعيان، وفي العام التالي 1769 تم إصدار النقود الورقية الأولى. لكي تتمتع هذه النقود بالثقة لا يكفي أن تقبل في مدفوعات الخزينة في كل مكان. بل كما في الصين كان تأمين المكافئ المعدني "المكوِّن" شرطاً رئيساً لنجاح العملة. ومن أجل ذلك تأسس بنك خاص تُدخر فيه نقود نحاسية، تساوي تماماً الأوراق النقدية الصادرة. نقود النموذج الأول في روسيا أصدرت على أربع فئات: الفئات الثلاث المألوفة لدينا 100، 50، 25 وفئة رابعة غريبة 75 روبلاً. وقد سحبت الأخيرة من السوق بسرعة لأنه من السهل تزوير 25 إلى 75. كل الأوراق النقدية كانت من لون واحد مما جعل التزوير سهلاً. ولم تصدر فئة 75 في روسيا أبداً بعد ذلك بسبب التجربة المحزنة مع التزوير.

في بداية القرن العشرين أصبحت كل العملات العالمية الأساسية، التي أصبحت ورقية منذ زمن طويل مدعومة بمضمون ذهبي. هذا يعني أن احتياطي الذهب للدولة يساوي كمية النقد التي تصدره خزينتها، وأي مالك لبطاقة الائتمان الورقية يمكنه في أي وقت استبدالها بكمية محددة من المعدن الأصفر. ولماذا يلزم الذهب في الحياة اليومية؟ فإمكانية الحصول عليه حال الضرورة تكفي تماماً. وقد أخذت الدولة على عاتقها ضمان ذلك وكان الدولار الأمريكي وكذلك الروبل الروسي "ذهبيين" تماماً.

في الاقتصاد العالمي المبني على مبادئ رأسمالية تمت المحافظة بشدة على مبدأ اشتراكي تماماً - الكل كان يعيش حسب ما كان يعمل. لم يكن لدى الدول دخل لا ينجم عن عمل، أي لم يكن لديها نقود غير مدعومة بالذهب. واستمر الحال على هذا المنوال حتى 1913، إلى أن قام الأمريكيون باكتشاف جديد وعصري

بكل معنى الكلمة. والأصح، كان أصحاب البنوك يعرفون بذلك منذ زمن بعيد. إذا توفرت إمكانية إصدار نقود ورقية دون التقيد بشرط تأمينها بالذهب، قد تصبح الثروة بدون حدود. والثراء الفاحش يسير على الدوام يداً بيد مع السلطة المطلقة. لكي تصبح ثرياً لا بد لك من السلطة، ولا بد من النقود للاستيلاء على السلطة والحفاظ عليها. للحصول على الثروة العالمية لا بد من سلطة عالمية. للمحافظة على السلطة على العالم لا بد من منبع نقود لا ينضب.

إنها لفكرة يسيل لها اللعاب. ولكن يجب أن يبدؤوا من شيء ما. لذلك تطلب الأمر أن يسيطروا على عملية إصدار النقود، في دولة عالمية كبرى. الشرط الثاني للنجاح هو إبعاد الدول الأخرى القادرة على الاعتراض على حق دولة واحدة بإصدار نقد غير مدعوم. إبعادها عن الخريطة السياسية. قارنوا بين هذين التاريخين:

1. في كانون الأول 1913 أنشئ في أمريكا نظام الاحتياطي الفيدرالي- أول طابعة نقود خاصة في تاريخ الإنسانية حصلت على حق إصدار النقد.
2. في آب 1914 بدأت الحرب العالمية الأولى.

كنتيجة للحرب العالمية أصبح زوال أربعة إمبراطوريات كبرى، ووقعت كل من بريطانيا وفرنسا في وضع اقتصادي معقد، أما الاقتصاد العالمي فكان يعاني من أزمة لم يكن لها مثيل في ما مضى أبداً.

هل هذا تطابق مصادف؟ كلا ليس صدفة.

لقد كانت عملية إنشاء الاحتياطي الفيدرالي في أمريكا مثيرة جداً للاهتمام وتستحق النظر بتفاصيلها. في الدول الشمولية كانت عملية سك النقود تقع على عاتق خزانة الدولة، التي كانت تسمى بتسميات مختلفة ولكنها كانت على الدوام خاضعة للدولة. في أمريكا الديمقراطية الدستور هو القانون الأساسي. لنفتح الدستور ونقرأ: "لمجلس الشيوخ الحق <...> سك النقود، تعديل قيمته وقيمة النقد الأجنبي"[1]. كل شيء في مكانه، السلطة في جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية تعود للشعب. الكونغرس (مجلس الشيوخ) - ممثلو الشعب. وهم من يملك صلاحية

[1] الباب 1. الفصل 8. الفقرة 5.

سك النقود. هكذا كان حتى كانون الأول 1913، حيث أقرّ من انتخبهم الشعب مرسوم العصر عن الاحتياطي الفيدرالي[1].

منذ ذلك الحين دكان خاص هو الذي يسك النقود، كلمة "فيدرالي" في تسمية هذه الدائرة لا يجب أن تزعجنا. هي تمويه اعتيادي وليس فيها شيء من "الفيدرالية". أكثر من خدمة البريد الخاصة "فيديرال اكسبريس". خذ بيدك دولاراً. ودقق في الأعلى مباشرة كتب " Federal Reserve Note" وهذا يعني "بنكنوت الاحتياطي الفيدرالي". هل تدرك؟

بين يديك دولار نظام الاحتياطي الفيدرالي. وليس دولار الولايات المتحدة.

فكتابة "The United States of America" لها مفهوم جغرافي فحسب، وتشير إلى مكان وجود المؤسسة التي أصدرت البنكنوت. هذه الكتابة لا تعني أنك تمسك بيدك نقود الولايات المتحدة الأمريكية. أكثر من ذلك. قبل إنشاء نظام الاحتياطي الفيدرالي كان مكتوباً على البنكنوت أنه بنكنوت الولايات المتحدة الأمريكية. باللغة الإنكليزية "United States Note" وقد صدرت مثل هذه الدولارات لأول مرة إبان الحرب الأهلية الأمريكية (1861-1865). في تلك الفترة بالذات ظهرت التسميات الشعبية المعروفة للعملة الأمريكية "غرين". "باكس" و"الأخضر". كما هو معلوم كان الدولار أخضر اللون. وكانت الجهة الخلفية أشد خضرة، حيث لم يكتب هناك شيء باللون الأسود. ولم تكن عليه صورة مسؤول الدولة. أصبحت الدولارات الورقية تسمى "Greenbacks" وترجمتها تعني "أخضر القفا".

ما هو الاحتياطي الأمريكي؟ - هو بنك خاص تملكه بنوك خاصة أخرى، وهو الذي يصدر الأوراق النقدية التي تسمى حسب العادة القديمة بالدولارات الأمريكية. كانت كتابة " United States Note" على العملة الأمريكية، ثم اختفت. ولكن بما أن الـ "باكس" نفسه ظل أخضراً كما كان فلم ينتبه أحد إلى الفرق. في هذه الأيام نمسك بيدنا الورقة الخضراء ذات الزركشات الخاصة، ولا نشك بأنها لا تملك أية صلة بالولايات المتحدة الأمريكية.

---

[1] http://www.federaleserve.gov/pubs/frseries/frseri.htm.

هذا يعني أنه منذ عام 1913 يداس على الدستور الأمريكي بفظاظة، والذي ينص صراحة على أن "الكونغرس يملك حق <...> سك النقود" فقط. لكي نفهم عبثية هذه الحالة نسقطها على الحالة الروسية. وفق الفصل 8 من دستورنا "رئيس الاتحاد الروسي هو رئيس الدولة". ووفق الفصل 87 هو "القائد الأعلى للقوات المسلحة للاتحاد الروسي". والآن تصوروا أن رئيسنا وقّع مرسوماً بتعيين السيد فلان قائداً عاماً للجيش، من حيث الشكل الوضع قانوني: رئيس الدولة وقّع مرسوماً وأصبح ساري المفعول، ولكن في الحقيقة - هذه مخالفة فظة للقانون الأساسي، الذي ينص صراحة من هو القائد العام لقواتنا المسلحة. حالة مشابهة لهذه تماماً تكرست دون أن يلاحظها المحيطون، مع نظام الاحتياطي الفيدرالي. لقد حصل الكونغرس على سلطته من الشعب الأمريكي، ليستخدم هذه الصلاحيات لمصلحة الشعب فقط. كما هو الحال عند رئيسنا لا يملك الكونغرس الأمريكي الحق بأن يخول تلقائياً وبقرار منه بالقيام بمهامه أو بجزء منها. إلا أنه فعل ذلك.

في مراجع الاستعلامات يقرأ شرح مختلف عن حقيقة الاحتياطي الفيدرالي: "مؤسسة مالية مستقلة، أنشئت للقيام بوظيفة البنك المركزي وتنفيذ الرقابة المركزية على المنظومة البنكية التجارية في الولايات المتحدة الأمريكية". إذا فكرنا ملياً نجد أنه حتى في هذا النص الجاف كتبت الحقيقة. إلا أن أحداً لا يفكر فيما يقرؤه. يثقون بالكلمة، اعتادوا ذلك. ولكن هنا نناقش:

مستقلة، أي أنها ليست حكومية - البنية التي تنفذ الرقابة على النظام المالي الأمريكي.

يتكون هذا النظام المالي من بنوك تجارية، لا يوجد في أمريكا بنوك حكومية. يعني أن الاحتياطي الفيدرالي يشرف على نشاط البنوك التجارية. أسس الاحتياطي الفيدرالي 12 بنكاً فيدرالياً احتياطياً. وهي كلها بنوك خاصة، بنوك تجارية عادية تجمعت وفق معيار التجاور الجغرافي. يشرف الاحتياطي الفيدرالي على عمل البنوك التجارية وهو مكون منها ذاتها؟! أي أن النظام الاحتياطي الفيدرالي يشرف على نفسه بنفسه.

للتأكد من عدم وقوعنا في خطأ ما. ننظر في دليل الهاتف الأمريكي "الصفحات الصفراء". هناك نجد إحداثيات الاحتياطي الفيدرالي، وإحداثيات

البنوك الفيدرالية الاحتياطية المكونة له مطبوعة على الصفحات البيضاء المخصصة للشركات الخاصة وليس على الصفحات الزرقاء السماوية حيث أرقام هواتف المؤسسات الحكومية. إلى جانبه شركة البريد "فيديرال اكسبريس". ولكن لا أحد من الأمريكيين يعير اهتماماً لذلك، لا أحد يتصل بالاحتياطي الفيدرالي. ولا أحد يذهب إلى هناك على العناوين المذكورة في الدليل. حتى أبناء وطننا لا يلاحظون هذه الخدعة الكونية ففي أخبار وكالات الأنباء يشار إلى وزير المالية الأمريكي سوياً مع رئيس الاحتياطي الفيدرالي ويتكلمان معاً حول أهم الموضوعات.

هذا اليوم رئيس نظام الاحتياطي الفيدرالي بين بيرنانكي، ووزير مالية الدولة هنري بولسون يقدمان تقريراً في لجنة المال في الكونغرس الأمريكي- تذيع محطة "روسفينكوم". "... الخطاب المتزامن لرئيس الاحتياطي الفيدرالي بين بيرنانكي في لجنة السياسة الاقتصادية ووزير المالية الأمريكي هنري بولسون في الصين أشاعت جواً متفائلاً جداً بخصوص الدولار".

عندما يشاهد المواطن البسيط التلفاز أو يقرأ جريدة أو يغوص في الإنترنت يستحيل اكتشاف الخديعة. الأمور سليمة ونبيلة. ويتكون وهم تام الأركان أن هذين مسؤولان حكوميان متساويان.

ولا تنتهي المفاجأة هنا. لا يكفي أن نظام الاحتياطي الفيدرالي ليس "فيدرالياً" بتاتاً ولكنه أيضاً ليس "احتياطياً". ليس لدى هذا النظام أية احتياطات. لا ذهبية ولا فضية ولا عملة صعبة. لا شيء - مكاتب، سكرتيرات وكمبيوترات فقط. ولكن لدى النظام أهم شيء - حق احتكار إصدار الدولار. إذا كانت لديك آلة طباعة النقود فلا تلزمك أية نفائس حقاً. يمكنك طباعة النقود والحصول مقابلها على كل ما يلزم. يمتلك نظام الاحتياطي الأمريكي هذه الآلة الطابعة وهو ذاته يقوم بمهمة الإشراف. هو النائب العام وهو القاضي وهو المحامي أيضاً. أليس هذا مريحاً. ينتج أن بنية غير حكومية تقوم بالإشراف على النظام المالي في أمريكا، وهي الدولة التي تلعب دوراً مهيمناً في العالم. أي أن نظام الاحتياطي الفيدرالي يسيطر في الواقع على حياة الكوكب المالية وليس فقط في أمريكا.

ولكن هل يعقل أن نظام الاحتياطي الفيدرالي مفصول تماماً عن الدولة؟ نعم، مثل الكنيسة في روسيا السوفيتية. إذا أخذت الكتاب الذي ألفه رئيس النظام الاحتياطي الفيدرالي آلان غرينسبين فتقرأ فيه ما يليق "النظام الاحتياطي الفيدرالي لا يرتبط شكلياً بالبيت الأبيض "[1].

لكن السر يكمن في أن النظام الاحتياطي الفيدرالي لا يخضع للسلطات الأمريكية لا شكلياً ولا غير شكلي. ولكن يحافظ بدقة على مظهر اللياقة. وليس صعباً أن نتأكد من ذلك. يكفي أن نرى كيف يتم تعيين مديري النظام الاحتياطي الفيدرالي. في الظاهر كل شيء يجري بتهذيب ولياقة. يعين مجلس المدراء من سبعة أعضاء من قبل رئيس الولايات المتحدة بموافقة الكونغرس. يبدو أن الدولة موجودة في هذه العملية. وهنا تكمن القضية لأنه "يبدو". يتبين أن الرئيس رغم أنه يصادق على تعيين أعضاء مجلس المدراء السبعة، لكنه لا يملك الحق في إصدار أي أمر إلى النظام الاحتياطي الفيدرالي أو إقالة هؤلاء الأعضاء السبعة. فالاحتياطي الفيدرالي مستقل بالقانون.

منذ فترة وجيزة، بعد نجاح باراك أوباما في الانتخابات صادف أن استمعت إلى مقدمي البرامج الصباحية في المحطة الليبرالية الرئيسة في بلدنا. عندما ناقشوا أموراً جدّية أظهر هؤلاء الشباب مستوى متدنياً من المعرفة كتلميذ الصف الأول ومستوى من الفهم أقل من ذلك. وبالمقابل كان لديهم فائضاً هائلاً من المظهر المترف والخيلاء وأكثر ما يحزن ذلك الفائض من الكره لبلدهم. فعندما ناقشوا قضية استبدال فريق عمل البيت الأبيض تحدثوا بجدّية عن إمكانية أن يستبدل الرئيس الجديد رئيس نظام الاحتياطي الفيدرالي. وتوصلوا لنتيجة مفادها أن الرئيس الناجح في الانتخابات باراك أوباما لن يستبدل رئيس نظام الاحتياطي الفيدرالي أي بين بيرنانكي. إذ لا تستبدل الأحصنة أثناء الأزمة... ولكن منطق النظام السياسي المعتمد في أمريكا يجب أن يقود، من حيث المبدأ، إلى العكس. فالانتخابات تجري مرة كل أربع سنوات بصرف النظر عن المشكلات الاقتصادية. فإذا كان غير

---

[1] غرينسبين. آ عصر الاضطرابات موسكو. البينا بيزنيس بوكس، 2007، ص 90.

جائز استبدال المسؤولين في ذروة الأزمة المالية، أي من أجل الأزمة ذاتها، فلماذا يجرون هذه الانتخابات؟ حسب منطق صحفيينا المصيبة. يجب أن تؤجل الانتخابات ويتاح لجورج بوش أن يصلح الأحوال في الاقتصاد. من الواضح أن الأمور لا تجري على هذا المنوال. فطالما ينص الدستور مرة في أربع سنوات، الرابع من تشرين الثاني، يعني أن هذا ما سوف يحصل.

تجري الانتخابات، يأتي رئيس جديد يستبدل كل فريق إدارة الدولة. يستبدل ليس فقط نائب الرئيس ومستشار الأمن القومي. يستبدل حوالي خمسة آلاف شخص يقومون على الخدمة في الدولة، يأتي أشخاص جدد ليس فقط في الأدوار الأولى بل والثانية والعاشرة. فقط رئيس نظام الاحتياطي الفيدرالي- لا يستبدل.

لماذا؟ لأن رئيس الولايات المتحدة لا يستطيع تعيينه كما لا يستطيع صرفه من الخدمة أي أن الرئيس يوقع شكلياً على تعيين رئيس الاحتياطي إلا أن القرار في الواقع، يتخذ في مكان آخر. لا يعرف صحفيونا ذلك. ولذلك يضعون تحليلات لا تلزم. وإلا فالأمر عبثي: جاء فريق الحزب الديمقراطي إلى كل المناصب، أما المنصب الاقتصادي المفتاحي يشغله ذات الشخص الذي خدم بالأمس القريب الجمهوريين بكل إخلاص. وباراك أوباما يعارض بالذات هذا الخط السياسي. وبفضل ذلك حصل على أصوات الناخبين.

لا يصعب التأكد من صحة هذه الكلمات. يكفي أن ننظر إلى مكانة الرئيس السابق للاحتياطي الفيدرالي آلان غرينسبين. كان هذا السيد المحترم على رأس الاحتياطي الفيدرالي طيلة تسعة عشر عاماً: منذ 1987 وحتى 2006 اختاره لهذا المنصب أعضاء مجلس إدارة الاحتياطي الفيدرالي، الذين يعينهم الرئيس... لمدة أربعة عشر عاماً. كيف يستطيع الرئيس الذي ينتخب لأربعة سنين أن يسيطر على من انتخب لمدة أربع عشرة سنة "في الواقع - يكتب عن ذلك آلان غرينسبين ذاته - منصبهم لا يختلف كثيراً عن المنصب الذي يبقى مدى الحياة".

بنية النظام شديدة التعقيد، وقد وضعت كذلك عن قصد لكي لا يبحث الإنسان العادي في تفاصيلها. الأشخاص الذين ينتخبون رئيس نظام الاحتياطي الفيدرالي يعينون لمدة 14 سنة. أما رأس النظام فينتخب لمدة 4 سنوات مثلما هو حال

الرئيس الأمريكي. يبدو المنطق مفهوماً: عندما يذهب الرئيس يذهب معه كل فريقه بمن فيهم رئيس الاحتياطي الفيدرالي. ولكن عملياً الأمر مختلف. ترأس آلان غرينسبين دون أن يستبدل نظام الاحتياطي الفيدرالي 19 سنة.

قد يخطر لنا أن سبب عدم استبداله هو عدم تبدل الحزب الحاكم؟ كلا، لقد تغير الحزب الحاكم وظل آلان غرينسبين رئيساً للاحتياطي الفيدرالي:

- لدى الرئيس الجمهوري رونالد ريغان.
- لدى الرئيس الجمهوري جورج بوش الأب.
- لدى الرئيس الديمقراطي بيل كلينتون.
- لدى الرئيس الجمهوري جورج بوش الابن.

كل رئيس جديد كان يعينه ثانية في المنصب المالي الأرفع في أمريكا. واستمر ذلك إلى أن ذهب غرينسبين نفسه إلى التقاعد... هل لأنه شخصية متميزة؟ أيضاً لا. فقد شاهدنا ذلك في مرحلة مبكرة: في عام[1] 1979 الرئيس الديمقراطي جيمي كارتر عيّن في هذا المنصب بول فولكر. "تبين لاحقاً أن كارتر لم يكن يعرف فولكر البتة. وقد رشحه لهذا المنصب دافيد روكفلر والمصرفي من وول ستريت روبرت روسا، اللذان أقنعا الرئيس أن فولكر بالذات قادر على تجاوز موجة القلق في عالم المال".

بلطف بالغ يجري جيمي كارتر التبديلات في حكومته. وبناء على "نصيحة الأصدقاء" يعين في منصب مفتاحي شخصاً لا يعرفه مطلقاً.

وها قد أصبح رونالد ريغان الجمهوري رئيساً. يخرج فريق كارتر بكامله ما عدا بول فولكر الذي يستمر في عمله. قد يكون غير منتم لحزب وهذا ما يسمح له بالبقاء عند تغير الحزب الحاكم؟ كلا، فولكر - عضو في الحزب الديمقراطي. لكن الجمهوري رونالد ريغان لا يبدله. بل بالعكس يعين بول فولكر من جديد على رأس النظام الاحتياطي الفيدرالي في 1983 عندما انتهت مدة السنوات الأربع من لحظة تعيين كارتر له، ويستمر بول فولكر في رئاسة النظام حتى عام 1987 إلى أن جاء إلى هذا المنصب الفائق الأهمية آلان غرينسبين.

---

[1] كارتر عيَّن فولكر في منتصف ولايته (التي دامت من 1977 حتى 1981).

وأطرف ما في هذا كله. أن باراك أوباما اقترح في 26 تشرين الثاني 2008 إنشاء مجلس استشاري للتعافي الاقتصادي. يتألف هذا المجلس الاستشاري للرئيس أوباما من خبراء غير حكوميين. واقترح باراك أوباما تعيين الرئيس السابق لنظام الاحتياطي الفيدرالي بول فولكر رئيساً لهذا المجلس!!!

فهل يمكن توقع تغيرات حاسمة من أوباما.

لا تستطيع حكومة الولايات المتحدة ولا سواها. إلغاء قرارات النظام الاحتياطي الفيدرالي، ولا الخزانة الأمريكية، ولا غيرها من المؤسسات الحكومية. فالنظام الاحتياطي الفيدرالي يصدر الدولارات، والأصح يقرضها لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية.

يقدم الاحتياطي الفيدرالي النقود للدولة بضمان سندات الدين التي تصدرها الدولة. وبعد ذلك تدفع أمريكا الدين للاحتياطي الفيدرالي مع الفائدة من الضرائب التي تجبيها من المواطنين والمؤسسات. فهذه السندات الحكومية المالية تضمن لمالكها نسبة فائدة. حالة طريفة. يعلم الجميع أن أمريكا تصدر سندات مالية. ولا أحد يطرح سؤالاً، لماذا لا تطبع هذه الدولة نقوداً بالمقدار ذاته؟. لاحظ هذه الغرابة حتى مخترع الكهرباء توماس أديسون: "من العبث أن نؤكد أن بإمكان دولتنا إصدار سندات مالية بمقدار 30 مليون دولار ولا يمكنها أن تصدر بنكنوتاً بالمقدار ذاته. وفي الحالتين يعتبر التصرف التزاماً بالدفع إلا أن الأول يفيد المرابين، والثاني يساعد الناس".

يستحيل المضاربة بالنقود، ليس لها قيمة اسمية وسعر صرف. أما السندات فيمكن ويجب أن يضارب عليها. فالسندات وغيرها من الأوراق المالية تتغير على الدوام بخلاف قيمة النقد. بسبب ذلك يشبه النظام النقدي الأمريكي والعالمي يشبه بيت المجانين.

الاحتياطي الفيدرالي أكبر دائن للحكومة الأمريكية. لقد بني الكون بحيث "يرقص المدين على مزمار الدائن". هل هذا غريب؟ سوف تكون هذه الغرابة مفهومة إذا أدركتم أن رئيس أمريكا يحكم على الورق فقط. أما السلطة الحقيقية فلا تعود له البتة. لذلك يأتي رئيس الاحتياطي الفيدرالي لأربعة عشر عاماً

أياً يكون الحزب الحاكم في واشنطن، ولا يعيقه عن استعمال كامل المدة سوى الأسباب الطبيعية. وتأكدوا إن لم تصدقوا.

متى حدث في تاريخ أمريكا أن عزل الرئيس الأمريكي رئيس الاحتياطي الفيدرالي؟

إن قصة إنشاء الاحتياطي الفيدرالي أشبه بقصة بوليسية مثيرة. لماذا على الدولة الأمريكية التي أصدرت بنجاح الدولارات على مدى 150 عاماً أن تتخلى عن ذلك؟ كان الدولار دائماً عملة صعبة جيدة. وهنا لا أقصد نوعية طباعته وإخراجه الفني، وإنما قدرته الشرائية. تذكروا روايات مارك توين، وجيك لوندون. فقد كان مبلغ مئة دولار حينها مبلغاً طائلاً. كان الدولار، وكذلك الفرنك والمارك والجنيه الإسترليني عملات متينة وغالية[1]. ورغم ذلك عشية الحرب العالمية الأولى كان الدولار الواحد يساوي روبلين قيصريين كاملين. يعني أن واشنطن كانت تعالج بنجاح المهمة كثيرة المصاعب. كان الأمريكان يتعلمون أثناء مسيرتهم بسرعة. قبل ظهور النقود الأمريكية الخاصة كانوا يستخدمون النقود الإسبانية والإنكليزية والفرنسية. في عام 1785 أقر الكونغرس اعتماد الدولار كوحدة نقدية. في عام 1792 صدر في فيلاديلفيا الدولار المعدني، وفي عام 1793 ظهرت الدولارات الأمريكية الأولى.

لماذا تعطى عملية إصدار العملة لدائرة خاصة؟ اطرحوا هذا السؤال ببساطة. 121 سنة والسلطات الأمريكية تقوم بنجاح بواجباتها المالية وفجأة بساعة واحدة أعطت هذا الحق الفائق الأهمية لآخر، أياً يكن. لماذا؟ أيعقل أن الدولة لا تستطيع

---

[1] كانت النقود غالية ولم تتغير قيمتها على مدى قرون. التضخم كان ضئيلاً. استمر ذلك كما يقول المؤرخون والاقتصاديون حتى بداية الحرب العالمية الأولى، وبعدها سارت الأمور نحو الأسوأ. أصبحت قيمة النقود تنخفض بسرعة كبيرة؛ ولكن ليس بسبب الحرب بل بسبب ظهور الاحتياطي الفيدرالي في عام 1913. فعندما تم إنشاؤه ولكن أيضاً البدء بالحرب العالمية. وقد بدأت الحرب بعد ثمانية أشهر من ولادة الاحتياطي الفيدرالي وقد دمرت في أتونها كل القوى العالمية التي يمكن لها أن تقاوم إطلاق آلة طباعة النقود في أمريكا بكامل استطاعتها الإمبراطوريات الروسية. الألمانية النمساوية - المجرية وعلى طريقها التركية. جرى ذلك وفق منطق متماسك - في البداية تصنع أداة اكتساب الهيمنة العالمية، وبعدها تحرض العداوات الكامنة بين الخصوم، لمزيد من التفصيل حول تنظيم الأنكلوساكسون للثورة الروسية راجع: ستاريكوف ،1917 لغز "الثورة" الروسية موسكو، بارزا - إكسمو، 2009؛ وحول تنظيم الثورة الألمانية: ستاريكوف. ن من أرغم هتلر على الهجوم على ستالين؟ بيتر، 2008.

بنفسها أن تسك النقود؟ إذا كانت لا تستطيع تنفيذ عمل بسيط كهذا فما الذي تستطيعه هذه الدولة بشكل عام؟

"... تلقينا أوامر أن ننسى اسم شهرتنا وألا نتغدى معاً قبل سفرنا. التزمنا بالحضور في الوقت المحدد إلى محطة السكك الحديدية عند شاطئ غودزون في نيوجرسي، وكذلك أن نصل متفرقين كل شخص لوحده بشكل متخف ما أمكن. عند المحطة يجب أن تنتظرنا سيارة السناتور أولدريتش الخاصة عند العربة الأخيرة في القطار المتوجه نحو الجنوب.

عندما اقتربت من تلك السيارة كانت الستائر مسدلة ويبدو شكل النوافذ من ضوء ضعيف أصفر في الداخل. عندما دخلنا السيارة بدأنا الالتزام بالكف عن ذكر أسماء شهرتنا. ونادى بعضنا بعضاً بالاسم الأول - "بين"، "باول"، "نيلسون" و"إيبي" قررنا أن نتخفى أكثر ولم نستخدم أسماءنا الشخصية"[1].

هذا ليس وصفاً للقاء مجموعة من الجواسيس المتخفين. وليس تقرير كبار أعضاء المافيا. بهذه الكلمات وصف أحد المشاركين في اجتماع سري اتخذ فيه القرار النهائي بإنشاء نظام الاحتياطي الفيدرالي.

حدث في عام 1910 على جزيرة جيكيل الصغيرة في المحيط الهادي. توجه أصحاب البنوك إلى الجزيرة متخفين وفق كل أصول التخفي.

"على مدى أسبوع أو عشرة أيام كنا معزولين تماماً عن العالم الخارجي. لم نستخدم الهاتف ولا التلغراف. كنا مختبئين في جزيرة نائية. هناك كان الكثير من الخدم الملونين، ولكن لم يكونوا يعرفون شيئاً عمن يكون بين أو باول أو نيلسون ناهيك عن فانديرليب أو ديفيسون أو آندرو. كل هذه الأسماء لا تشي لهم بشيء"[2].

تسلل رجال البنوك كاللصوص إلى الجزيرة النائية سراً. مستعملين أسماء مشفرة وموهوا مظهرهم الخارجي. في هذا المؤتمر الذي عقد في إحدى قاعات المؤتمرات في الفندق المعروف اليوم باسم Jekyll Island Club Hotel. تم الاتفاق،

---

[1] Frank A. Vanderlip, President, First Natioal City Bank Form Form Boy to Finamcier. New York: Appleton, 1935.

[2] Frank A. Vanderlep, President, First National City Banc From Farm Boy to Financie. New York: Appleton, 1935.

وحسب أقوال فرانك فانديرليب تمت كتابة تقرير السيناتور أولدريتش أمام الكـونغرس[1]. هـذا الشخص نيلسون أولدريتش هو الذي اقترح إنشاء بنك مركزي خاص في الولايات المتحـدة تحـت مسمى نظام الاحتياطي الفيدرالي.

إلا أنه لا بد من سبب لكل فعل. كذلك الأمر بالنسبة لتبديل النظام المالي للدولـة ولكـن السبب هنا - مالي. كانت الحجة التي اخترعوها نبيلة جداً. لقد أوضحوا لمجلس الشـيوخ ضرورة وجود دائرة تكافح الاضطرابات المالية بحرفية. وبالتالي في البدء توجب خلق هذه الاضـطرابات. وقد خلقوها.

لا يصمد أي بنك في العالم أمام حالة يطلب فيها كل المودعين أموالهم دفعة واحدة. وإذا رفض زملاء البنك في المهنة إقراض هذا البنك. وزيادة على ذلك طـالبوه بسـداد الـديون المترتبـة عليه لهم فانهيار هذا البنك يكون حتمياً. هكذا تـم ترتيـب الأزمـة، عـلى وجـه التقريـب، التـي سميت الفوضى المالية عام 1907. لدى الدراسة المتأنية لهذه الأزمة نرى بوضوح مناظر الحالات المألوفة حتى الإيلام. العلامات الفارقة التـي تميـز كـل الأزمـات اللاحقـة. كلهـا متشـابهة وكأنهـا توائم، ولكن ليس لكونها تحدث بسبب المشكلة الاقتصـادية ذاتهـا، بـل لكونهـا تـنظم بمنهجيـة واحدة.

اختير كهدف للتصويب بنك التمويل Knicker Bocker Trust. وكان ثالـث لاعـب في السوق من حيث حجم الاستثمارات. الشائعات المفاجئة عن مشـاكل جدّيـة في البنـك دفعـت المودعين لاسترداد أموالهم. توجهت إدارة البنـك إلى أكـبر أصـحاب البنـوك الـذي تـولى صـدارة الأعمال في تلك الفترة -جون بيربونت (جي بي) مورغان. لكنـه رفـض المسـاعدة رغـم أنـه كـان شريكاً في بعض أعمال صاحب البنك الذي حلّت به الكارثة. وقد أشاع خبر رفض مورغان ذعـراً وفوضى، بلغت ذروتها في 22 تشرين الأول 1907. منذ فتح البنك وحتى منتصف النهار سـحب المودعون حوالي 8 مليون دولار ما يعادل حالياً 50 مليون دولار. في منتصف النهار أغلـق بنـك Knicker Bocker Trust وأوقف كـل عمليـات الـدفع. وانـدفع المودعـون في مؤسسـات ماليـة أخـرى لإنقـاذ أمـوالهم. في 23 تشريـن الأول دبّ الـذعر إلى Trust Company of

[1] المرجع ذاته.

America . وهو البنك الذي يحتل المرتبة الثانية: لقد دفع خلال يوم واحد 13 مليون دولار من أصل 60 مليون دولار. في 24 تشرين الأول 1907 انتقلت الأزمة إلى بورصة نيويورك. وأخذت البنوك واحداً إثر آخر تغلق وتفلس (في هذا اليوم وحده أفلست 7 بنوك). وتبعتها دوائر وشركات الوساطات والسمسرة (في كل البلاد وليس في نيويورك وحدها).

وعندئذٍ ظهر على المسرح جي بي مورغان بصفة المنقذ. هو بالذات من (أنقذ) الاقتصاد الأمريكي. لأنه أحد المنظمين الرئيسيين للأزمة. رفض مورغان تسوية المشاكل في مرحلة بداية ظهورها، وتركها تستشري، وبعد ذلك بادر إلى إزالتها بشكل حاسم. لقد ضخ مع بقية أصحاب البنوك 25 مليون دولار في سوق الولايات، مما أدى إلى استقرار الحالة.

من المهم أن نفهم أن أية أزمة مالية- هي فقدان النقود. عندما تأتي النقود- تنتهي الأزمة.

إطفاء الحريق أهون على من أشعله. من يخفي شيئاً في غرفة مظلمة يجده أسرع من أولئك الذين لا يعرفون أين يوجد.

أخذت البنوك تصدر شهادات- "بديلة النقود" لكي تزيد كتلتها النقدية. ضمن مورغان ذاته دفع مستحقات مدينة نيويورك وبذلك أنقذ المدينة من الإفلاس. كانت مكانة جون بيربونت عالية جداً "يعرف الجميع أن كلمته أوثق أية أوراق"[1].

لم ينس "منقذ الوطن" جي بي خبزه اليومي. بحجة الإنقاذ من الموت اشترى شركة السكك الحديدة Tennessee Coal, Iron and Railroad (TCI). التي يهدد إفلاسها المرتقب بسقوط كثير من دوائر الوساطة ومالكي أسهمها. وعلى الرغم من أن الرئيس روزفلت[2]. كان ضد إنشاء الاحتكارات، فقد غضّ الطرف عن هذا الابتلاع.

انخفضت المؤشرات الاقتصادية نتيجة فوضى عام 1907. هبط سوق الأسهم بمقدار 37%. أفلس ما لا يقل عن 25 بنكاً و17 شركة كبرى؛ انخفضت أسعار

---

[1] غرينسبين ا. عصر الاضطرابات. موسكو، البينا بيزنس بوكس، 2007، ص 38.

[2] تيودور روزفلت، وليس فرانكلين وبلانو المعروف في الحرب العالمية الثانية، سوف نتحدث عنه تالياً.

الخامات 21%. وانخفض الإنتاج السنوي 11% وارتفعت البطالة من 2.8 إلى 8%. تكبدت الكثير من البنى الخسائر أما مورغان فخرج من الأزمة بالربح الكبير. لأنـه عـلى علـم بالانهيـار القـادم الذي رتبه بنفسه. لقد باع الأسهم بسعر غال ليشتريها لاحقاً بثمن بخس، كما أنه اشـترى أسـهم شركات أخرى يحتاجها محققاً مع ذلك أرباحاً، ولكن الربح الأكبر بالنسبة له هو ذلك الرأس مال الضخم من ثقة الشعب به فقد أصبح الكـل واثقـاً أنـه فقـط بفضـل تـدخل مورغـان لم تتسـع مقاييس الأزمة لتصبح شاملة. في حزيران 1908 أخذت المؤشرات الاقتصادية بالصعود في جامعة برينستون حيّا "البطل"- المصرفي رئيس الولايات المتحدة الجديـد وأثنـى عليـه وودرو ويلسـون: "من الممكن أن نتجنب كل مشاكلنا. إذا أنشأنا مجلساً مـن سـتة - سـبعة رجـال أمثـال جـي بي مورغان ليعالجوا مشاكل بلادنا".

وتلا الفعل الكلمة. أنشئت لجنـة النقـد القوميـة National Monetary Commrssion للتحقيق في أسباب الأزمة المفاجئة[1]. كان من مهامهـا دراسـة وضـع الأعـمال في النظـام المصرفي وصياغة التوصيات للكونغرس. من البديهي أن اللجنـة كانـت مشـكلة في أغلبيتهـا مـن أصـدقاء ورفاق "المنقذ" مورغان. وترأس اللجنة السيناتور نيلسون أولدريتش[2]. لا يصـعب أن نخمـن أن النتيجة الأساسية لعملها أصبح: "تفهّم" ضرورة إنشاء بنية يوكل لها تعـديل النظـام المـالي ومنـع حدوث الأزمات فيه لاحقاً، بعد ذلك حصـل اللقـاء السري لأصـحاب البنـوك في جزيـرة جيكيـل، حيث اتخذوا القرار بأن الظرف أصبح مؤاتياً لإنشاء الاحتياطي الأمريكي.

لقد صوروا النظام الاحتياطي الفيدرالي على أنه الإكسير الشافي من كل المصـائب الماليـة، المؤسسة الجـديرة يجـب أن تمـارس فقـط مراقبـة البنـوك التجاريـة كي لا تـتمادى في اللعـب في البورصة. ولكي تكون الرقابة فعّالة يجب أن تكون مؤسسة الرقابة مستقلة.

---

[1] أنشئت اللجنة بقانون أولدريتسن فيلاندا. (the Aldrich-Vreeland Act of May 30, 1908).

[2] لم يجتهد نيلسون أولدريتش دون غرض كانت ابنته زوجة المصرفي جون روكفلر الأصغر. حفيد السيناتور كان يدعى نيلسون أولدريتش روكفلر. الذي أصبح لاحقاً نائب رئيس الولايات المتحدة في عهد جيرالد فورد. لا أحـد يعرف الأسماء الحقيقية لمالكي الاحتياطي الفيدرالي. وكل الأسماء التي تنشر وليست سوى تخمينات. ولكن على الأرجح بين "أصحاب الحظ السعيد" توجد أسماء مورغان، روكفلر، بارتبوغ. أي أن الجميع من بيئة واحدة.

في تشرين الثاني 1913 اقترح نيلسون أولدريتش مشروع قـانون عـن النظـام الاحتيـاطي الفيدرالي وقدم لأعضاء مجلس الشيوخ. دون الخوض في التفاصيل المضنية لذلك التصويت. أريد التنويه أن هنالك شخصاً عارض المشروع. ذلـك الرجـل الـذي يحمـل الاسـم المخيـف السـيناتور غيلبيرت م. هيتشكوك، الذي وافق على ضرورة إنشاء مـنظّم مـالي، اقـترح فجـأة تعـديلات عـلى القانون تلغي الفكرة والهدف الذي سعى إليه أصحاب البنوك، اقترح أن يكون النظام الاحتياطي الفيدرالي حكراً على الدولة وليس قطاعاً خاصاً. في هذه الحالـة تملـك وزارة الماليـة حـق إصـدار النقود وإطلاقها في السوق. إلا أنه لأسباب مجهولة بالنسبة لنا رفضت تعديلات هيتشكوك وتـم إقرار مشروع القانون بسرعة. وقّع الرئيس الأمريكي القانون في عـام 1913 ذاتـه. بتعبـير أدق في الأسبوع الأخير من العام[1].

لم يُتعب أعضاء الكونغرس أنفسهم بالتدقيق في الوقائع الاقتصادية. وقد كانوا منهمكـين في الإعداد لأعياد الميلاد. أما أولئك الذين أدركوا أي انعطـاف في تـاريخ العـالم سـيحدث مرسـوم الاحتياطي الفيدرالي كانوا يحاولون إقناع زملائهم في صحة القرار المتخذ. أما أصحاب البنوك فقد كانوا في غاية الرضا.

"إجمالاً، هذا القانون الشهير هو الذي سيسهم إلى حدّ كبـير لـكي يسـتقر العمـل المصرفي ودورة رأس المال"[2] - قال إدمونـد د. غـولبيرت نائـب رئـيس شركـة: Merchants Loan and Trust Company. "سوف يؤدي إلى دورة مرنة لرأس المـال تخلصـنا مـن تلـك الاضـطرابات"، - كرر ث. م. هابليستون رئيس بنك ريتشمود. البنك الوطني الأول.

"سيحدث إقرار القانون تأثيراً إيجابياً على كل الدولة، وسوف يـدعم التجـارة. يبـدو أننـا على أعتاب عصر من الازدهار الاقتصـادي الشـامل"[3]. - قـال رئـيس المصرف الـوطني الأمـريكي مفعماً بالتفاؤل.

---

[1] مات جون بيربونت بعـد إنجـاز مشروع القـرار بقليـل.. مـات في 31 آذار 1913 في رومـا. ورث إمبراطوريتـه ابنه... جون بيربونت مورغان. يثير الاسم الواحد للأب والابن خلطاً في وصف الأحداث لدى كثير من المـؤلفين - يبدو أن مؤسس الاحتياطي الفيدرالي وجد إكسير الشباب الدائم والعمر المديد.

[2] New York, Senate, Decemder 20, 1913.

[3] http://hardball- perm.narod. ru/biblioteka/vlasn.htm#" 09.سامون "سلطة الدولار

لنتذكر كلمات خروشوف أنه في 1980 سيعيش السوفييت في الحالة الشيوعية، كانت مجرد كلمات جميلة، إلا أنه في الواقع لم يكن أحد جاداً في بناء الشيوعية في الاتحاد السوفيتي. كذلك كانت الكلمات جميلة فيما يخص إنشاء الاحتياطي الفيدرالي، ولكنها لم تكن تمت إلى الواقع بأية صلة. لقد أنشئ نظام الاحتياطي الفيدرالي لترتيب الأزمات في اللحظة اللازمة وليس لمنع حدوثها. في زمن مضى أخضعت أمريكا للأوروبيين بفضل الأسلحة النارية والصفائح المعدنية التي لم تخترقها سهام الهنود الحمر ورماحهم. بشكل مماثل حصل أصحاب البنوك في بداية القرن العشرين على الأداة التي تمكنهم من فرض هيمنتهم على هذه الأرض المباركة. بسيطرتهم على إصدار الدولار، استطاع المالكون الخفيون للاحتياطي الفيدرالي "الآلة الطابعة" أن يضعوا ويخلعوا الرؤساء. واحتكروا بشكل كامل سياسة الولايات المتحدة.

إن أفضل طريقة لإخفاء شيء ما- هو أن تضعه في مكان مكشوف تماماً. كل المعلومات عن الاحتياطي متاحة على الإطلاق. لا حاجة لأية شفرة أو كلمة سر- على الشبكة يوجد موقع رسمي للاحتياطي الفيدرالي، ويمكن زيارته ببساطة: www.federalreserve.gov. وبسهولة نجد برنامجه التعليمي: www.federalreserveedncation.org. ادخلوا هناك. جدوا الإحالة من الجهة اليسرى "History" وانقروا عليها. وسوف يعرض أمامكم نص عن تاريخ إنشاء "الدكان" وحتى صور أبطاله: جي بي مورغان ونيلسون أولدريتش. ثم اضغطوا على زر "Structure"، سوف يقترح عليكم القيام برحلة افتراضية في الاحتياطي الفيدرالي. يأتي من مكبر الصوت يُذكّر بمذيعي الأفلام الهوليودية الخيالة يقرأ النص ويبدأ عرضه. انظروا، واسمعوا. يصعب أن نصدق بوجود الاحتياطي الفيدرالي. ولكنه حقيقة. عليكم ببساطة أن تحسنوا القراءة والرؤية والتحليل. تثير الجملة الثانية في الرحلة: الاحتياطي الفيدرالي خليط من العناصر الاجتماعية والخاصة.

حتى الاحتياطي الفيدرالي ذاته لا يوحي بأنه بنية حكومية!

بديهي أن لا توضح حقيقته "خليط" وهذا كل شيء. لا يكتب في أي مكان ما هي نسبة "القطاع الخاص" وما هي نسبة "القطاع الحكومي"[1].

كل شيء بسيط ومبتذل رغم النظام المعقد. قبل إنشاء الاحتياطي الفيدرالي بزمن طويل جداً قال الشاعر الأنتيكي فيرجيل عن الأمر ذاته: "أواه أي شيء لا تدفعين الأرواح الجائعة إليه. أيتها الرغبة اللعينة بالذهب!".

لم يتغير شيء منذ ذلك الحين.

والآن لنبتعد قليلاً عن ذلك. يصعب الحديث عن المواد العليا والذرا المالية في كوكبنا. إنها بعيدة، غامضة وتُذكر كثيراً بأحداث فيلم بوليسي رخيص. وهنالك أشياء بسيطة ومفهومة ومعروفة للجميع. مثل الدولار "الأمريكي" الأخضر. في بداية هذا الباب بحثنا فيه بعناية واقتنعنا أنه ليس كل شيء، كما نتصور. دولار الولايات المتحدة لا يعود للولايات المتحدة. ولكن العجائب لا تنتهي هنا. سوف تقتنعون بذلك حالاً.

تعرف أوراق الدولار من الفئات التالية 1، 5، 10، 20، 50، 100 دولار. قلائل من يعرفون ورقة من فئة الدولارين وهي تعتبر تحفة نادرة، وتخرج من التداول بمجرد وقوعها في أيدي العارفين.

توجد مجموعة كاملة من أوراق النقد ذات الفئات: 500، 1000، 5000، 10000 و100000 دولار. وكثيرون لا يعرفون بوجودها لسبب وحيد بسيط: يمنع إخراجها من الولايات المتحدة وفق القانون المالي للدولة. أما الورقة من فئة 100000 دولار (الشهادة الذهبية إصدار 1934) لم تتوفر أبداً في التداول العادي واستخدمت فقط في الحسابات بين البنوك الاحتياطية الفيدرالية. رآها أفراد قلائل.

هل تعرفون صورة من على هذه الورقة النقدية؟ من هو الشخص الذي تزين صورته ورقة النقد من فئة 100000 دولار؟ ليس من الصعب أن نجيب على هذا السؤال، إذا تذكرتم أن نقود الولايات المتحدة يطبعها النظام الاحتياطي الفيدرالي وليس الدولة. لهذا النظام أبطاله، وسلمه الخاص للقيم، و"محبوبوه" في "غابة" التاريخ الأمريكي المظلمة.

---

[1] تفصيل مثير للانتباه: في حزيران 1991، وبعد أسبوع من انتخابه لمنصب رئيس الاتحاد الروسي: ألقى يلتسين خطاباً أمام مسؤولي الاحتياطي الفيدرالي.

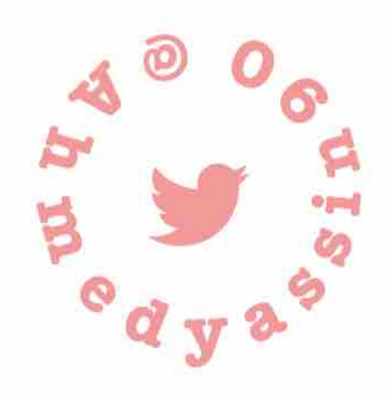
على البنكنوت من فئة مئة ألف دولار المتمتع بأعلى قيمة اسمية توجد صورة الرئيس الثامن والعشرين للولايات المتحدة وودرو ويلسون[1].

ترى "آلة الطباعة" الاحتياطي الفيدرالي أن هذا الشخص هو المسؤول الأعظم في التاريخ الأمريكي! بما أن صورة وودرو ويلسون مطبوعة على البنكنوت الأعلى قيمة في التاريخ، فهو إذن، "الإنسان الأكثر إنسانية" في كل الشعوب والأزمنة.

هكذا. نبدأ بدراسة الصور "العائلية" ونكتشف اكتشافات مثيرة جداً للاهتمام.

---

[1] http:/money.dmd.ru/description/dollars/.


@Ahmedyassin90

الفصل الرابع

انتخابات في "الكازينو"

ماذا نعرف عن خصوصيات الديمقراطية الأمريكية

لا يمكن أن تزرع شيئاً وتحصد شيئاً آخر.
مثلما تكون البذور يكون النبات.
حكمة هندية قديمة

المعطف ذو البطانة الذهبية
يغطي كل العيوب.
لوني دي فيغا

تصوّر، عزيزي القارئ، أنك إنسان متميز مختلف تماماً، مختلف جذرياً بشكل راديكالي. الجميع من حولك يجنون النقود بجهدهم. وأنت ببساطة تطبعها. هذا يعطيك إمكانيات لا نهائية. فالأعماق واللامحدودية تجذب البشرية على الدوام. تخلب لبَّنا ألسنة اللهب المتراقصة، يجذبنا المحيط وتثير انتباهنا السماء المفعمة بالنجوم أما اللانهاية النقدية تجذب الإنسان العاقل "Homo Sapiens" أكثر. اقترفت وتقترف من أجل النقود ملايين الجرائم.

من يسعى للحصول على نقود لانهائية مستعد لارتكاب أية أعمال قبيحة. إن الراغبون بالحلول مكان أولئك السعداء الذين يمتلكون سلطة صنع النقود من لا شيء كثيرون جداً. إنها سلطة ضخمة، تتيح أية إمكانيات. يمكن توظيف أفضل العلماء، الذين يقومون بأفضل الاكتشافات، يمكن اجتذاب أفضل الكتّاب والمخرجين والصحفيين الموهوبين. وهؤلاء سوف يوضحون بشكل مفهوم للعالم، أية فائدة ضخمة تجلبها بنية العالم المعاصرة للعالم. خيرة الأطباء، أشجع العسكريين، أجمل النساء. مواهب العالم كله، نفائس العالم وحتى العالم ذاته - كل ذلك يقع عند أقدامك.

هناك "لكن" واحدة صغيرة. مع كل جبروت النظام الاحتياطي الفيدرالي هو سريع العطب. إنه يتشكل اعتماداً على وثيقة واحدة فقط - مرسوم الاحتياطي الفيدرالي، الذي أعطى حق سك النقود في الولايات المتحدة "لدكان" من القطاع الخاص. هذا أساس هش جداً. يمكن مقارنة سلطة الاحتياطي الفيدرالي بحاملة طائرات ضخمة مسلحة بأشد الأسلحة فتكاً، وتقوم بالاعتماد على حبل متين وحيد. يكفي أن يقطع هذا الحبل وتهوي حاملة الطائرات إلى القاع. لن تتمكن أية أسلحة ولا بحّارة، مهما كانت مواهبهم، من إنقاذ السفينة. في أية لحظة يمكن أن يتخذ في الولايات المتحدة مشروع قرار آخر، يستعيد الحالة الطبيعية وتصبح الدولة بذاتها تطبع نقودها. نظرياً يمكن أن يحدث ذلك في أية دقيقة تماماً كما ظهر إلى الوجود مرسوم إنشاء الاحتياطي الفيدرالي. مشروع قرار، قبوله في مجلس الشيوخ، تصديق الرئيس وهذا كل شيء.

أجل بهذه البساطة. وفي الوقت ذاته الأمر معقد جداً. عندما يعلم الشرير مكان حتفه يحرسه باهتمام بالغ. يولي الاحتياطي الفيدرالي غاية الاهتمام لأضعف نقطة فيه. تقوم التلفزة والصحافة والنظام السياسي الأمريكي على حراسة هذا المكان. يتحدثون ويكتبون يومياً عن الاحتياطي الفيدرالي، مع أنه لا يعرف أحد اسم مالكيه. وكأن مالكيه غير موجودين، توجد تخمينات عمن يكونون فحسب. هذا يعني أنه لا يمكن فضحهم ويستحيل نقدهم. لا يمكن أن تحدث أية فضائح مالية أو جنسية مع من هو غير موجود. إخفاء الأسماء والسرية التامة - الشرط الأول للحفاظ على السلطة[1]. لا يمكن قتل أصحاب "الآلة الطابعة" أو تهديدهم، ولا يمكن انتزاع السلطة منهم نتيجة اعتقال مفاجئ. يمكن فقط إزالته بانتزاع المهمة من النظام الاحتياطي الفيدرالي، وليس بالضرورة كل مهمته. يكفي أن يعاد إلى الكونغرس حق سك النقود. أما الاحتياطي الفيدرالي فيمكن إبقاؤه وتركه ينظم، فلا تؤذي عضة الأفعى إذا انتزعت أنيابها.

[1] الانفتاح الكامل فيما يخص البنية - والسرية التامة عندما يتعلق الأمر بشخصية المالكين. يمكن نقد الاحتياطي الفيدرالي وشتم رئيسه - رجل أعمال موظف (أجير). ولا يمكن اتهام من وظفه بشيء لم يذكر أي رئيس للاحتياطي اسماً قط - وعلى الأرجح لا يعرفهم، لأنه يتعامل مع وسطاء أي مع رجال أعمال مأجورين (موظفين).

إذا كان مثل هذا الخطر ماثلاً. فلا بد من وضع سلسلة من الأعمال من شأنها أن تؤمن "الآلة". يمكن القضاء على الاحتياطي الفيدرالي فقط بواسطة القانون، وبالتالي لا بد من ضمان ولاء بنى السلطة في أمريكا. الرئيس، أعضاء الكونغرس. النخبة السياسية في البلد يجب أن يتم انتقاؤهم بعناية واختبارهم، السيطرة على آلية التشريع تعني السيطرة على "موت الشرير".

يتم تشكيل بنى السلطة في أمريكا بواسطة الانتخابات. يشارك فيها مختلف الأحزاب. إذن من الضروري أن يسيطر على الأحزاب السياسية. والسيطرة على حزبين اثنين أسهل من السيطرة على عشرة أحزاب. ومن المدهش أن الصراع السياسي يحدث بين ممثلي حزبين فقط: الديمقراطي والجمهوري. فقط أعضاء هذين الحزبين يصبحون رؤساء الولايات المتحدة على مدى تاريخها. ألا يوجد في الولايات المتحدة سوى هذين الحزبين؟ بلى توجد مئات الأحزاب. ويصل إلى البيت الأبيض[1] الديمقراطيون والجمهوريون فقط. لأن هذين الحزبين فقط يملكان أموالاً هائلة ودعماً غير محدود من وسائل الإعلام الجماهيرية. قد تكون شخصاً رائعاً شهيراً، وتفوق بمواصفاتك الروحية الأم تيريزا أو القديس فرانسيس، ولكن لن يكون لديك أية فرصة أن تربح الانتخابات. يعرف السياسيون ذلك. ومن يرغب بالانتصار في الانتخابات وليس مجرد المشاركة فيها. لا يذهبون إلى أحزاب أخرى. كما يعرف الناخبون ذلك ولا يرغبون في التصويت للأحزاب الثالثة. ولا يرغبون بدعم المرشحين المستقلين لأنهم لا يملكون أية فرصة للنجاح[2].

لنأخذ على سبيل المثال انتخابات رئيس الولايات المتحدة لعام 2008، كما هو معلوم انتصر فيها الديمقراطي باراك أوباما، ومنافسه كان الجمهوري جون

---

[1] إبان حرب الاستقلال الثانية احتل الأمريكيون عاصمة كندا العليا مدينة يورك (التي أصبحت تورينتو) وأحرقوها. جواباً على ذلك حوَّل الإنكليز واشنطن إلى رماد في آب 1814. حرص الأمريكيون أن يعيدوا بناء مقر الرئيس بالدرجة الأولى. وكان البناء الجديد يتميز بطلائه الأبيض على خلفية الرماد المحيط. منذ ذلك الحين أطلق على هذا المقر اسم البيت الأبيض المعروف في العالم كله.

[2] تاريخ وجود النظام ثنائي الحزب في أمريكا ترشح أكثر من 200 شخص من الأحزاب الثالثة بالطبع لم ينتصر أي واحد منهم في الانتخابات، المهم شيء آخر: ثمانية منهم فقط استطاعوا أن يجمعوا أكثر من مليون صوت.
http://www.easyschool.ru/books/15/15.

ماكين. ولكن ألم يكن في قائمة المتنافسين سوى اثنين. فقد كان في روسيا أربعة متنافسين على منصب الرئيس. هل يمكن أن يكون عدد المرشحين في أكثر الدول ديمقراطية أقل بمرتين من روسيا "الاستبدادية". لا يمكن ذلك فالانتخابات - هي أس الأسس في النظام الأمريكي. إنها إنجيل وقرآن وتوراة الإيديولوجيا الأمريكية. في الولايات المتحدة أكثر من 18 ألف منصب كلها منتخبة بدءاً من الرئيس وانتهاء بشريف مدينة صغيرة. هل يمكن أن يكون مرشحان فقط للمنصب الأهم في الدولة؟ بالطبع لا. كان هناك الكثير من المرشحين. فأمريكا دولة ديمقراطية. رشح مختلف الأحزاب من يرونهم أكفاء.

المرشح	الحزب
روبرت بار	الحزب الليبرالي
برايا نمور	الحزب الاشتراكي
تشاك بولدوين	الحزب الدستوري
سينتيا ماكيني	حزب "الخضر"
فرانك ماكينولتي	الحزب الأمريكي المستقل الجديد
غلوريا لاريفا	حزب من أجل الاشتراكية والتحرير
روجر كاليبو	حزب العمال الاشتراكي
آلان كيس	الحزب الأمريكي المستقل
تشارلز جاي	حزب الشاي
جين أموندسون	حزب المنع
تيد ويل	حزب الإصلاح

ترون، كل شيء على ما يرام. تتمثل كافة أحزاب الطيف السياسي. هنا الاشتراكيون بنوعين، والخضر، و"حزب الشاي البوسطوني"[1]. المنتمي إلى جذور الديمقراطية الأمريكية. حزب الإصلاح. حزب المنع - حزبان مستقلان. باختصار نظام مكتمل - 11 حزباً، إضافة إلى الجمهوري والديمقراطي. لإتمام النظام نهائياً نضيف مرشحاً آخر رالف نادر الذي يترشح بشكل مستقل. بالنتيجة يتنافس على منصب رئيس الولايات المتحدة 14 مرشحاً.

والسؤال الآن من منهم أمكن التعرف إليه خلال الصراع على المنصب الأعلى؟ بنسبة 99% لم يتعرف أحد إلا على مرشحين الحزبين الديمقراطي والجمهوري. ماكين أو أوباما. "مارس" و"سنيكرز" تشيب ودايل "كوكا كولا" و"بيبسي كولا". المبدأ ذاته. حتى الشعار الذي يتخذه كل من الحزبين الرئيسين في أمريكا: الحمار والفيل يدل على عدم جدية الصراع. إنه مجرد احتفال المهم فيه الديكور والتقدمات والإضاءة. وليس الأفكار والعقائد. لا أحد يستمع إلى الأفكار أثناء الاحتفال، ولا أحد يتفكر في حقيقتها.

استمرت الحملة الانتخابية طوال عام 2008 تقريباً. كل يوم يتحدثون في التلفزة والراديو ويكتبون في الصحف عن مرشحين فقط: جون ماكين وباراك أوباما. وها نحن لا نعرف إلا هذين المرشحين فقط. كل الاستطلاعات كل

---

[1] حزب الشاي البوسطوني (Bston tea Porty) - مشهد فائق الأهمية من المرحلة الابتدائية من صراع الأمريكيين من أجل الاستقلال. في الواقع حزب "الشاي" حصراً كان محرضاً للنزاع بين السلطة الاستعمارية والمستعمرات وساهم مساهمة كبيرة في إنشاء الولايات المتحدة الأمريكية. ولم يناضل الأمريكيون من أجل المساواة والأخوة والرفاه العام. بل ناضلوا من أجل حق التجارة الحرة وجني الأرباح. بتعبير آخر لم يكن بين الإنكليز والأمريكان أية خلافات إيديولوجية. كانوا يعالجون مسألة واحدة: من يحصل على الربح من التجارة؟ وكان الشاي حجة بسيطة. آثار قرار الحكومة الإنكليزية منح حق استيراد الشاي بدون جمارك إلى مستعمرات أمريكا الشمالية عام (1773) انزعاجاً عميقاً لدى سكان المستعمرات. فقد أصبحت تجارتهم الخاصة موضع استفهام بفضل حماية السلطات البريطانية. أكثر من عانى هم تجار الشاي المهرب من هولندا فقد أصبحوا مهددين بإبعادهم عن الأعمال. في تشرين الثاني عام 1773 قامت مجموعة من الأشخاص المجهولين متنكرين بلباس الهنود الحمر. والأرجح بتحريض وتمويل من تجار التهريب. قامت المجموعة بالتسلل إلى سفينة إنكليزية رست في ميناء بوسطن وكانت تحمل شحنة كبيرة من الشاي وألقوها في البحر. من هنا جاءت التسمية "الشاي البوسطوني". حكومة بريطانيا العظمى قررت إغلاق ميناء بوسطن حتى يتم تعويض الضرر بالكامل ووجهت سفناً حربية إلى إنكلترا الجديدة. أكثر من ذلك -اقرأ تاريخ أمريكا.

التصانيف تحدثت فقط عن هذا "الثنائي الجميل". يجري النقل المباشر من مؤتمرات هذين الحزبين فقط. وليس غريباً بنتيجة غسيل الأدمغة هذا أن يكون التصويت متدنياً جداً لأي مرشح سوى أوباما وماكين.

المرشح (الحزب)	عدد الأصوات الانتخابية	النسبة	عدد أصوات الناخبين	النسبة
باراك أوباما (الديمقراطي)	365	%62	68162737	%52.78
جون ماكين (الجمهوري)	173	%30	59223402	%45.85
رالف نادر (مستقل)	0	%0	723112	%0.56
روبرت بار (الليبرالي)	0	%0	531363	%0.41
تشاك بولدوين (الدستوري)	0	%0	189924	%0.15
سبنثيا ماكيني (الخضر)	0	%0	158551	%0.12

لكنهم يقولون دائماً أن أمريكا - مجتمع الفرص المتكافئة. وأين يمكن تأكيد ذلك سوى في الانتخابات. لماذا تتحدث كل وسائل الإعلام عن مرشحين فقط إذا كان عددهم أربعة عشر؟

لأن الحرية متوفرة ليس فقط عند السياسيين، بل وعند الصحفيين. يمكنهم أن يكتبوا عمن يرونه مناسباً ويظهرونه. لا أحد يهتم لمن هو محكوم عليه بالإخفاق مسبقاً. لذلك يكون الاهتمام كله للرئيس القادم. وينتخب فقط من اثنين وليس من أربعة عشر. لا يلزم أن يرغموا أحداً. كل القنوات التلفزيونية وكل الصحف سوف تستمر في الكتابة عن الديمقراطيين والجمهوريين. ولكن لا يمكن توقع نتيجة الانتخابات في كل الأحوال. وربما كانت النتيجة متوقعة جداً. الخيار إما أوباما أو ماكين فأين الغموض.

لكن حملة انتخابية تستمر تسعة أشهر لا تكفي، عندما تتحدث وسائل الإعلام عن اثنين فقط من أربعة عشر. لكي لا يكون بالتأكيد لأحد أية فرصة

في كسر احتكار الـديمقراطيين والجمهـوريين للسـلطة، اخترعـوا خدعـة ذكيـة. وهـي مـا يسـمى الانتخابات التمهيدية، أي الانتخابات داخل الحزب واختيار مرشح وحيد كفء عنه، وهي تجري عملياً على امتداد مرحلة زمنية كالتي تجري فيها الانتخابات الرئاسـية. مهمتهـا - اختيـار ممثـل عن الحزب من بين عدة مرشحين من كل حزب. وهو الذي ينتقل إلى الدورة الثانية ويمثل حزبه في الانتخابات الرئاسية الأمريكية. يكمن ذكاء الخدعة في أنهم مرة أخرى على مـدى نصـف عـام وأكثر يروون لنا عن كل مفاجئات اختيار حزبين فقط. ذات الحزبين غـير المختلفـين الـديمقراطي والجمهوري. من الصباح إلى المساء على شاشات التلفزة أوباما وماكين يتنافسـان مـع محـازبيهما على حق الترشح وحيداً عن حزبه. على مدى عدة أشهر هذا النبـأ الأول في أنبـاء أمريكـا، يعنـي وفي العالم كله. تجـري الانتخابـات في واقـع الأمـر منـذ زمـن رغـم أنهـا لم تبـدأ بعـد. انتخابـات حقيقية: مجموعات دعم. ناشطون، مطبوعات، إشارات، مقابلات متلفزة، أحاديث صحفية. أول أعمدة الصحف والمجلات. يعدون الأمريكان مسبقاً - لا يستطيع أي حزب آخر (ومن بـاب أولى أي مرشح مستقل) أن يؤمن لشخصه مثل هذا الاهتمام.

والانتخابات التمهيدية مصممة بشكل مثـير للاهـتمام. يبـدو للوهلـة الأولى أن المـواطن العادي لا يهتم لمن يرشحه الحزب. يعقد المؤتمر - ينتخبون المرشح وبعـد ذلـك يتلقـى المـواطن نشرة في قطاعه ويعبر عن رأيه بهذا الحزب بصوته. لكن لا، ينتخبون المرشح لمدة زمنيـة بمقـدار ما تحتاجه المرأة الحامل لتضع مولودها هذه المدة الطويلة لغسل دماغ الناخب حتـى البيـاض. طوال هذا الوقت ينهال على المـواطن المسـكين سـيل هائـل مـن المعلومـات والتوقعـات. كيـف يترتب الصراع إذا رشح الديمقراطيون هيلاري كلينتون. كيـف سـيكون إذا رشـحوا بـاراك أوبامـا. وطوال الوقت عن مرشحي حزبين فقط والتكرار المستمر كفيل بمعالجة الموضوع.

من يشارك في الانتخابات التمهيدية؟ مـن المنطقـي أن نفـترض أن المرشـح عـن الحزب يختاره أعضاء ذلك الحزب ذاتـه. لـيس الأمـر كـذلك. هنالـك عـدة أنـواع مـن الانتخابات التمهيدية. في المغلقة منها يشترك أعضاء الحـزب المسـجلون فقـط. ولكـن إذا جرت في الولايـة انتخابـات تمهيديـة مفتوحـة فـيمكن أن يشـارك فيهـا أي قـاطن

في الولاية بصرف النظر عن انتمائه الحزبي! رتب الموضوع بشكل عبقري - تبقى عام على الانتخابات تقريباً ولكنها تجري بكل نشاط. ويشارك فيها مرشحو حزبين فقط.

أين هو تكافؤ الفرص؟ أين هي فرص المرشحين المتساوية، أية ديمقراطية هذه؟

يقول الليبراليون: هذه هي الديمقراطية الحقيقية. هذا هو نموذج يحتذى لكل البشرية. "في الواقع، أصبح الاقتصاد الأمريكي مصدراً للأزمات العالمية. إلا أن أمريكا على امتداد 200 عام برهنت قدرتها المدهشة على الحياة. وهذه القدرة على الحياة مرتبطة بقاعدة سليمة إلى حد بعيد، بكون أمريكا - دولة قانون، بوجود منافسة سياسية"[1].

لا يرى ديمقراطيونا الأقحاح أي غرابة. فهم إما عميان أو سذّج. أو أنهم يعيشون في عالم أحلامهم الذي لا صلة له بالواقع. أو ربما هنالك أسباب أخرى أكثر مادية لحبهم غير المحدود للولايات المتحدة الأمريكية؟

والآن انظروا إلى أي مدى يكون الاختيار بين مرشحين من الحزب ذاته مبدئياً، حيث الصحف والتلفزة تتحدث عنه باستمرار على مدى شهور. هيلاري كلينتون أم باراك أوباما؟ من سيكون مرشح الديمقراطيين؟ يقدمون هذا النبأ لكل العالم على أنه فرق هام. من سيربح؟ من الأفضل والأحق؟ أما في حقيقة الأمر لا فرق بينهما إطلاقاً، ولا يختلف برنامجاهما. ويمكننا أن نؤكد ذلك، أولاً، لأن الصراع يحدث في إطار حزب واحد. لا يوجد بين متحزبي أمريكا ميالون لليمين أو اليسار، لا يوجد بلاشفة أو مناشفة. وثانياً، لأنه بعد نجاح الرئيس الطازج باراك أوباما عيّن هيلاري كلينتون مستشارة للأمن القومي. وهي منافسته التي خاض ضدها صراعاً "حتى الموت" في الانتخابات التمهيدية. والتي كانت خلافاته معها "مبدئية". أين ذهبت تلك الخلافات بعد نجاحه. في الحقيقة لم يكن هناك أية خلافات. يعرضون للناخب الأمريكي، في الحقيقة، اختياراً تجميلياً خالصاً للون والجنس (كالمفروشات في المخزن). ما الذي يعجبكم أكثر: رئيس أسود ذكر مع

---

[1] هذا اقتباس من خطاب بوريس نيمتسوف على هواء راديو "صدى موسكو".
http://www.echo.msk.ru/programs/sorokin/556916-echo/.

أنثى بيضاء على رأس السياسة الخارجية أم رئيس أنثى بيضاء مع ذكر أسود وزيراً للخارجية؟ لأنه لو انتصرت هيلاري كلينتون لعينت أوباما حتماً وزيراً للخارجية.

ولا تنتهي هنا المفاجآت التي تنتظر من يريد التدقيق في الانتخابات الأمريكية "الديمقراطية".

يختلف عدد المرشحين في قوائم الانتخابات من ولاية لأخرى.

"لكي يدرج الاسم في قائمة المتنافسين على البيت الأبيض يحتاج إما لترشيح رسمي من حزب كبير لدرجة كافية، أو أن يقدم للسلطات عدداً محدداً من تواقيع مناصريه، وهذا العدد اللازم للترشيح يختلف من ولاية لأخرى"[1].

أي أنه سيدخل في هذه القائمة أصحاب الحظ السعيد المعروفة أسماؤهم على نطاق واسع في كل الولايات المتحدة. كما يدخل مشاركون يوجدون في قوائم بعض الولايات فقط.

كيف يمكن ذلك؟ تصوروا أن في مختلف المقاطعات الروسية أثناء انتخابات رئيس روسيا قوائم ذات أعداد مختلفة من المرشحين أربعة هنا. ثلاثة هناك واثنان في مكان آخر هل تتصورون غضب المدافعين عن الحقوق والليبراليين؟ فكل طفل يعرف أن من يغيب اسمه في بعض أجزاء البلاد لا يملك أية فرصة للنجاح.

من المتواجد في قوائم كل الولايات ويملك فرصاً للنجاح؟ الأمر واضح أنهم مرشحو الديمقراطيين والجمهوريين. هذان السيدان بالذات هما من سيخوضان الصراع. وفي النتيجة سينتصر أحدهما. ولكن حتى هذا غير كاف بالنسبة للآباء المؤسسين للاحتياطي الفيدرالي. يجب الاحتراس والتأمين عن المفاجآت.

يجب أن تكون كل الأحزاب الكبيرة وليس فقط الحزبان الرئيسان تحت السيطرة. ((الثلاثة الكبار من القوى السياسية البديلة في أمريكا هي: الحزب الليبرالي، حزب "الخضر" والحزب الدستوري. ستكون أسماء مرشحيها موجودة في قوائم معظم الولايات. مرشحو عدة أحزاب ثالثة سيكونون في قوائم عشرة أو أقل من الولايات))[2].

---

1 http://www.lenta,ru/articles/2008/09110/parties/.

2 http://www.lerta.ru/articles/2008/09/10/parties/.

إذن، مرشحو ثلاثة أحزاب سيتواجدون في كل مكان في القوائم التي سيراها الناخبون يوم الانتخابات. وبذلك يكون لديهم فرصة وهمية للنجاح. إذا أجرينا مقارنة جدول نتائج الانتخابات الواردة أعلاه نرى أن مرشحي هذه الأحزاب بالذات عدا عن الحزبين الرئيسين هم من يحصلون على أصوات الناخبين. العلاقة مفهومة: موجود في القائمة - تحصل على الأصوات. لست موجوداً هناك - لا أصوات. فإذا كنت في قوائم ولاية واحدة أو ولايتين. فلن تحصل في النتيجة على شيء.

نظام "تكافؤ الفرص" المثير للاهتمام يعمل في أمريكا، ولكن عجائبه لا تنتهي بذلك. تنتظرنا المفاجأة الكبيرة التالية:

كل مرشحي الأحزاب الثلاث البديلة لانتخاب رئيس أمريكا "الثلاثة الكبار"... هم أيضاً جمهوريون أو ديمقراطيون!

1 - الحزب الليبرالي.

"عضو الكونغرس بوب بار الجمهوري سابقاً دخل الصراع لترشيحه عن الحزب قبل أسبوعين فقط من المؤتمر الوطني للحزب الليبرالي، وكان هذا الوقت كافياً"[1].

اقتباس واحد عرفنا منه الكثير. يتبين أن روبرت بار - عضو سابق في الحزب الجمهوري. تلفت الانتباه مدة الترشيح: لم يحتج لانتخابات تمهيدية. لم تكن الحفلة التي تستمر نصف عام - أسبوع واحد كان كافياً.

2 - حزب "الخضر".

سينثيا ماكيني[2] ديمقراطية سابقاً، عملت سنوات في مجلس النواب ولها خبرة كبيرة في انتقاد الجمهوريين.

3 - الحزب الدستوري.

الكاهن - البروتستانتي[3] تشاك بولدوين... ترأس في بينساكولا ومن ثم على مستوى ولاية فلوريدا قسم "الأكثرية الأخلاقية"- وهي التنظيم السياسي-

---

1 http://usa.lenta.ru/hopefuls/barr/.

2 http://usa.lenta.ru/hopefuls/mckinney/.

3 هل يمكن أن ينتصر في الانتخابات الأمريكية كاهن بروتستانتي.

الاجتماعي للبشر المعروف ورئيس المحافظين المتدينين جير فالويل. في ذلك الحين عمل بولـدوين لمصلحة الحزب الجمهوري[1].

تلكم المفاجأة كل الخيول التي لها أية فرصة للانتصار هي من إسطبل واحـد. لـو نظرنـا مرة أخرى إلى الجدول الـذي يبـين عـدد الأصـوات التـي نالهـا المرشـحون. باسـتثناء رالـف نـادر المستقل كل الذين حصلوا على أصوات هم- أوباما، مـاكين، ويضـاف إلـيهما الثلاثـة الكبـار مـن الإطار ذاته.

ويقصون علينا أساطير جميلة عـن الديمقراطيـة والحريـة في الانتخابـات. لا يوجـد صراع حقيقي نزيه على كرسي الرئاسة في أمريكا! هنالك حفلة جميلة باهظـة التكـاليف. أيعقـل أن لا يعرف محبو أمريكا عندنا مثل كاسباروف، نيمتسوف. كاسـيانوف، بـوزنر وسـواهم، حقيقـة مـا يجري في أمريكا؟ فإذا كانوا يعرفون ويفهمون ويستمرون في إنشاد المدائح لأمريكا، من يكونون عندئذٍ؟

إجمالاً، حتى مرشحو "الصنف الثالث" هم أيضاً جزئيـاً مـن الإطـار ذاتـه: عنـدما كـافح الدبلوماسي المتقاعد والمذيع السابق آلان كيس لترشـيحه للرئاسـة عـن الجمهـوريين، كـان الأقـل حضوراً من بين مرشحي الحزب[2]. بقية "المصارعين" من أجل كرسي البيت الأبـيض - هـم مجـرد شجيرات وأعشاب وأشجار لتزيين منظر اللوحة السياسية الأمريكية. لكي لا تبدو رتيبة وحزينة.

كما في القلعة القوية، في معقل الديمقراطية، كما تحب أمريكا أن تسـمي نفسـها حمايـة متينة من الغرباء؟ كلا، مـن الأقربـاء، لـكي لا ينـتصر، لا سـمح اللـه، في الانتخابـات الأمريكيـة مواطن أمريكي لا يكون صنيعة أصحاب البنوك من وول- ستريت.

خط الدفاع الأول - حزبان قويان يتنافسان مع بعضهما.

الثاني - ثلاثة أحزاب من الدرجة الثانية.

وهناك خط ثالث، في أمريكا لا ينتخـب المواطنـون الـرئيس مبـاشرة كـما في روسيا. إنهم يرشحون كبار الناخبين الذين ينتخبون رئيس الدولـة. وهنـا يمـر خـط

---

[1] http://usa.Lento.ru/hopefuls/198313/.

[2] http://usa.Lenta.ru/hopefuls/keyes/.

الدفاع الثالث. كل ولاية أمريكية تقدم عدداً يختلف عن الأخريات في الحصالة القومية العامة. بشكل يتناسب مع عدد سكانها. هناك ولايات هامة وأخرى من الدرجة الثانية وهناك ولايات فائقة الأهمية. أكبر عدد لكبار الناخبين (55 شخصاً) من أكثر الولايات سكاناً - كاليفورنيا. يمثل فلوريدا (27) ناخباً كبيراً. تكساس (34). 3 أصوات تملك كل من يوتا، مونتانا، آلاسكا - فيرمونت. ديلاور. وايومينغ وداكوتا الشمالية - السيطرة على الوضع لا يتحتم الرقابة على كل الولايات، يجب أن يسيطروا على الولايات الأهم من حيث عدد كبار الناخبين. هنا بالذات لا يتواجد في القائمة من لا يجوز أن ينتصر. وهذه ضمانة لنجاح من يجب أن ينجح.

تصوروا كازينو ضخماً. تقع في مركزه رولتيكا المقامرة وفيها 14 حفرة وليس 36 كما في واقع الكازينو. وعلى امتداد أكثر من مئتي سنة[1] تقع الكرة في حفرتين فقط. يربح دائماً رقمان فقط (1) ورقم (2). في الـ 12 الباقية لا تقع الكرة أبداً. واستمر الحال 200 سنة. ويعرف كل رواد الكازينو هذه "الخصوصية" هم مقتنعون بأن أحد الرقمين سيربح حتماً. فهل تكون النتيجة غير قابلة للتوقع؟ سيكون كذلك لو أن الكرة تقع في الحفر كلها باحتمالات متساوية. أما في حالة الرقمين فلكل منهما احتمال 50% للانتصار والبقية الاثنا عشر - احتمال 0%.

على أي الأرقام تراهنون؟

ألا تبرز لديكم شكوك أن في هذا المكان أموراً ليست نزيهة؟

ألا يبرز إحساس بغرابة ما يحدث. أنهم هنا يتلاعبون ويغشون؟ أو أن الآلة قد تآكلت؟ أو أنه تحت الحديد والمخمل يوجد "مغناطيسات" ما لجذب الكرة؟

بالمناسبة يوجد بعض غريبي الأطوار مع علمهم أن احتمال الربح في الأرقام الأخرى معدومة، ومع ذلك يراهنون عليها. تعبيراً عن الاحتجاج ببساطة.

إذا أردت أن تحصل على أرباح ضخمة من مشروب غازي، فلا حاجة مطلقاً أن تحظر إقامة مصانع جديدة لإنتاج الشراب. لا تحتاج أيضاً لتفجير المصانع القديمة

[1] الانتخابات التي فاز فيها باراك أوباما، الرئيس السادس والخمسين في التاريخ الأمريكي.

التي لا تملكها يكفي أن تكتب كل الجرائد ويتحدث التلفزيون والراديو صباح مساء عن شرابك بالتحديد. وسيختفي المنافسون بهدوء وسلام.

أجل، بهذه البساطة فالإنسان ينصاع للإيحاء ببساطة. كل شخص! وهو مع ذلك يعتقد أنه بالذات عصي على الإيحاء بكل تأكيد. تذكر كم دعاية ترى وتسمع في اليوم؟ إذا لم تعط مفعولاً، إذا لم تشتر ما يلحون عليه في الدعاية لما صرف أحد نقوداً بدون فائدة. طالما يدفعون - يعني - الأمر يسير. طالما يسير الأمر - فإنهم يدفعون. وهذا لا يسري في الاقتصاد فقط. في السياسة تملك الدعاية المفعول ذاته. رغم أنك، عزيزي القارئ، تعتبر طبعاً أن هذه المصائد لا تؤثر عليك أنت شخصياً. علي أن أخيب ظنك.

يحتاجون فقط لأخذ خصوصية واحدة لنفسية الإنسان بعين الاعتبار. كل إنسان يعتبر نفسه شخصية، فرداً. وليس صفراً ويريد أن يحترم. يتمنى الإنسان أن يتخذ القرار بنفسه يزعجه أن يفرض عليه شيء ما ويحرم من إمكانية الاختيار المستقل. يريد أن يختار الشراب لنفسه. لذلك يجب أن يوجد على رف المخزن أكثر من شراب على الأقل اثنان وليس ما يتحدثون عنه في كل مكان. حتماً يجب أن يقف إلى جانب "كوكا كولا" مثيلتها "بيبسي كولا". وإلا لن يكون مثيراً شراء "كوكا كولا" المتفردة. لا يوجد اختيار والأدق لا يوجد وهم الاختيار لذلك يقدمون للإنسان في ذلك النظام الذي يدعى "ديمقراطياً" بكل اعتزاز. لا يقدمون خياراً بل تمثيلاً له. القضية هي أن الشراب الأول والثاني من خلال شبكة من الشركات. والأرصدة والواجهات والرؤساء غير المعلنين لينتجهما الأشخاص ذاتهم. أياً كان ما تشترون فتجري الأرباح إلى الجيوب ذاتها. لم يشأ قادة الحزب الشيوعي السوفيتي أن يفهموا هذه الحقيقة البسيطة بأي شكل من الأشكال. كان من الواجب أن يكونوا تعددية في الأحزاب؛ الحزب الشيوعي السوفيتي- 1 والحزب الشيوعي- 2... لم يفعل ذلك أحد. لذلك وقت اللزوم لم يوجد في الاتحاد السوفيتي الشراب الجديد الجاهز. وعندما سئم الشعب القديم حتى الموت.

في الغرب توجد التعددية الحزبية منذ زمن بعيد. والأصح الثنائية الحزبية. في كل الدول تقريباً ينتصر في الواقع حزبان فقط وهذا يعني أن الصراع بين هذين

الحزبين فقط. الأحزاب البقية مجرد أشكال. يوجد حزبان، يتنافس مرشحان. وقيادة هذين الحزبين والمرشحين تقع في الأيدي ذاتها. في واقع الأمر لا يوجد أي تنافس. توجد فقط مبارزة في الفصاحة، وفي المقدرة على التماسك أمام الجمهور. أما في حقيقة الأمر لا فوارق مبدئية بين المهرجين الواقفين على المسرح. يوجد تلوين لا أكثر.

اقترح أوباما سحب القوات من العراق خلال ثمانية أشهر، ولكنه سيزيد عدد قوات التدخل في أفغانستان وباكستان المجاورة. حيث تختبئ القاعدة الأسطورية الخرافية.

اقترح ماكين إبقاء القوات في العراق وأفغانستان ولم يتحدث بشيء، عن إدخال قوات إلى باكستان.

ماذا في النتيجة؟ في تشرين الثاني 2008 عقدت اتفاقية جديدة بين أمريكا والعراق يبقى بموجبه اليانكي هناك حتى 2011. عقده جورج بوش المغادر، لكن أوباما لن ينقضه باحتمال 100%. قد توجد أسباب قوية لتأجيل الخروج السريع من العراق. مثل عمل إرهابي كبير أو تغير في الموقف الجيوسياسي. قد تكون الحجة أي شيء. أما إلى باكستان فلن ينسى أوباما "التدخل" وقد زاد من عدد القوات في أفغانستان.

يحدث ذلك لأن السياسة الخارجية الأمريكية لا تحدد بالوعود الانتخابية لهذا الشخص أو ذاك التي يقطعها أثناء الحملات التمهيدية، وإنما بالمصالح الإستراتيجية لهذه الدولة. من هذه الزاوية تجب قراءة تصرفات أقوى دول العالم. كل ما تبقى - قشور كلامية، غلاف لذلك اللب السياسي المر.

تدور السياسة في هذه الأيام حول الأنبوب النفطي والغازي. الكربوهيدرات -هي دم السياسة المعاصرة. 30% من الاحتياطات العالمية توجد في الشرق الأوسط. لذلك احتلت أمريكا العراق. كان اهتمامها بالنفط وليس بالبحث عن قواعد الإرهابيين و عن أسلحة الدمار الشامل المزعومة. هل تخرج أمريكا من هناك؟ طبعاً. لا.

لماذا تهتم أمريكا بأفغانستان؟ انظر إلى الخريطة في الجوار آسيا الوسطى، الصين، الهند، باكستان، إيران. يمكن بسهولة نقل الاضطراب المفتعل في هذه

المنطقة في الاتجاه المطلوب. المكان هام جداً: بالتواجد هناك يمكن في ذات الوقت تهديد المنافس الرئيس الصاعد - الصين. الضغط على روسيا. إبقاء الهند تحت السيطرة وتهديد إيران. أي عارف بالتاريخ يعرف حقيقة ملطخة بالدم الغزير - يستحيل إخضاع الأفغان. على مدى التاريخ كله لم يتمكن من ذلك أحد. ولن يتمكن الأمريكان منه. لكن التواجد في هذا المكان على درجة من الأهمية بالنسبة لأمريكا بحيث يضاعف عدد القوات في أفغانستان. ولتقليل الخسائر يخترع "التحالف ضد الإرهاب". يخدم في هذا البلد البعيد اللاتفيون والإستونيون. هل يستأهل الأمر أن يخرجوا من الاتحاد السوفيتي ليعودوا ثانية إلى أفغانستان؟ بالطبع يستأهل - فالآن يستطيع سكان هذه البلاد السفر إلى أمريكا دون فيزا[1].

في جوار أفغانستان تقع باكستان، الحليفة للولايات المتحدة. إلا أن ذلك لا يمنع طائراتها دون طيار ومخابراتها المقيتة من الدخول إليها بانتظام. طبعاً للبحث عن الإرهابيين. حتى بدون موافقة باكستان ذاتها. ويزمع باراك أوباما تطوير هذا التقليد اللطيف. الهدف ذاته - الاضطراب قرب الحدود الصينية.

أما فيما يخص إيران. سوف نرى استمرار السياسة ذاتها ((لدى الرئيس الأمريكي المنتخب باراك أوباما فرص ضئيلة للابتعاد عن خط السياسة الخارجية الذي خطه الرئيس جورج بوش - صرحت سكرتيرة الأمن القومي الأمريكي كوندا ليزا رايس في حديث لصحيفة فايننشال تايمز. لقد صرحت بأن الإدارة الجديدة ستتابع على الأرجح سياسة بوش بالنسبة للبرنامج النووي الإيراني))[2].

لا شيء غريب - إيران ليست أقل غنى بالنفط والغاز من جارتها الممزقة العراق من هنا يأتي اهتمام أمريكا. الحجة - بناء محطة كهربائية نووية، احتمال صنع سلاح نووي. كما حصل مع العراق: يقصفون ويدمرون البلد ولا يجدون سلاحاً ذرياً. ويبقون هناك. هل هو احتلال؟ حاشا لله. إنها حكومة إيران "الحرة" هي التي تطلب من الأمريكان البقاء للصراع مع الإرهابيين. أي ضد من يبدأ النضال ضد من احتل وطنه. بنجاح مماثل تمكن محافظ أوكرانيا الفاشيستي إيريخ كوخ أن يطلق

---

1 http://www.regnum.ru/news/1076399.html.

2 http://www.gazeta.ru/new/lenta/2008/12/12/n_311215.shtml.

تسمية إرهـابيين عـلى الأنصـار السـوفييت فقـد كـانوا في الفـترة مـا بـين 1941-1945 يفجـرون الجسور، يخربون السكك الحديديـة يقلبـون القطـارات في المنحـدرات. كـل ذلـك أدى إلى قتـل السكان المدنيين. إلى استحالة ترتيـب حيـاة مقبولـة في المنـاطق المحـررة مـن البلاشـفة. والقتـل المستمر للشرطة والجنود. تفجير القنابـل، الهجـمات عـلى قوافـل السـيارات التـي تنقـل الخبـز لأطفال أوكرانيا وبيلاروسيا.

إذن، ما هو الفرق بين مرشحي الرئاسة الأمريكيين، إذا كانت سياسة أمريكا لا تتغير قيـد أنملة رغم الصراع والوعود. الاختلاف في الضرائب. يَعد الديمقراطيون بتخفيض الضرائب للفقـراء. والجمهوريـون - للأغنيـاء. وسـكان أمريكـا يتصـورون خريطـة العـالم عمومـاً بشـكل مـبهم. ولا يتصورون أن المشاكل السياسية في الكوكب تنتج السياسة الداخلية وليس الخارجية.

النتيجة بسيطة. لا يوجد أي فرق بين من ينتصر في انتخابـات رئـيس الولايـات المتحـدة. قراراته السياسية الخارجية، بمقدار ما يمكن التنبؤ بالسياسة العالميـة عمومـاً، مقـررة منـذ زمـن طويل من قبل القوى التي تقيم لمتعة الجمهور حفلات جميلة ومكلفة تحت تسـمية "انتخـاب رئيس أمريكا".

عندما يلعب لاعب واحد الشطرنج مع نفسه بالأبيض والأسـود يسـتحيل أن يـخسر مـن حيث المبدأ. كلا المرشحين تابعان له. لا حاجة للغش والتزوير[1]. هل فكرتم يوماً لمـاذا لا يخـرج احتـدام الصراع السـياسي إلى الشـارع في الغـرب؟ لمـاذا لا يمكـن أن يخـرج المرشـح الخـاسر إلى "الميدان". يعترض على النتائج وينظم اضطرابات تنتقل انسـيابياً إلى انقـلاب في الحكومـة؟ لمـاذا يقبل الخاسر هزيمته دائماً وبسلام؟

---

[1] رغم ذلك تسجل المخالفات في انتخابات رئيس أمريكا بشكل منتظم: "تزوير قوائم الناخبين حرمـان النـاخبين من حق التصويت، أعطال في نظام التصويت الإلكتروني. في معظـم الولايـات لا يوجـد تشريـع يضـمن وجـود المراقبين الدوليين في الانتخابات. لوحظت مشاكل في تأمين التصويت السري، وفي تنفيذ إجراءات حتى القـوانين الفيدرالية" (خطاب ممثل روسيا الدائم في اجتماع المجلس الدائم للأمن الأوروبي. فيينا. 6 تشرين الثاني 2008). يحدث ذلك لأنه "في المكان" يتصارعون بنزاهة، أي يحاولون الانتصار بكل السبل، ويجعلوا من مرشـح حـزبهم رئيس، أما بالنسبة لأصحاب الاحتياطي الفيدرالي فلا فرق عندهم.

يقول الليبراليون: إنها ثقافة عالية في الصراع السياسي. كلا، لا يندفع أحد إلى السلطة لأنه لا يوجد صراع حقيقي على السلطة، يوجد اثنان مأجوران لذات القوى العائدة لصاحب السلطة الحقيقي. توجد قواعد للصراع. ابتسامات، وعود، نقد. صراع نزيه - أياً كان من يختاره الناخبون. في حالة الهزيمة - خروج جميل (لاحظوا أن السياسيين الأمريكيين الخاسرين في الانتخابات يذهبون إلى الظل عادة). الأمور كلها متشابهة باستثناء "التجميل" السياسة ستكون ثابتة. لن يصل أبداً إلى السلطة في أمريكا من يضع في برنامجه حل حلف الناتو، إقامة حلف عسكري مع روسيا أو تسريح الجيش الأمريكي لاختصار نفقات الميزانية.

والأمر الرئيس بالنسبة للسياسي الأمريكي - ألا يعتدي أبداً على أقدس المقدسات، على النظام الاحتياطي الفيدرالي.

آن الأوان لطرح سؤال: كيف وبواسطة أية قوى تمكن السيطرة على مجمل العملية الانتخابية في بلد ضخم؟ كيف يسيطرون على حزبين سياسيين واسعي النفوذ؟ بواسطة النقود. النقود ووسائل الإعلام - تلك هي الوسائط الرئيسة للصراع السياسي. لكن حتى هذه القائمة القصيرة جداً يمكن اختصارها إلى النصف. النقود تعطي السيطرة على وسائل الإعلام. يعني أنهم يحتاجون للنقود فحسب. يمكن ببساطة شراء الصحف. التلفزة والراديو. وقد تم شراؤها في الغرب منذ زمن طويل. أي أن الطريق للسيطرة على النظام السياسي الأمريكي، ومن خلاله على العالم كله يقع عبر تركيز الفعاليات المالية في يد واحدة. في النظام الانتخابي الأمريكي من يملك نقوداً أكثر واهتماماً أكبر من وسائل الإعلام ينتصر، إذا كان مرشحاكم يملكان ميزانيات أكبر بآلاف المرات من المرشحين الآخرين فستكون فرص النجاح لهما فقط ولكن كيف يركزون النقود بأيديهم فقط؟

من أجل ذلك توجد أداة رائعة - هي النظام الاحتياطي الفيدرالي، وقد وجد هذا النظام من أجل هذه الغاية. فإذا كانت المهمة الأولى لمالكي الاحتياطي الفيدرالي هي تدمير الدول - المنافسة، فإن أهدافها هي ذاتها بالنسبة للبنوك والمؤسسات المالية الأخرى. لكي لا يتمكن أحد في أمريكا من امتلاك الوسائل النقدية. ولا يستطيع بواسطة آلية الانتخاب الأمريكية أن يوصل إلى السلطة مرشحه

وبتغيير بسيط للقانون يزيل النظام الاحتياطي الفيدرالي. يمكن قتل الشرير بجرة قلم بسيطة لكن الشرير يعرف بهذا الخطر. لذلك اهتم منذ زمن بعيد بأن لا يقع "القلم" في أيد معادية أو غير أمينة.

الطريقة المثلى لتحطيم المنافسين، الطريقة الأبسط والأفعل لتدمير القدرة المالية للخصم هي الأزمة المالية.

يحدث كل شيء وكأنه يحدث بذاته بشكل طبيعي. بنك يفلس بنوك أخرى تبقى هذه هي حال السوق.

لا يجوز أن نعتقد أن كل شيء يجري دائماً على ما يرام عند أصحاب بنوك وول - ستريت الذين اخترعوا الاحتياطي الفيدرالي. لقد أضعفوا منافسيهم وقضوا عليهم، ولكن عندما كان يهدد جبروتهم الاتحاد السوفيتي وحده على كل الكوكب خيانة قذرة كادت أن تقضي على الأمر كله.

في الفصل التالي سوف يجري الحديث عن الكساد الكبير وعن واحد أو عن اثنين من رؤساء أمريكا.

الفصل الخامس

لماذا قتل الرئيس جون كينيدي ولم يقتل الرئيس فرانكلين روزفلت

يجب علينا أن نبقى معاً، وإلا فسوف يشنقوننا
واحداً واحداً بدون شك.

بنيامين فرانكلين

للأسف إن استقلالية الاحتياطي الفيدرالي ليست راسخة.
حرية عمل مجلس العمليات في السوق المفتوح مضمونة
بالقانون ويمكن أن يحدها قانون آخر.

آلان غرينسبين - رئيس الاحتياطي الفيدرالي

كان الرئيس وحاكم ولاية تكساس وزوجتاهما يبتسمون ويلوحون بالأيدي للأمريكيين الذين يحيونهم. يوم مشمس، الطقس رائع، الرؤية ممتازة. وتعطي المقصورة المكشوفة للسيارة "لينكولن كونتيننتال" مجالاً واسعاً للرؤية. يمكن التقاط صور جيدة لذلك كان عشرات المصورين يصورون الموكب الذي يتحرك ببطء. وكان من بين المصورين هواة. في المقعد الخلفي للسيارة- الرئيس وزوجته على المقعد الأمامي القابل للطي- الحاكم وزوجته. المزاج رائع. تزينت دالاس بحلة العيد كانت ضجة، وأيدي تلوّح بالتحية. لذلك لم تسمع جاكلين كينيدي الطلقات الثلاث الشبيهة بصوت عادم السيارة. التفتت إلى الجماهير، لوّحت بيدها وما إن استدارت إلى داخل السيارة. رأت أن جسد زوجها تهاوى على كتفها. تغير وجه الرئيس وأمسك رقبته بيده اليمنى، وكانت رقبته تنزف دماً.

- يا إلهي، ماذا فعلوا؟ - صرخت جاكلين يائسة- يا إلهي لقد قتلوا جيك! قتلوا زوجي! جيك! جيك!

كان مجهول يقف أمام لوحة إعلانية، فتح للتو مظلته. لم يكن في السماء غيمة واحدة. الحرارة حوالي 20 درجة مئوية. أي أنه لا حر. لماذا فتح مظلته؟ لماذا قام

بحركات مختلفة بواسطة مظلته؟ لم يفكر أحد بذلك في تلك اللحظة.

في الأمام سقط الحاكم جون كونيللي على يدي زوجته: بقع دموية أخذت تتوسع على ملابسه. وسقط في الوقت المناسب! طلقة أخرى أفرغت رأس الرئيس من الدماغ. رأت جاكلين كينيدي قطعة من جمجمة زوجها طارت إلى الخلف وسقطت على مصدم السيارة. دون أن تعي ماذا تفعل تركت زوجة الرئيس زوجها المحتضر وألقت بنفسها على صندوق السيارة لتلتقط قطعة رأسه المدماة.

نقل الرئيس المصاب إصابة قاتلة إلى المشفى حيث قضى نحبه دون أن يعود إلى الوعي، بعد 35 دقيقة من الاعتداء.

22 تشرين الثاني 1963. الساعة 12 و35 دقيقة، مدينة دالاس ولاية تكساس، مقتل الرئيس كينيدي هو الأكثر شهرة والأكثر غموضاً. انقضى أكثر من 45 سنة وحتى الآن لا جواب على سؤال. من قتل الرئيس 35 للبيت الأبيض.

يوجد بيان رسمي ينص على أن جون كينيدي قتله بقناصة "مانلير كاركانو" إيطالية الصنع المدعو لي هارفي أوسفالد القاتل وحيد. أطلق القاتل النار من الطابق السادس من بناء مستودع كتب مدرسية حيث كان موظفاً. إلا أن كمية الألغاز في هذه القصة تفوق كل الحدود المعقولة، لذلك لا يصدق معظم الأمريكيين قصة موت رئيسهم. يجب أن نعترف أنهم على حق.

بدأت الأمور الغريبة مباشرة بعد الحادثة. الشرطة التي كانت تغلق مكان الجريمة أدركت فوراً أن القناص يجب أن يرمي من بناء مستودع الكتب بالذات. وجد المفتشون هناك نافذة مفتوحة ثلاثة ظروف فارغة والبندقية المسجلة باسم لي هارفي أوسفالد، وتوضح لاحقاً أنها تحمل بصماته. بعد 40 دقيقة من موت كينيدي عرفت الشرطة اسم وملامح ومكان إقامة القاتل المفترض. لم تكن أية تعقيدات في كشف جريمة العصر. لم يتنكر القاتل، لم يختبئ. إلا أن الشرطة بعد أن عرفت عنوان بيت أوسفالد. لسبب ما لم ترسل العملاء إلى شقته. شوهد أوسفالد في الشارع. الرقيب جون تيبيت عندما رأى رجلاً ينطبق عليه الوصف حاول توقيفه. انتزع أوسفالد مسدس الشرطي وأطلق عليه النار. تثير الحيرة مخالفة قواعد شرطة دالاس: يجب أن يكون شرطيان في سيارة الشرطة في حين كان تيبيت وحده. ثم إن

بناء سينما "تكساس" حيث اختبأ لي هارفي كان محاطاً بالشرطة، وقد تم توقيفه بدون أية طلقة. حسب الرواية الرسمية، تعطل مسدس أوسفالد. الموقوف بتهمة قتل الشرطي تبين أنه القاتل الوحيد للرئيس.

ولكن ليس كل شيء بهذه البساطة. يوجد شريط سينمائي لخطة القتل صوره هاوٍ "أبراهام زابرودر" بفضله جرت دراسة عملية القتل صورة بصورة حسب الرواية الرسمية، أطلقت ثلاث طلقات (الأولى أخطأت الهدف، الثانية أصابت رقبة الرئيس وارتدت إلى صدر وساعد وجنب الحاكم، الثالثة أصابت رأس كينيدي). ولكن على الشريط يرى بوضوح أن جسد الرئيس لحظة الطلقة الثانية قذف إلى الخلف. ومستودع الكتب كان خلف الموكب، والرصاصة التي أطلقت من هناك من المفروض أن تدفع الجسد إلى الأمام[1]. تلك هي قوانين الفيزياء، يستحيل تغييرها حتى من أجل الرئيس.

لدى تحليل شريط زابرودر تبرز أسئلة أكثر إزعاجاً. يحصل أن القاتل استغرق على الطلقات الثلاث حوالي خمس ثوان. بالنسبة لبندقية نصف آلية مع منظار تسديد تيليسكوبي هذا غير محتمل إطلاقاً. لأنها تحتاج تحريك المغلاق. الحد الأدنى من الوقت الممكن لإطلاق ثلاث طلقات يفوق "معدل" أوسفالد. لم يتمكن القناصون الذين استدعوا خصيصاً من إطلاق ثلاث طلقات خلال خمس ثوان، زعموا أن أوسفالد غير القناص قد تمكن من إطلاقها. هذه النتيجة تستحق أن تدرج في كتاب غينيس للأرقام القياسية. الرمي على سيارة متحركة بهذه السرعة وبهذه الدقة يشرف أي معلم. لكن كل من عرف أوسفالد قال أنه رغم خدمته في مشاة البحرية كان رامياً فاشلاً.

ولكن ماذا يفعل التحقيق. إذا وجدت ثلاث طلقات فارغة في مستودع الكتب؟ لقد غضوا النظر عن عدم التوافق الغريب هذا، كما فعلوا عن كثير سواه. كثيراً ما نسمع عن "لعنة الفراعنة" التي مات بسببها بسرعة وبشكل غامض كل من شارك في اكتشاف قبر توت عنخ آمون. لم يكن لدى جون فيتزجيرالد

---

[1] يستطيع أي راغب أن يشاهد هذا التسجيل في الإنترنت:
http://www.youtube.com/results?search_type=&search_quer=Zapruder+film&aq=f.

كينيدي قبر، ولكن كل من كان له تعاسة التماس من قريب أو بعيد مع موته مات بظروف غامضة للغاية. حسب أحد العلماء الحشريين أن الاحتمال الرياضي لسلسلة الموت تلك تساوي 100/1 ألف تريليون. هذا يعني أنها يستحيل أن تحدث وفق المجرى الطبيعي للأحداث[1].

أول ضحايا "لعنة كينيدي" أصبح قاتله "الرسمي" لي هارفي أوسفالد. الذي ضبط متلبساً، رفض بكل ما أوتي من قوة التهم الموجهة إليه بدلائل زعموا أنها دامغة.

((أنا لم أقتل الرئيس كينيدي. أنا لم أقتل أحداً. أنا لا أعرف ماذا يعني كل هذا...)) قال هو. بالمناسبة لم يسمحوا له أن يستعين بمحام. لم يعترف بقتل كينيدي. وبعد يومين من مقتل الرئيس. قتل أوسفالد أثناء نقله من سجن لآخر. القاتل - جيك روبنشتاين (جيك روبي) - لم يكن لديه إمكانية الدخول إلى أقبية قيادة الشرطة. لم يكن بحاجة لذلك.

فكروا ملياً، ببساطة سمحوا لرجل من الشارع أن يقترب من الشخص المشتبه بقتل الرئيس. وقد قتله! أطلق عليه النار من مسافة قريبة جداً. لقد دس المسدس عيار 38 مباشرة تحت ضلعه[2]. وهذا في بداية التحقيق، في بلد يعتمد قواعد صارمة بحماية شاهد جريمة القتل أو القاتل نفسه!

هذا ليس واقعياً. هذا لا يعقل ولكن هذا ما حدث في الواقع.

بعد الهجوم كان لي هارفي أوسفالد ما يزال حياً- حملوه بسرعة إلى دائرة السجن. رأى كبير عملاء الشرطة السرية فورست سورفيلرز قرب أوسفالد النازف دماً، "شرطياً مجهولاً بلباس مدني" جاثياً على ركبتيه. كان يحاول التنفس الصناعي له. لم يعرف العميل سورفيلز هذا الشخص. بعد عدة محاولات للتنفس الصناعي اندفع الدم من بطن الجريح بقوة كبيرة، مما قرب النهاية المحتومة. لفظ لي هارفي أنفاسه[3].

---

[1] هواء محطة (قناة) "فيستي" 23 تشرين الثاني 2008.

[2] لحظة قتل أوسفالد موثقة أيضاً على شريط سينمائي يمكن إيجاده في الإنترنت:
http://www.photographer.ru/columnists/602.htm.

[3] http://www.photographer.ru/columnists/602.htm.

ربما لم تكن للدولة الجبارة في الاقتصاد والسياسة أية خبرة في حراسة الشخصيات الهامـة والتحقيق في الجرائم بحقهم.

كلا، فتاريخ الولايات المتحدة مليء بالتواريخ الحزينة. جون كينيدي أصبح الرئيس الرابع لأمريكا الذي قتل على يد مجرم. قتل قبله أبراهام لنكولن، جيمس غرافيلد، وويليام ماكينولي[1]. لذلك يجب أن تكون الشرطة السرية بكامل العدة. وإن لم يتمكنـوا مـن حمايـة الـرئيس. فعـلى الأقل يجب أن يحافظوا على المشتبه به الذي وقع في قبضتهم. هذا ما كان بالنسبة لهـم مسـألة شرف.

إلا أن عجائب مخيفة حـدثت واحـدة إثـر أخـرى. عـلى مـدى سـنتين قضى نحبـه اثنـان وستون شخصاً من أهم الشهود بظـروف غريبـة- مـن الـذين كـانوا ليظهـروا الكثـير مـن هـذه القضية[2].

* جيك هـانتر. شرطـي تواجـد مبـاشرة بعـد الجريمـة في شـقة أوسـفالد، قتـل في مخفـر الشرطة. زعموا أن مسدس الشرطي انطلق ذاتياً.

* جيم كوسر، صحفي رافق هانتر إلى شقة أوسفالد، قتل رمياً بالرصاص في منزله.

* سائق التاكسي الذي أقلّ أوسفالد يوم مقتل الرئيس من مستودع الكتب إلى بيته، قتـل بحادث سيارة بعد أسبوع.

* الشاهد المفتاحي لي باوير، الذي رأى "رجلين" يطلقـان النـار مـن خلـف حـاجز، قتـل بحادث سير.

* المومس رويز شيرامي، التي أمضت ليلة مع ضابط ثمل من المخابرات المركزية، أخبرهـا أنه "بعد يومين سيقتل كينيدي"، صدمتها سيارة، قتلت ولم يعثر على السائق الصادم.

* الجرّاح الذي شرّح جسد الرئيس والمصور الذي كـان يصـوره عـلى شريـط

---

[1] قتل إبراهام لنكولن 14 نيسان 1865 في مسرح فورد في واشنطن قتله الممثل ج. أو بوت بعد شهر ونيف من بداية الفترة الرئاسية الثانية، جيمس غرافيلد مات متأثراً بجراحه بعـد أن هاجمـه تشـارلز غيتـو في 19 أيلـول 1881 وكان قد أمضى في منصب الرئاسة أربعة أشهر فقط، مات ويليام ماكينولي نتيجة اعتـداء داعيـة الملكيـة ليون تشولروش عليه في 14 أيلول 1901. بعد ستة أشهر من بداية الفترة الرئاسية الثانية.

[2] http://www.iraq-war.ru/article/143361.

سينمائي. وجد في بيته منتحراً. لقد ضغط المنتحر على الزناد بيده اليمنى وهو أعسر اختفى الشريط المصور.

لم يتجنب المصير الحزين جيك روبنشتاين أيضاً، الذي قتل أوسفالد بعد أربعة أشهر من قتل كينيدي، حكم عليه بالإعدام في 14 آذار 1964. لكنه طلب استئناف الحكم وقبل طلبه. في كانون الأول 1967 كان روبي ينتظر موعد المحاكمة الجديد اكتشفوا لديه السرطان فجأة. مات في المستشفى 3 كانون الثاني 1967. بموت جيك روبي زالت إمكانية فك كتلة الغرائب المشبوهة والتطابقات غير المحتملة. قاتل الرئيس وقاتل القاتل كلهم ماتوا.

* واستمرت "العجائب" بالحدوث.

* أعطى روبنشتاين حديثاً صحفياً للصحيفة دوروتي كالوغين استمر أكثر من ساعة وجهاً لوجه. لكن كالوغين لسبب ما لم تنشر المقابلة، رغم أنها لو نشرت لكانت سبقاً صحفياً هائلاً. وبعد ذلك ماتت فجأة بتجاوز جرعة من المخدر، رغم أنها لم تتعاط أبداً المخدرات[1].

* نيللي كونيللي، زوجة حاكم تكساس، رأت بعينيها أن الطلقة التي قتلت زوجها في سيارة كينيدي أطلقت "من جهة مغايرة تماماً"[2]. ولكن إفادتها لم تدون.

* مسار تلك الطلقة "الثانية" رسمه التحقيق بشكل معقد ومخترع بحيث أطلق عليها الإعلام اسم "الطلقة السحرية". احكموا بأنفسكم بعد إصابة عنق الرئيس أصابت هذه الرصاصة بعد الارتداد صدر ويد وجنب الحاكم.

* ثلاثة أرباع شهود العيان، الذين رأوا مقتل كينيدي- الشرطيون، سكان المدينة، الأطباء- أكد الجميع: الطلقات أكثر من ثلاثة، جرى الإطلاق من الأمام وليس من الخلف. وكان واضحاً أن الإطلاق تم من اتجاهات مختلفة وأطلق أكثر من شخص واحد. إلا أن التحقيق أصرّ بعناد على رواية الطلقات الثلاث لأوسفالد- الوحيد.

* على الشريط المصور في لحظة الجريمة يرى أن سائقي الدراجات النارية اندفعوا فوراً بعد الطلقات إلى الأمام نحو الجسر إلى حيث رأوا (أو سمعوا) الخطر

---

[1] http://www.aif.ru/society/article/22752.

[2] المرجع ذاته.

الرئيسي وليس إلى الخلف حيث يوجد مستودع الكتب حيث يؤكد التحقيق أن أوسفالد أطلق النار منه.

* الطبيب روبرت ماكليلاند أول من فحص جثة كينيدي كتب: "جاءت الطلقة في الحنجرة وفتحة الخروج في القذال" بعد الحديث مع مكتب التحقيقات الفيدرالي صرح بأنه أخطأ[1].

* دماغ كينيدي الذي ظل بعض الوقت في الحفظ. حيث يمكن منه فهم من أين جاءت الطلقات. هذا الدماغ اختفى بشكل غامض.

* كذلك بشكل لا يعقل ضاعت الطلقات أيضاً، التي قتل بها رئيس أمريكا. لم يكن في القضية الجنائية أي شيء، أكدت الخدمة الإعلامية في الحكومة. الطلقات... "تفتت في جسد الرئيس". لقد قيل ذلك بجدية تامة، كأن المقتول كينيدي كان رجلاً حديدياً وليس إنساناً فانياً[2].

في 29 تشرين الثاني 1963 بأمر نائب الرئيس ليندون جونسون، الذي أصبح رئيساً بحكم القانون. تم تشكيل لجنة خاصة للتحقيق في ظروف مقتل الرئيس كينيدي. تتألف اللجنة من سبعة أعضاء (عضوان من الكونغرس، عضوان من مجلس النواب، الرئيس السابق للمخابرات المركزية آلان دالاس ورجل البنوك جون ماكول) يترأس اللجنة رئيس المحكمة الأمريكية العليا إيرل أورربن. استمعت اللجنة لخمسمئة واثنين وخمسين شاهداً. وتلقت أكثر من ثلاثة آلاف تقرير من هيئات قضائية وحقوقية، التي بدورها أجرت حوالي ستة وعشرين ألف استماع. وحدها إفادات الشهود شكلت 26 مجلداً. إلا أن التقرير الذي يجب أن يسلط الضوء على الظروف الغامضة "لجريمة العصر" اكتفى بنقد المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي وشرطة دالاس لأنهم لم يتمكنوا من تفادي مقتل الرئيس، الذي قتله مهووس وحيد لي هارفي أوسفالد، بثلاث طلقات من بندقية مجموعة "كاركانو".

---

[1] هذا كلام مستشار اللجنة الحكومية الأمريكية روبرت جي غرودين،
http://www.aif.ru/society/article/22752.

[2] بما يناقض كل قوانين الفيزياء "ذوبان" الطلقة في جسد كينيدي الميت يتكرر في التاريخ الأمريكي مرة أخرى: 11 تشرين الثاني 2001. لم يورد التحقيق جزءاً واحداً مكن الطائرة التي زعموا أنها سقطت على البنتاغون. جثث الركاب، الحقائب، الطائرة ذاتها - زعموا أنها "انصهرت" كلها في الحريق.

ولم تغلق القضية بذلك. الغرابة الواضحة في استنتاجات التحقيق، الذي رفض جملة من الحقائق، مقتل كل الشهود تقريباً كانت صارخة بحيث جعلت الكونغرس يشكل في عام 1979 لجنة تحقيق خاصة جديدة في قضية كينيدي. وخرجت بقرار: "قتل كينيدي نتيجة مؤامرة". بعد ثلاث سنوات ألغيت هذه التحقيقات - بطلب من المخابرات وأقروا بأن التقرير "غير موثوق به".

في عام 1997 آخر من بقي حياً من أعضاء لجنة أوررين جيرالد فورد اعترف أن اللجنة أدخلت عمداً معطيات كاذبة في التقرير عن تشريح الجثة "دُقق" مسار الطلقة أيضاً. المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي يعدون نزع السرية عن "ملف كينيدي" في 2003.

يبدو أننا، حتى اللحظة، لن نعرف الحقيقة حول موضوع من ولماذا قتل جون كينيدي. هكذا يكتب كل من لامس بشكل أو بآخر تراجيديا دالاس والأحداث الغامضة اللاحقة - إلا أننا نستطيع أن نعرف قبل ذلك. فالتحقيق بالجريمة - استقراء. الاستقراء - هو المنطق، إنه البحث عن المشتبه بهم، البحث عن الدلائل والدوافع. الدليل الرئيس في قضية مقتل كينيدي - هو التحقيق ذاته، استنتاجاته، عدم وثوقويته، وتسرعه. فإن الذي قتل ليس عجوزاً وحيداً منسياً، وإنما هو رئيس أقوى دول العالم. وشقيق المقتول كان عندئذٍ نائباً عاماً (وزير العدل) للولايات المتحدة. حتى سلطته تبين أنها لم تكن كافية لتأمين تحقيق كامل ونزيه. وما هو واضح لنا الآن، حتى لدى الاطلاع السطحي على ملابسات القضية، كان مفهوماً فوراً لأسرة الرئيس المقتول: القضية ليست نظيفة. يمكن أن يظهروا ويرووا البسطاء الأمريكيون ما يشاؤون. ولكن زوجة جون كينيدي رأت بنفسها كيف نسفت رصاصة القاتل جمجمة زوجها. وهي رأت أن الرصاصة جاءت من الأمام وليس من الخلف مطلقاً، حيث تواجد أوسفالد وفق رواية الشرطة.

لم يكن ممكناً خداع عائلة كينيدي. وقد خاف منظمو مقتل الرئيس تدخل أخيه روبرت كينيدي، لذلك وصفوا لي هارفي أوسفالد في المرمى على عجل. لم يلحق أخو الرئيس أن يتدخل، وحتى تنعدم فرص تغيير مسار التحقيق لديه. أرسلوا المشتبه به الرئيسي إلى العالم الآخر بواسطة التنفس الصناعي.

ماذا يعني ذلك؟ يعني فقط أن من نظم مقتل الرئيس لم يكونوا مجرد مجموعة متآمرة أو من المافيا. وإنما تمتعوا بسلطة حقيقية ضخمة في الدولة الأمريكية. وهي من الضخامة بحيث تمكنت من إرغام كل الآلة الحقوقية في أمريكا أن تقوم بكل ما يمنع حل لغز الجريمة، وإرغام عائلة كينيدي - أن تغمض عينيها طائعة.

هل تستطيع المافيا أو المهاجرون الكوبيون أن يقوموا بالجريمة؟ يمكن لأي كان أن يضغط على الزناد. أما إرغام التحقيق أن يتجاهل حقائق واضحة أن لا يرى ما يمكن لأي شخص أن يلاحظه على الأشرطة المصورة والصور فلا يمكن للمافيا ولا الكوبيين أن يفعلوه. كذلك لم يكن للمخابرات المركزية ولا مكتب التحقيقات الفيدرالي مثل هذه السلطة. فإن هذه البنى لا تقرر بنفسها من يقتل ومن يبقى حياً. حتى خارج الحدود ناهيك عن داخل أمريكا. لهذه البنى دائماً قيادة سياسية. وهي لا تعمل بذاتها، إنها أذرع فحسب، ودائماً يوجد رأس أيضاً والأوامر تأتي من هناك حصراً.

حقيقة مهمة أخرى. لم يجرؤ وزير العدل روبرت كينيدي على رفض نتائج التحقيق واستنتاجات لجنة أوررين. لماذا؟ لأنه كان يعرف من قتل أخاه. ويفهم أنه حتى وزير العدل لا يستطيع أن يفعل شيئاً. "سامحوا ولكن لا تنسوا". - قال ذات يوم جون كينيدي لم يسامح أخوه ولم ينس شيئاً - قرر روبرت كينيدي أيضاً أن يصبح رئيساً. وهاكم بالمناسبة سبباً آخر. من أسباب وجود الانتخابات التمهيدية- أنها لازمة ومفيدة. خلال مجرى الانتخابات التمهيدية يمكن قطع طريق السلطة على الأشخاص غير المرغوب بهم. بعد ما فعله جون كينيدي (سنتحدث عنه لاحقاً)، لا يجب بعد الآن أن يصبح أي ممثل لهذه الأسرة رئيساً لأمريكا. حاول روبرت كينيدي. وكان واحداً من المرشحين المحتملين بمشاركته في الانتخابات التمهيدية للحزب الديمقراطي. وقد نجح في الواقع، وبذلك وقع حكم الإعدام على نفسه. 4 حزيران 1968 مباشرة بعد النجاح في الانتخابات التمهيدية في ولاية كاليفورنيا، الذي جعله مرشح الديمقراطيين للانتخابات الرئاسية، قتل روبرت كينيدي في فندق أمباسا دور.

أحيط موته بأسرار ليست أقل مما أحيط به موت أخيه. في لوس أنجلوس لم تجر الأمور بدون خلط آثار الجريمة بعضها ببعض بخصوص مقتل روبرت كينيدي (الذي كانت تربطني به علاقة طيبة). أستطيع أن أؤكد ذلك، لأنه تسنى لي الحضور في المؤتمر الصحفي في المشفى الذي قضى فيه روبرت نحبه. عندئذٍ عرضوا لقلة من الصحفيين فقط وثيقة حيث يشاهد حرق البارود على قذال روبرت كينيدي. هذا الحرق يمكن أن يظهر فقط عند الإطلاق من مسافة لصيقة. إن سرحان سرحان الذي أعلنته السلطات الأمريكية قاتلاً، أطلق النار عليه من الأمام، أما الطلقة القاتلة فقد جاءت من الخلف. هذه الوثيقة المفتاحية كانت موجودة في قضية القتل وأُظهرت للإعلام ثلاثة أيام فقط. أثناء التحقيق اللاحق اختفت نهائياً. أنا شخصياً، اعتماداً على ما سبق عرضه، أعتقد أن من قتل روبرت هو حارسه الشخصي الواقف خلف ظهره وقد أطلق النار من مسافة لصيقة[1] وهذا كان رأي الإعلامي المعروف في العهد السوفيتي فالنتين زورين.

من جديد نرى أمراً محيراً. حيث تزوّر السلطات الأمريكية، لسبب ما نتائج التحقيقات وتخفي الحقيقة أي أنه يمنع قبول الحقيقة بشأن مقتل روبرت كما كان الأمر بشأن جون كينيدي.

إن موت رئيس دولة جبارة كهذه - هو حدث ذو مقياس تاريخي - خصوصاً إذا كان قتلاً. كثيرون من القادة في مختلف الدول قتلوا، ولم يموتوا على فراشهم موتاً طبيعياً. قتلوا بتفجير الطائرات، على طاولة الغداء. قتل الحاكم - هو في الواقع انقلاب في الدولة، خصوصاً عندما تحاول السلطة الباقية بعد مقتل رئيسها أن تخفي شيئاً ما.

ما الذي لم يعجب النخبة السياسية الأمريكية في جون كينيدي؟ ربما كان ينوي إقامة الاشتراكية المزدهرة في بلاده؟

كلا. لقد كان كينيدي كاثوليكياً غيوراً ومناصراً مبدئياً لنمط الحياة الأمريكي ولم ينو أبداً بناء الشيوعية.

ربما كان كينيدي مثل غورباتشوف عندنا. استتر بالكلام الجميل وبالسر تراجع عن المواقع الجيوسياسية الأمريكية في العالم كله؟

---

[1] http://www.iraq-wae.ru/article/143361/.

كلا. فقد حدثت في عهده ما تسمى أزمة الكاريبي، التي كانت بداية نـزاع عسـكري بـين أمريكا والاتحاد السوفيتي. وقد أظهر كينيدي صلابة هائلـة، إذ أرغـم خروتشـوف عـلى التنـازل وسحب الصواريخ من كوبـا. وهـذا بالمناسـبة قبـل عـام واحـد مـن مقتلـه، فقـد حـدثت أزمـة الكاريبي في تشرين الأول 1962. إذن لم يكن ضعيفاً ولا متنازلاً وكان ذلك واضحاً بشكل جلي.

ربما كانت أزمة الكاريبي المظهر الوحيـد للسـلوك الصـحيح عنـد هـذا الـرئيس، وفي كـل الحالات الأخرى كان يتصرف بشكل مغاير.

كلا، في زمن إدارة كينيدي بالذات كانت الولايات المتحـدة تفـرض "النظـام الـديمقراطي" والأدق حاولت فرضه في كوبا وفيتنام.

في ليل 17 نيسان 1961 بدأت المخـابرات المركزيـة عمليـة التـدخل في كوبـا. حيـث تـم تدريب المهاجرين الكوبيين في معسكرات المخـابرات المركزيـة وتنظـيمهم في مـا يسـمى "اللـواء 2506" وإنزالهم على شاطئ خليج كوتشينوس (الخنازير) عند بلاي- لارغ وبـلاي- هـيرون. كـان لديهم عدا الأسلحة الفردية حوالي 10 دبابات "شيرمان" و20 عربة مدرعـة. في 19 نيسـان 1961 انتهت المعارك بهزيمة ساحقة "للكونتراس". كان فيـدل كاسـترو شخصـياً في الدبابـة الأولى T-34 مهاجماً الدبابات الأمريكية، وقد فاز كاسترو بحب الكوبيين وشعبيته الضخمة ليست أبـداً عـلى مكان فارغ.

ربما كان كينيدي معارضاً لمعالجة المسألة بهذه الطريقة؟

كلا. فقد أقرّ جون كينيدي خطة التدخل في كـانون الثـاني 1961 مبـاشرة بعـد الاحتفال بالافتتاح. لم يهمل كينيدي حتى المهاجرين الكوبيين الـذين وقعـوا في الأسر. دفعت فدية لـلأسرى مقـدارها 62 مليـون دولار[1]. ولم يكتـف كينيـدي بـذلك. لقـد صارع أعداء بلاده ودافع عن مصالحها بكل قوته. بعد فشل التـدخل العسـكري غـيّر طريقة إزالة النظام المعادي. أصبحت عمليـات تخريـب اقتصـادية وسياسـية. جـرى

[1] يعتبر الأسرى أنفسهم محظوظين بحق. أنزل جزء من القوات في أماكن. حيث تكاثرت التماسـيح بشـكل غـير مسبوق. وقد أكلت التماسيح كثيراً منهم، أما الكوبيون فأمكنهم القول بقلب سليم، أن الزواحف في كوبا تؤيـد الثورة.

الإعداد لعملية "مانغوست" التي يفترض أن تشل الاقتصاد الكوبي. لتخريب القطاع المفتاحي لجزيرة الحرية - إنتاج السكر - تستخدم مواد كيماوية مؤذية. اشترك في عملية "مانغوست" حوالي 400 عميلٍ من المخابرات المركزية وكان من المفروض أن تنتهي بإزاحة كاسترو، تجري محاولات جديدة لقتل قائد الثورة الكوبية. ما وضع نهاية للحملة النشطة ضد كاسترو هي أزمة الكاريبي المذكورة أعلاه، عندما أعطت أمريكا ضمانة أن لا يتكرر التدخل في كوبا مقابل سحب الصواريخ السوفيتية.

اللافت أيضاً أن الرئيس جون كينيدي اهتم بكل تلك الأعمال غير العادية وبتفاصيل المطبخ السياسي الأمريكي وكذلك أخوه وزير العدل فقد أشرف شخصياً على عملية "مانغوست". يعني أنه كان على معرفة بأقدس مقدسات عمل الاستخبارات الخاصة وكانت ثقة الوكالة المركزية به تامة.

خلال حكم كينيدي اتخذ الأمريكان الخطوات الأولى في المشاركة الفعّالة في الحرب ولم يكتفوا بتسليح جيش فيتنام الجنوبية في كانون الأول 1961 تم نقل أولى الوحدات النظامية من الجيش الأمريكي إلى فيتنام - سريتين من الحوامات لزيادة قدرة الجيش الحكومي على المناورة والحركة. وازداد على الدوام عدد فيلق المستشارين في البلد. قام المستشارون الأمريكيون بتدريب الجنود الجنوبيين وشاركوا في التخطيط للعمليات القتالية.

إذن كما نرى، كان جون كينيدي رئيساً عادياً إذا صح التعبير: دافع عن مصالح بلده باستمرار، وتصارع مع أعدائها. ولا يجب أن توجد اعتراضات عليه، كقائد للبلد، عند النخبة السياسية. ولكن يبدو أن اعتراضات جدية جداً على الرئيس كانت لدى السلطة الأمريكية. فالسلطة وحدها يمكن أن تدير التحقيق بقضية قتله هكذا كما فعلت.

لماذا قتل جون كينيدي وبعده روبرت كينيدي؟

بقراءة هذا الفصل يمكنكم الإجابة بأنفسكم. عزيزي القارئ، والآن لنرجع إلى الخلف. ففي هذا الفصل سوف نتحدث عن رئيسين وليس فقط عن رئيس واحد. وسوف نتحدث عنهما بالترتيب المنطقي للأحداث وليس الزمني. حل عام 1918 ووضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها. بنتيجتها تم القضاء على أكبر

الإمبراطوريات في العالم التي كانت تنافس الأنكلوساكسون وإقامة إمبراطورية الدولار الورقي الجديدة. إلا أنه في عام 1918 كان "الأخضر" ما يزال ذهبياً بالكامل[1] وقد كان للدولار والجنيه والفرنك دعم ذهبي. كانت طرق المعيار الذهبي تصل، كما في السابق، النظام الاحتياطي الفيدرالي ومالكيه ولم تسمح له بالتمدد على كامل مداه، وإغراق العالم بسيل من النقد غير المدعوم بشيء. كانت آفاقهم المخيفة متعلقة بكمية الذهب في الخزائن. من يملك إمكانية طبع النقود بقدر ما يشاء ولا يستغل ذلك يجب أن يكون قديساً أو على الأقل بلشفياً - ماركسياً راسخ القناعة. ولكننا نعلم أن من أسس الاحتياطي الفيدرالي وكان يملكه سابقاً ويملكه الآن ليس فاعلي الخير والناكرين للذات، بل هم أصحاب بنوك ورجال مال. إنهم ليسوا قديسين ولم يكونوا يوماً كذلك. منذ البداية كان إنشاء الاحتياطي الفيدرالي سلسلة من الخطوات المحسوبة لإقامة هيمنة عالمية. جزء من هذا الطريق تم تجاوزه بنجاح... يجب الاستمرار في التحرك.

لا بد من الإشارة إلى أن هؤلاء الأشخاص خططوا لكل شيء بخبث ومهارة تحسب لهم. أوجدوا مسوغاً لكل خطوة وغلافاً جميلاً لكل لب مرير. إلا أن الغلاف ذاته لكل الحالات. أي مسوغ، أي سبب يمكن اختراعه لجعل النقود ورقية نهائياً؟ إنه السبب ذاته الذي خرج بفضله النظام الاحتياطي الفيدرالي إلى النور.

أزمة - هاكم السبب المسوغ العزيز لإعادة تشكيل البنية المالية للعالم (بشكل لا يلاحظه إلا المتنورون).

لإعادة تشكيل العالم ذاته هذه الوسيلة تناسب أكثر من أي شيء. لذلك هناك عدة أهداف لكل أزمة. إنها متعددة الطبقات كالفطيرة - فالحرب - هي أيضاً أزمة من نوعها لكنها مخيفة أكثر ودموية. يمكن التأكيد بثقة أن كل التغيرات، كل "مراحل الدرب الطويل" قطعها ويقطعونها وسوف يقطعونها مالكو الاحتياطي الفيدرالي نحو الهيمنة العالمية بواسطة افتعال أزمة. قد تكون انهياراً في البورصة أو حرب أو انخفاض أسعار العملات والأوراق المالية.

---

[1] دخلت الولايات المتحدة الحرب متاخرة ولم تتكبد خسائر كبيرة عملياً. لذلك حافظ الدولار على قيمته الذهبية قبل الحرب فترة أطول من بقية العملات واستعاد قيمته قبل بقية العملات بعد الحرب.

يعتبر الكساد الكبير الذي حدث في الثلث الأول من القرن العشرين مثالاً ساطعاً لذلك. عموماً لدى دراسة أحداث هذه الأزمة تظهر المقارنات بذاتها. فقد جاء الانكماش الاقتصادي الحالي مباشرة بعد ازدهار كبير. هكذا كان فيما مضى أيضاً. عندما تقاعد الرئيس الأمريكي كالفين كوليج في عام 1928 كان يقول: "يمكن لبلادنا أن تنظر برضا إلى الحاضر وبتفاؤل - إلى المستقبل". بدا أن هذا ما سيكون فقد ازدهرت أمريكا لأن الاحتياطي الفيدرالي زاد كثيراً الكتلة النقدية الموجودة في التداول. وكلما ازداد الارتفاع ازداد ألم السقوط، الذي خطط له أن يكون كارثياً غير مسبوق في تاريخ العالم كله وليس الولايات المتحدة وحدها. لأن مالكي "آلة الطباعة" حضروا لشراء الولايات المتحدة بثمن بخس.

بالطبع ليس كل البلاد. لكن الشعور البسيط بالأمان تطلب القضاء على كل الهياكل الجدية الخارجة عن سيطرتهم. لكي لا يتمكن أحد أبداً في أمريكا، مستخدماً انتصاره في الانتخابات، أن يغير التشريع ويدمر الاحتياطي الفيدرالي بجرة قلم بسيطة. لكي لا يتمكن أحد من إنشاء احتياطي فيدرالي جديد بطريقة مشابهة، يملكه أناس آخرون. الأموال فقط، قوة النقود الهائلة وحدها مضروبة بقوة وسائل الإعلام. يمكن أن تأتي بالسياسي إلى السلطة. لا يجب أن تكون في أمريكا أية مقدرة مالية أخرى. هذا هو المنظور الأول للكساد الكبير. "الدفاعي" كما يقال. ولكن كان منظور "هجومي" أيضاً. في انكماش الاقتصاد الشامل أمكن بسهولة. والأهم، بثمن بخس شراء أكبر الصناعات من أجل، مرة تلو مرة، تركيز كل المقدرة المالية في أيدي جهة واحدة. يتذكر مشجعو الهوكي القدامى حالة مشابهة من الهيمنة الساحقة لقوة واحدة تكرست في بطولة الاتحاد السوفيتي. تحولت بطولة الهوكي إلى مسرحية معروفة النهاية مسبقاً. جرى الصراع على المكان الثاني والثالث. أما المكان الأول من سنة لأخرى من نصيب نادي الجيش في العاصمة. يفوق نادي الجيش منافسين بشكل كبير لأنه بحق أو بباطل جمع في صفوفه أفضل اللاعبين في البلاد. لقد كان الفريق الأقوى بالفعل - وجرى دعم هذا التفوق بعناية من موسم لآخر.

لم يكن أحد يهدد جبروت تجمع أصحاب البنوك فما مغزى إثارة المشاكل داخل بلادهم؟ كثيراً ما يطرح هذا السؤال غير العارفين جيداً بمبادئ اللعبة

السياسية وبالتاريخ. حتى عام 1920 سيطر جون مورغان دون منازع على عالم المال الأمريكي[1]. في المبنى 23 من وول - ستريت أقيم بناء فخم، توضعت فيه قيادة مصرفه. ولا يزال هذا المبنى قائماً حتى اليوم. ولكن حتى في أيامنا هذه، إذا قدمتم إلى نيويورك يمكنكم رؤية آثار الكارثة التي حدثت منذ 89 عاماً.

"على واجهة المبنى الشبيه بالقلعة ما تزال الحفر الناجمة عن الانفجار الذي دوى عام 1920. عندما طارت في الهواء عربة فيل تحمل الديناميت والكرات المعدنية في ذروة يوم العمل. بنتيجة العمل الإرهابي سقط العشرات قتلى وجرحى <...> لم تتمكن السلطات من تحديد مشهد التراجيديا الحاصلة بشكل موثوق"[2].

ولم يكن ذلك الاعتداء الوحيد على جبروت جون بيريونت. قبيل الحرب العالمية الأولى، أي عندما بدأ النظام الاحتياطي الفيدرالي العمل وكان في مرحلة جنينية، قرر الكونغرس تجزئة إمبراطورية مورغان الضخمة. يبدو أنه أحس بالخطر منذ ذلك الحين. إذا كان تحت سيطرته في بداية عام 1914 أكثر من 20 مليار دولار. هذا مبلغ خيالي بكل معنى الكلمة بالنسبة لتلك الفترة، رغم أنه حتى في أيامنا لا بأس به.

توجد طريقتان لتحقيق النصر في أي حرب: إما تحطيم العدو في ساحة القتال، أو جعل الاستمرار في الصراع مستحيلاً بالنسبة له. تدمير القاعدة الاقتصادية، الحرمان من وسائل المقاومة. يمكن للنقود فقط أن تقف في وجه أصحاب البنوك مالكي الاحتياطي الفيدرالي، نقود الآخرين. نقود الغرباء. وقد كانت الأزمة وسيلة لتدمير المقدرة المالية الغريبة.

"اختفت كل الثروة التي ادخرت بهذه السرعة في السنوات السابقة على هيئة أوراق مالية. ازدهار ملايين الأسرار الأمريكية، الذي نبت على قاعدة القرض المتضخم العملاقة، تبين فجأة أنه مجرد وهم، مؤسسات صناعية جبارة وجدت نفسها متعثرة ومشلولة. إثر انهيار البورصة في مرحلة ما بين 1929 و1932 جاء الانخفاض المستمر في الأسعار. وكنتيجة لذلك جرى خفض الإنتاج، الذي سبب

---

[1] غرينسبين. أ. عصر الاضطرابات. م. البينا بيزنس بوكس، 2007، ص. 86.

[2] المرجع ذاته.

بطالة واسعة النطاق"[1] - هكذا يصف تشرشل الكساد الكبير في أمريكا. وإليكم بعض الأرقام:

- بلغ عدد العاطلين في أمريكا خلال الكساد الكبير 15 مليوناً[2]. وفي مراجع أخرى ليست أقل ثقة بلغ 17 مليون عاطلاً[3].

- انخفض إنتاج الفحم 42%، إنتاج الحديد 79%، الفولاذ 76%، إنتاج السيارات 80%. من 297 فرن عال بقي في العمل 46.[4]

- عدد المصانع والشركات التي انهارت خلال سنوات الأزمة بلغ رقماً خيالياً: 135747، 10000 بنك أغلق نهائياً.

هذه حقائق. لم يعان اقتصاد أي دولة في العالم مثل هذا الكابوس. حتى في الحرب. وفي عام 1929 لم تحارب أحداً. وكان الاحتياطي الفيدرالي يقوم على حماية الاستقرار والنظام في قطاع المال، بالمناسبة لقد أنشئ هذا النظام من أجل ذلك بالذات - لتفادي الأزمات.

إذن كيف حصلت الكارثة؟

لنتذكر ما قاله ونستون تشرشل قرض متضخم. قرض وضخموه. يتطلب صنع أزمة في البداية توزيع النقود بالقروض أكثر ما يمكن. ولا يلزم لذلك سوى "أمران" اثنان: دائن ومدين من أجل "خلق" الدائن المقرض زاد نظام الاحتياطي الفيدرالي كتلة النقد مرة ونصف المرة تقريباً: من 31.7 مليار دولار في 1921 إلى 45.7 مليار دولار في 1929. من خلال نظام الاحتياطي الفيدرالي الذي قد تم إنشاؤه أعطيت الأموال إلى البنوك "المطلوبة"، والتي بدورها أقرضت بنوكاً ومنظمات أخرى. عبر مستويين اثنين يزحف النقد على شكل قروض إلى جيوب السكان وصغار الكسبة. "خلقت" وسائل الإعلام المدين أو المقترض إذ راحت تعرض دون كلل على الأمريكيين أن يأخذوا قروضاً لتحسين نوعية حياتهم لنتذكر أعوام، 2005، 2006، 2007 لنفخ الفقاعة المالية ملأ ممثلو البنوك المخازن بالأجهزة المنزلية

---

[1] تشرشل الحرب العالمية الثانية، م. فوينيزدات 1991، مجلد 1 ص. 32، 33.

[2] تايلور ا. الحرب العالمية الثانية، ح ع ث: وجهتا نظر م. ميسل، 1995، ص. 381.

[3] تاريخ الكون، مجلد 22. م.: آست، 2001، ص. 221.

[4] تاريخ الكون، مجلد 22. م.: آست، 2001، ص. 250-251.

الإلكترونية، ويغرون كل من يدخل إليها، أما في أمريكا وزعوا بطاقات ائتمان للجميع دون استثناء. وقد أصبحت الحياة بالقروض تدخل في الموضة عشية الكساد الكبير. في أمريكا في بداية القرن العشرين عدلوا القانون للبدء، إذ عرضوا على مواطنيهم الثراء السهل والسريع. لم تتغير الوسيلة منذ ذلك الحين - هي اللعب في البورصة.

لقد خفضوا الفائدة على القرض من جهة، من جهة أخرى - عرضوا أن توضع هذه القروض في أسهم. حسب شروط القروض، تحت تسمية شراء الأسهم يفهم (ما يسمى بالدين الهامشي). من أجل اللعب في البورصة الآن لا يلزم امتلاك ثمن الأسهم 100%. يكفي إيداع 10% فقط ومقابل هذه النقود حصل اللاعب الجديد، بواسطة القرض، على أسهم كاملة القيمة 100%. على مثال أيامنا هذه في أي قطاع اقتصادي نرى أن تخفيض "عتبة الدخول" يؤدي لتزايد عدد المشترين على نحو انفجاري. فالذين يملكون عشر المبلغ أكثر بعشرات الأضعاف من عدد الذين يملكون المبلغ كاملاً. تقاطر الناس بأعداد هائلة إلى البورصة في عام 1920، تماماً كما في روسيا في أيامنا - لشراء البرادات والتلفزيونات.

من يدفع المبلغ المتبقي؟ وسيط البورصة الذي اقترض من البنك لهذه الغاية. في النتيجة يربح الجميع: ارتفع عدد الزبائن لدى الوسيط، الزبون يربح عند ارتفاع قيمة السهم 10% فقط، أما ازدياد عدد المشترين فقد أدى إلى غلاء الأسهم[1].

كان في هذا الجبن اللذيذ قطعة صغيرة غير ملحوظة من صائد الفئران: مالك السهم، الذي أودع عشر ثمنه، كان عليه خلال 24 ساعة عند طلب الوسيط أن يودع الأموال المتبقية. لكن هذا الشرط لم يكن يقلق أحداً. فقد كانت قيمة الأسهم تحلق في السماء على حساب الأعداد الضخمة من اللاعبين القادمين. بدأ الصعود السريع. كانت تجنى أموال طائلة في البورصة. لكي يشترك الأمريكيون في عيد الحياة هذا أخذوا قروضاً اشتروا بها أسهماً. في 1923 كان مؤشر البورصة

[1] إذا دفعت 10 دولار ثمن رزمة أسهم تساوي 100 دولار، فإذا ارتفعت قيمة السهم 10% تصبح كزبون مالكاً لرزمة قيمتها 110 دولار. الآن يمكن للاعب إعادة 90 دولار للوسيط ويحصل على 10 دولار إضافة إلى العشرة التي كانت لديه في البداية.

عند مستوى 99. وفي 3 أيلول 1929 حقق رقماً قياسياً إذ تضاعف أربعة مرات خلال 6 سنوات - 381.17. "كل شخص يستطيع أن يثري في البورصة!" - عنونت مجلة نسائية واسعة الانتشار. لسخرية القدر صدر هذا العدد قبل يوم واحد من الانهيار التام. في عام 1932 انخفض مؤشر داو جونز إلى 41. تعافى السوق ووصل إلى المستوى الذي كان عليه قبل 39 عاماً - ولم يتجاوز مستوى الثالث من أيلول 1929 إلا في عام 1954.

يبرز شبح الانهيار الرهيب على موجة الصعود الشامل. لأن من يصنع النقود ويقرضها يستطيع دوماً التوقف عن الإقراض، ويطالب بسداد الديون القديمة.

آلية تنظيم الأزمة المالية بسيطة جداً: منع إعطاء نقود جديدة، والمطالبة بتسديد الديون المستحقة القديمة.

بهذه الطريقة افتعلت أزمة الكساد الكبير. وعلى هذا النموذج تمت حياكة الأزمة المالية في العامين 2008-2009. طالبت البنوك التي يسيطر عليها جون مورغان وشركاؤه باستعادة القروض. بشكل جماعي ودفعة واحدة. ماذا بقي أن يفعل وسطاء البورصة الذين أقرضوا المشترين 90% من قيمة أسهمهم وهم ذاتهم اقترضوا هذه النقود من البنك؟ سوى أن يطلبوا من زبائنهم التسديد. وخلال 24 ساعة. وماذا أمكن للأمريكيين التعساء الذين لم يفكروا باحتمال تطور الأحداث على هذه الصورة؟ لا يمكن لهم إيجاد النقود خلال 24 ساعة. بقيت طريقة واحدة - بيع الأسهم في البورصة.

تصوروا مجيء كل مالكي الأسهم إلى البورصة بهدف واحد - بيع الأسهم.

ولم يأت أحد للشراء في البداية.

بدأ هبوط الأسهم في وول ستريت 24 تشرين الثاني 1929 في الخميس الأسود، لم يكن هناك طلب هناك عرض فقط في البداية.

بدأ بيع الأسهم بذعر ويأس. يحتاج الجميع للنقد، ولا أحد يريد الأسهم.

هنا لا بد من الإشارة لقضية لافتة: عندما تقرؤون في كل ما نشر عن الكساد الكبير وانهيار البورصة أن كل الأسهم بيعت بثمن بخس، ولكنكم لن تقرؤوا أبداً أن الأسهم قد جرى شراؤها بثمن بخس.

إذن، من اشترى الأسهم المباعة؟

في اليوم الأول باع المساهمون حوالي 13 مليون سهم. ولكن كان هذا هو البداية فقط. ثم تلا الخميس الأسود. جمعة سوداء، واثنين أسود وثلاثاء أسود، بيع زهاء 30 مليون سهم. بسنتين للسهم. ملايين الناس فقدوا كل ما يملكون. بلغت الخسائر 30 مليار دولار تقريباً - وهذا مقدار ما خسرته أمريكا في الحرب العالمية الأولى. منظمو الأزمة لعلمهم متى وكيف تبدأ الأزمة تخلصوا مسبقاً من الفعاليات غير اللازمة. والآن عشرات من هؤلاء الناس على وقع صرخات المساهمين - المفلسين وهم يقذفون أنفسهم من النوافذ. أصبحوا مالكين عملياً لكل شيء.

عندئذٍ تضاءل عدد البنوك في أمريكا من عشرات الآلاف إلى بضعة مئات ومعظمها الآن تعود ملكيته "للناس الأسوياء". لم يبق نقود عند أحد - وأظنكم خمنتم ماذا فعل النظام الاحتياطي الفيدرالي المفوض بمكافحة الأزمة: بدلاً من أن يضخ الأموال في الاقتصاد لمساعدته، فعل النظام العكس. جرى اختصار حجم الكتلة النقدية التي كانت قبل الأزمة تزداد باطّراد، اختصرت من 45.7 مليار دولار في تموز 1929 إلى 30 مليار دولار في تموز 1933. يمكن الآن التحرك إلى مدى أبعد.

ها هي الأزمة قد صنعت - المطلوب اقتراح لحلها، والأدق للتعايش معها، توجب تضخيم الأزمة حتى مقاييس فضائية. أزمة الأرصدة وهبوط قيمة الأسهم كان لا بد أن يتحولا إلى أزمة وكلمة أزمة يجب أن تميز بكتابتها بحرف كبير. وأداة تعميق الأزمة موجودة. وكان النظام الاحتياطي الفيدرالي هو تلك الأداة. في الوضع الذي أعقب الانهيار في وول - ستريت، حيث احتاج الجميع للنقود كان اقتصاد أمريكا شبيهاً بإنسان نزف الجزء الأكبر من دمه، لم يرفع الاحتياطي الفيدرالي حجم الكتلة النقدية. بل بالعكس اختصرها عدة مرات! في النتيجة أصبح انهيار البورصة انهياراً شاملاً. أصبح الناس المرتدون ملابس باهظة الثمن ويحملون لوحة كتب عليها "موافق على أي عمل" سمة مميزة للواقع الأمريكي في ثلاثينيات القرن العشرين.

إذن كيف كان حل المشاكل؟ لا بد من شخصية جديدة، خط سياسي جديد. في 4 آذار 1933 أصبح فرانكلين ويلانو روزفلت رئيساً للولايات المتحدة.

ينظر إلى هذا السياسي في روسيا نظرة إيجابية. هكذا اعتاد الناس أن يعتبروا أنه كان حليفاً أكثر وفاء وليونة للاتحاد السوفيتي في صراع الموت مع الفاشية. وليس على مثال تشرشل. إلا أن هذا الكتاب عن الأزمة وليس عن الحرب العالمية الثانية.

أخرج فرانكلين روزفلت أمريكا من الأزمة. تكتب كتب التاريخ تاريخ الكساد الكبير: 1929-1933 وتربط بالكامل تعافي الاقتصاد الأمريكي مع وصوله إلى البيت الأبيض. بينما في الواقع كان روزفلت الدواء المر لأمريكا. وقد كان وصوله إلى السلطة معداً له ومخططاً من قبل طباخي المرقة ذاتهم، الذين طبخوا كل هذا الكساد المرعب. ولكن لم تكن مهمته الأساسية مجرد ابتلاع الأزمة.

كان أمامه جهد هائل حقاً. أكثر المهام تعقيداً ومسؤولية.

كانت مهمة روزفلت الأساسية القضاء على المعيار الذهبي.

وكان هدف الكساد الكبير ينحصر بذلك بالذات. كان من الضروري فك ارتباط الدولار عن ما يعتبر حتى الآن قيماً أبدية. يجب أن يصبح الدولار ذاته القيمة العالمية الرئيسة وأن يحل فعلياً محل الذهب. ولكن طالما لعب الذهب هذا الدور بنفسه. كان محكوماً على الباكس الورقي (الدولار) أن يبقى في ظله.

إن ما حدث في أمريكا عام 1933 حتى للروس الذين كابدوا كتلة من الأمور المزعجة - من فتح الإنتاج البلشفي إلى عجز عام 1988 - سيبدو أمراً غير معقول للغاية. بحجة الإجراءات "المضادة للأزمة" أجرى روزفلت إصلاحات راديكالية. يمكن أن تسميها ديمقراطية. في الفهم المعاصر لهذه الكلمة، فاليريا نوفودفورسكايا فقط. أعطوا المحاسبين العاطلين، الذين لم يحملوا شيئاً أثقل من قلم الحبر الرفوش وأرسلوهم يشقون طرق السيارات ويبنون الأبنية العامة. فإن كان لا يريد أو لا يستطيع الحفر والبناء. يحرمونه من راتب العاطل عن العمل. لم يكن لديهم خيار - اشتغل الأمريكيون فعلياً مقابل الطعام.

عندما تقرؤون مرة أخرى عن مدى ذكاء ووطنية أول رئيس، في التاريخ الأمريكي، عاجز. سيجري الحديث عن أحداث ثلاثينيات القرن العشرين. وفق هذا المنوال. بجرأة، بسرعة، بحسم، على سبيل المثال في آذار 1933 تم إنشاء "الفيلق

المدني للحفاظ على الموارد" تحت التسمية الجميلة تختبئ حقيقة ليست جميلة تذكر بجيش العمل الذي اخترعه يوماً الرفيق تروتسكي. ولكن إذا كانت فكرة تروتسكي في الاتحاد السوفيتي بدت حتى لمن يتظاهرون بالبلشفية جريئة فوق العادة وبقيت مجرد فكرة. فإنها في أمريكا تحققت على أرض الواقع. توجهت الشبيبة العاطلة عن العمل إلى مناطق بعيدة في البلاد "من أجل الحفاظ على الموارد". كان العمل ثقيلاً، تحت مصطلح "الحفاظ على الموارد" كان يفهم ليس فقط إنشاء منتزهات مزروعة بالأشجار ومنظمة جيداً، بل وتنظيف الغابات وشق الطرق المعبدة. حتى كانون الثاني 1934 اشتغل فيها 5 ملايين شخص الأجر - 1 دولار واحد في اليوم.

وإصلاحات روزفلت كانت حاسمة وسريعة ولكن ما أكسبها السرعة حقيقة بسيطة، هي أن الأزمة تعمقت لدرجة وضعت موضع الشك وجود الدولة ذاتها، كانت هناك حالات من الموت جوعاً- وهذا في بلاد كانت مفعمة بالأغذية. في النهاية لم يكن هدف مالكي الاحتياطي الفيدرالي تدمير الصناعة الأمريكية جذرياً والدولة الأمريكية. بل مجرد إضعافهما لإخضاعهما لسلطته. وها قد تم الإضعاف والآن يجب أن يتم الإخضاع بسرعة. ومن ثم استعادة قوة الدولة بسرعة أيضاً.

هناك أمر هام- لم تجر إصلاحات روزفلت رغماً عن إرادة المتسلطين وراء الكواليس على هذه الدولة، بل بتكليف مباشر منهم وبمباركتهم.

كان الأمريكيون منشغلين بالأعمال الاجتماعية المفيدة، ولم يلاحظوا كيف تغير نظام الدولة المالي بسرعة. ما إن وصل روزفلت إلى السلطة أعلن عما يسمى "عطلة البنوك". أغلقت كل المؤسسات المالية قسرياً لأسبوع واحد. ولم يقم بذلك "لتهدئة المودعين" قطعاً، وإنما لكي لا يتمكن أي مودع من القطاع الخاص أن يسحب مدخراته. لأنه في الوقت ذاته جرى الإعلان عن إلغاء المعيار الذهبي للدولار. في نفس الوقت أيضاً صدر المرسوم الرئاسي رقم 6102 الذي ينص:

"الفصل 2 بهذا المرسوم يلزم كل الأشخاص حتى أيار 1933 بتسليم كل النقود المعدنية الذهبية، السبائك الذهبية والشهادات الذهبية - إلى البنك الاحتياطي الفيدرالي أو لفروعه أو وكالاته، التي تمثل النظام الاحتياطي الفيدرالي".

"الفصل 9 يعاقب من يخالف بإرادته أمر الرئيس <...> أو أي بند من بنوده <...> بغرامة لا تتجاوز 100 ألف دولار إذا كان المخالف فرداً يعاقب بالسجن لمدة لا تزيد عن 10 سنوات أو بالعقوبتين معاً".

تحتم على السكان خلال شهر واحد (!) تسليم ما لديهم من ذهب للاحتياطي الفيدرالي. أعلن امتلاك السبائك والنقود الذهبية ما عدا مجموعات الهواة، مخالفاً للقانون. حصل الأمريكيون بدلاً عنها على دولارات ورقية، أصبحت منذ الآن بديلاً عن الذهب بصفتها وسيلة للإدخار. في بيتروغراد البلشفية استدعي من لم يسلم الدولارات والنقد الأجنبي إلى التشيكا. أما المواطن الأمريكي الذي لا يرغب بتسليم المعدن الثمين المدخر فقد هددته غرامة هائلة 100 ألف دولار (تذكروا أن الأجر اليومي كان دولاراً واحداً!) أو السجن عشر سنين[1].

جرت سرقة السكان بدون مشاكل لأن وسائل الإعلام قدمتها كإجراء هام لمكافحة الأزمة "لا بد من تجميع موارد البلاد لإخراج أمريكا من الكساد". - قال فرانكلين روزفلت. تحت غطاء من الصخب قام رئيس البلاد بفعل ما من أجله أصبح رئيساً: أخذ الذهب من شعبه. في أحد الأفلام الهوليودية قرر المجرمون سرقة فورت نوكس مستودع الذهب الحكومي. لقد نقلوا كل الذهب الذي انتزعه روزفلت إلى هناك ولم يزل هناك حتى اليوم. بعد أن اشترى الذهب من المواطنين بسعر 20.66 دولار للأونصة. رفع روزفلت فوراً سعر الذهب إلى 35 دولار للأونصة، معلناً خفض قيمة العملة الوطنية[2].

---

[1] http://denyushki.ru/?category=stati&altname=pervye_bumzbnye_dengi_v_evrope_1_ssho.

[2] الأونصة الطروادية وحدة قياس كل المعادن الثمينة. وهي تساوي 12/1 من الجنيه الإنكليزي الذهبي الأونصة الطروادية = 31.10348 غرام. من هذه الكمية يمكن صنع زوجين من خواتم الزواج. ظل سعر الأونصة 35 دولار حتى آذار 1973 عندما حصل كساد في أمريكا. ألغيت حتى هذه الكمية الوهمية من دعم الدولار بالذهب نهائياً. نظرياً حتى عام 1973 تستطيع الدول استبدال الدولار بالذهب. وهذا أمر لافت: عملة يصدرها الاحتياطي الفيدرالي. أي شركة خاصة. تدعم بالذهب من قبل الدولة الأمريكية. هذا يوضح لأي درجة يسيطر الاحتياطي منذ 1944. أي بعد 21 عاماً من إنشائه. على نظام الدولة في أمريكا.

تم إلغاء المعيار الذهبي. بداية في الولايات المتحدة ولاحقاً في كل مكان. "بعد الكساد الكبير في الثلاثينيات جرى إلغاء المعيار الذهبي عملياً في العالم كله"[1].

هذا يعني أن التجارة العالمية استعدت لأفق زوال عصر الذهب، لم يعد بإمكان الأمريكي أن يستبدل الدولار بالذهب.

تم إنجاز المهمة الرئيسة - يمكن للأمريكيين ادخار النقود الورقية فقط، وليس السبائك والنقود الذهبية.

بالطبع الطريقة الأسهل لادخار النقود الورقية، هي الذهاب إلى البنك وفتح حساب فيه. أي الذهاب إلى أصحاب البنوك! وهم من أنشأ الاحتياطي الفيدرالي. أصبحت الدولة الضخمة مرة واحدة بحاجة لخدمات البنوك أكثر بكثير. يحتاج الجميع الآن للنقود الورقية فحسب، التي يصدرها الاحتياطي الفيدرالي الذي يملكه أصحاب البنوك. كانت الأوراق التي طبعوها تعود إليهم ذاتهم. والذهب؟ يضعونه عادة في مقصورة الخزن، ولا يسمح لأصحاب البنوك بالوصول إليه. بذلك يكمن الاختلاف المبدئي. بواسطة الادخار في الورق مجموعة ضيقة من الأشخاص الذين أنشؤوا الاحتياطي الفيدرالي حصلوا على السيطرة على مدخرات كل سكان الولايات المتحدة. ولاحقاً بمرور الزمن - السيطرة على مدخرات سكان الكوكب كله.

ما إن تمت مصادرة الذهب بدأت الأزمة بالانحسار بسرعة كبيرة وهذه حقيقة ذات دلالة كبيرة. في عام 1933 بالذات - عام النهاية الرسمية للكساد الكبير وعام مصادرة الذهب. يتكون انطباع أن وجود السبائك الذهبية والنقود الذهبية في بيوت الأمريكيين كان السبب الأساسي للفوضى الاقتصادية في البلاد. وعندما أصلح هذا الخطأ المؤسف، جرت الأمور فوراً على ما يرام.

غادرت الأزمة بلداً مختلفاً تماماً عن البلد الذي دخلته. أصبحت بنية الولايات المتحدة مغايرة تماماً. تركيز النقود في أيدي مجموعة ليست كبيرة من الأشخاص فاق ما شهدته البشرية في تاريخها. في أيدي جهة واحدة كانت حصة الأسد من

---

[1] غرينسبين ا. عصر الاضطرابات، م. البينا بيزنس بوكس، 2007، ص. 455.

الصناعة. ومن وسائل الإعلام. عمل في المصانع الكبرى التي يبلغ عددها 5.2% من العدد الكلي للمصانع. 55% من عدد العمال غير العاطلين، وأنتج فيها 67.5% من مجمل إنتاج البلاد. ويملك أسهمها عدد غير كبير من الكونسرنات العملاقة. في نهاية الثلاثينيات كان 1% من المالكين يملك 59% من ثروة البلاد الوطنية. في حين 87% - الجزء الأكبر من سكان البلاد - يملكون 8% فقط من الثروة الوطنية. على سبيل المثال كان جون مورغان في الواقع مؤسس ومالك العديد من الشركات "الصناعية" بكل معنى الكلمة مثل شركة الفولاذ "يو إس ستيل" وشركة الكهرباء "جنرال إلكتريك" وغيرها. وليس فقط مؤسس ومالك بنوك.

كان ذلك زمن إقامة الشركات العملاقة والماركات المسجلة والكونسرنات. إننا لا نتساءل كيف حصل أن تنتج "بروكتر آند غامبل" شيبس (رقائق البطاطا) "برينغلز" وليس فقط مساحيق الغسيل والشامبو والحفاضات.

تم إخضاع الولايات المتحدة نهائياً. ابتلعت المؤسسات المصرفية خفية وبسرعة الدولة الأمريكية. على رأس البلاد الآن يمكن أن يكون فقط الشخص الذي نال موافقة الآباء المؤسسين للاحتياطي الفيدرالي. وقد اتخذ هذا النظام نهائياً الشكل الذي نعرفه الآن في 1935 عام ما بعد الأزمة. أصبحت مصالح "آلة الطباعة" هي التي تحدد سياسة الولايات المتحدة وليس مصالح سكان البلاد. بعد ذلك كانت الحرب العالمية الثانية، فأضيفت عشرات ملايين الضحايا ويصعد الدولار لارتفاع أكبر. بعد ذلك بنتيجة اتفاقية بريتون - فودسكي أصبح العملة الاحتياطية الوحيدة في الكوكب واحتفظ بهذا الدور حتى زمننا هذا.

وكل ذلك قام بتأمينه فرانكلين ديلانو روزفلت الذي بقي في منصبه من عام 1933 حتى 1945 ومات حتف أنفه.

إذن، لدينا رئيسان، محبان للوطن، وسياسيان موهوبان. لكل منهما نجاحاته وأخطاؤه. أحبهما الأمريكان البسطاء بقدر متساو. والسؤال أيضاً من أحبوا أكثر[1] بالمناسبة هنالك أسباب أكثر بكثير لكره روزفلت عند

---

[1] أغفل روزفلت بيرل هاربر. وقد يحسب ضده. في واقع الأمر عرّض الأمريكان الأسطول عن قصد للضربة للحصول على حجة للدخول في الحرب، التي رفضها الشعب الأمريكي بشدة.

الأمريكان الذين سرقهم. ولكن لم يوجد "أوسفالد" واحد ضده[1]. لأن قاتلاً وحيداً متحمساً لا يمكنه مبدئياً قتل رئيس دولة كهذه. ولا شأن هنا للحب أو الكره. كانت النخبة السياسية تكره كينيدي وقد قتل. والنخبة ذاتها كانت تحترم روزفلت لتنفيذ توجيهاتها بدقة، لذلك أعادوا انتخابه لفترة ثانية ومنحوه إمكانية الموت وهو في منصبه كأنه عضو المكتب السياسي أيام بريجنيف.

لماذا لم يكن نخبة أمريكا تحب جون كينيدي؟

4 حزيران 1963 وقّع مرسوماً رئاسياً رقم 11110 أعطى كينيدي بموجبه الحق لوزارة المالية الأمريكية إصدار أوراق نقدية (دولارات) بضمان الفضة المتوفرة في الخزينة. بالنتيجة طبعت نقود أمريكية من فئة دولارين و5 دولارات تزينت بعبارة "بنكنوت الولايات المتحدة" وليس "بنكنوت الاحتياطي الفيدرالي"[2].

كان كينيدي بمرسومه يخرج بنعومة نظام الاحتياطي الفيدرالي من قطاع طباعة النقود معيداً آلة الطباعة إلى أيدي الدولة الأمريكية.

كان يصحح مخالفة الدستور وعبثية الوضع، حيث لا تستطيع الدولة أن تطبع نقودها بنفسها. كان هذا انقلاباً هادئاً وخفياً في الدولة. كان ذلك خيانة بكل معنى الكلمة[3]. هذا ما كان يخشاه أكثر من أي شيء أصحاب البنوك، مؤسسو الاحتياطي الفيدرالي، لكي لا يحصل ذلك اشتروا وسائل الإعلام والبنوك والمصانع والشركات الكبرى. وها هي جرة قلم - وينتهي كل شيء. أمسك جون

---

[1] حدث الاعتداء الفاشل الوحيد على روزفلت مباشرة بعد انتخابه. الإرهابي جوزيبي زينغارا أصاب بجراح قاتلة عمدة شيكاغو، دون أن يمس الرئيس. من كان زينغارا ولماذا فعل ذلك - واحد من الألغاز التاريخية.

[2] بالدخول إلى هذا المستند يمكنكم حتى رؤية الأوراق النقدية، التي أصدرها جون كينيدي. اليوم هي من النوادر التي يجمعها الهواة.

//http://www.vfgroup.net/pageContent.aspy?Pgld=123.

[3] أبو الرئيس جون كينيدي. جوزيف ب. كينيدي كان في عداد "المحظوظين" تخلص من الأسهم وتوقف عن اللعب في البورصة قبل عشرة أشهر من الانهيار. هل خمن ذلك بنفسه؟ تقول الأسطورة العائلية (فقط لا تضحكوا) أن جوزيف سمع نصيحة... ماسح الأحذية، الذي نصحه بالتخلص من الأسهم التي يملكها! لا أكثر ولا أقل. يحتمل أن ابنه قرر أن يصبح رئيساً بنصيحة الحمال أو عامل البار. هل تثقون بذلك؟ الرئيس الأمريكي كان وما زال ينتخب وفق مبدأ الولاء الشخصي "لمافيا البنوك". كانت عائلة كينيدي دائماً على علاقة طيبة معها وكانوا يثقون بجون كينيدي.

كينيدي سلاح قتل الشرير بيده. لم يعد الصبر ممكناً. كما لا يجوز الإبطاء. فعلى إثر إصدار أوراق البنكنوت من الفئات الصغيرة يجب أن يأتي الإبعاد التام للاحتياطي الفيدرالي عن طبع النقود. مفهوم أنه بحجة خيرة في الظاهر. ما الذي يفعله الاحتياطي الفيدرالي عندئذٍ؟ سوف ينظم سوق المال ويراقب لكي لا تتكون أزمات؟ لينظم ويراقب. ولكن لا يطبع النقود.

بعد أقل من خمسة أشهر بعد توقيع المرسوم القاتل للنظام الاحتياطي الفيدرالي[1] في 22 تشرين الثاني 1963 قتل الرئيس كينيدي.

كان بالنسبة للبعض وطنياً غيوراً وبالنسبة للآخرين - خائناً.

إذن، من قتل الرئيس كندي؟

آمل أن الجواب أصبح بديهياً.

برأي كثير من المحققين أن الرجل ذا المظلة. الذي فتحها لحظة مقتل كينيدي، كان "قائداً" لفرقة الرماة. بوجوده قرب سيارة الرئيس أشار إلى الهدف الذي يرمى عليه. لم يهتم التحقيق بالبحث عن هذا الشخص.

---

[1] المرسوم 11110 الذي وقعه كينيدي لم يلغ رسمياً حتى الآن. وهو شكلياً ساري المفعول. ولكن لم يجرؤ أحد من القادة أن يطبع نقوداً ويتجاوز الاحتياطي الفيدرالي.

الفصل السادس
لماذا أحب البلاشفة كثيراً لينا غولدفيلدس
أو من نظم مجاعة الموت

صوت الحقيقة ثقيل على الأذن

لاوتسي

الإيمان، كوجهة النظر المنتقلة من قرن لقرن
من جيل إلى جيل، لا يمكن أن يكون كاذباً
بالكامل - وهم خالص... إذ لم يفكر أحد،
باستثناء عقول بعض الفلاسفة، أن يختبر
ما يقوله الجميع هل هو صحيح أم لا.

بييربيل

هل يوجد اليوم أداة مالية تسمح بقلب العالم رأساً على عقب؟ وهل يمتلك هذه الأداة أحد؟ هذه الأداة موجودة - الواحدة النقدية المسماة، خطأً، بالدولار الأمريكي. هو - دولار نظام الاحتياطي الفيدرالي، العملة الرئيسة للإنسانية حتى اليوم[1]. لنعير انتباهنا إلى التواريخ: في تموز 1944 في مدينة بريتون وودز (أمريكا) جعلوا الدولار رسمياً العملة الغالبة في الحسابات الدولية والفعاليات الاحتياطية. أصبح الدولار العملة العالمية الرئيسة، الوحيدة التي يمكن تحويلها إلى ذهب منذ عام 1944 بالضبط، في عام 1914، عندما بدأ نظام الاحتياطي الفيدرالي، حديث الولادة، عمله. لم يكن الدولار العملة الرئيسة للعالم بعد. استغرق الدولار 30 سنة ليخضع القمة المالية العالمية، إنها فترة غير قصيرة بالنسبة للإنسان، ولكنها بالنسبة للتاريخ لحظة تقريباً. بتمكنه من السيطرة على إصدار النقد بداية لعملة واحدة، استطاع النظام الاحتياطي الفيدرالي بسرعة كبيرة أن يزيح وحتى يقضي على وسائل الدفع الأخرى. إذ نظف الميدان من أجل مولوده الأخضر.

وقد حدث ذلك بسرعة كبيرة لأن الأداة المستخدمة كانت الأقوى على

---

[1] 15 تشرين الثاني 2008 عقد في واشنطن لقاء قادة الدول العشرين الأكثر تطوراً في العالم. وضعت في هذا اللقاء بداية تشكيل نظام مالي جديد. لقد تغير العالم. هذا ليس مرئياً بوضوح بعد، لكن الكبير يرى من بعيد، كما يقال.

الإطلاق. لم تستخدم أداة قوى منها في التاريخ الإنساني أبداً. من هنا النجاح المذهل بسرعته. إنها - حربان عالميتان.

هنا لا بد من الإشارة إلى نقطة هامة: الاحتياطي الفيدرالي وسكان أمريكا - ليسا الشيء ذاته. توجد شركة كبرى مع عشرة ممولين، ويوجد الشعب بملايينه الكثيرة، الذي يشكل الدولة الأمريكية. لا تتطابق مصالحهما دائماً. والأصح لا تتطابق أبداً. الناس البسطاء في أي بلد من العالم لا يريدون الهيمنة العالمية. الإنسان العادي دائماً يريد أن يحيا حياة هادئة. يربي الأطفال، يبني بيتاً، أن يحب ويكون محبوباً. لا شأن له بالمشاكل العالمية لا يحتاج لهيمنة بلاده على الكوكب. كما أنه لا يرغب في الموت على أرض المعركة. كل البشر يريدون السلام. أما أولئك الذين خلقوا لأنفسهم ظروفاً ليطبعوا النقود من الفراغ، سيذهبون إلى النهاية. لذلك يجب أن يدمروا حتى الإمكانية الكامنة لوجود مركز آخر في الكوكب لسك النقود. إن الدولة الأمريكية أصبحت مجرد أداة لتحقق مجموعة أشخاص مجهولين، الهيمنة العالمية.

إن سياسة أمريكا لا تتحدد بمصالح الشعب الأمريكي منذ زمن بعيد، الشعب الذي يريد كغيره حياة هادئة. وإنما بمصالح أخرى مختلفة تماماً وأهداف أخرى. عدا عن ذلك فإن بداية صراع الأمريكيين من أجل الاستقلال، كانت إلى حد كبير بسبب منع التاج الإنكليزي في المستعمرات من إصدار نقودها "النزيهة". بنتيجة حربهم لأجل الاستقلال حصلوا على هذا الحق، وبإنشاء الاحتياطي الفيدرالي فقدوه ثانية.

مهم أن نفهم أن أمريكا اليوم تنظر إلى مثل الديمقراطية الأمريكية، وإلى القيم التي ناضل من أجلها الآباء المؤسسون لأمريكا، كما تنظر معسكرات اعتقال (غولاغ) إلى مثل الثورة التي دافع عنها في الحرب الأهلية مئات آلاف مقاتلي الجيش الأحمر.

لتثبيت الهيمنة لا بد من الحرب. لكن الشعب لا يريد أن يحارب، لا يتعطش قاطنو الولايات المتحدة الحديثة للحرب، كما لم يكن سكان الرايخ الثالث يرغبون بالحرب. ولذلك بالذات يضطر السياسيون أن يعطوا لأفعالهم شكل الدفاع

وليس الهجوم. فالناس لا يريدون الهجوم على البلدان الأخرى، ولكنهم على استعداد أن يهبوا للدفاع عن بلدهم. ولما كان رئيس أمريكا روزفلت يعرف أن غالبية الأمريكيين الساحقة لا ترغب بمشاركة بلدها في الحرب العالمية الثانية. فعمد إلى استفزاز اليابان لتضرب بيرل هاربر[1]. كان بحاجة لحجة ليدخل الحرب ولذلك بالذات أظهر الجيش والأسطول الأمريكيين تلك "اللامبالاة" رغم الدلائل الكثيرة على الإعداد للضربة من طرف اليابان. إلا أن السفن الأكثر جاهزية للمعركة - أربع حاملات طائرات - اختفت يوم الهجوم بطريقة غريبة ولم تتضرر[2].

خطوة إثر خطوة قاد الاحتياطي الفيدرالي الدولار إلى قمة الهرم المالي عشرات ملايين البشر قتلوا في حربين عالميتين نظمتا،في الحقيقة، فقط لكي تحصل حفنة من أصحاب البنوك على ثروات العالم مجاناً[3]. وقد نالوا ما أرادوا جعل المؤتمر المنعقد في بريتون - وودس الدولار عملة احتياطية وحيدة. لكن الاتحاد السوفيتي امتنع عن المشاركة في إقامة "عالم الدولار" الجديد. جواباً على رفض ستالين فتح اقتصاده للورقة الخضراء، وليس على الإطلاق بسبب الانتخابات "غير الديمقراطية" في أوروبا الشرقية كانت الحرب الباردة والمجابهة على كامل الكوكب حتى عام 1991. لكن هذا سيكون فيما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، في البداية، وفق قوانين الحساب، يجب أن تبدأ الحرب العالمية الأولى. فتح النظام الاحتياطي الفيدرالي الطريق إلى الهيمنة العالمية في 1 آب 1914.

منطق الأحداث متين: بداية توضع الأداة المالية لاكتساب الهيمنة العالمية، ومن ثم يحرض المنافسون المحتملون للاقتتال فيما بينهم[4]. العدوان الأساسيان للعالم الأنكلوساكسوني. أي المنافسان الأساسيان لاقتصاده روسيا وألمانيا تم

---

[1] كانت الإمبراطورية اليابانية بحاجة ماسة إلى النفط لأنها لا تملك نفطاً في أرضها. وكان اليابانيون يحصلون على النفط من أمريكا. وفي صيف 1941 جمد الأمريكيون فجأة الأرصدة اليابانية في بنوكهم وحظروا توريد النفط لهم. في النتيجة انكمشت التجارة الخارجية اليابانية بمقدار 4/3. استيراد النفط بمقدار 10/9.

[2] تايلور ا. الحرب العالمية الثانية: وجهتا نظر م. ميسل، 1955، ص. 466.

[3] عن تنظيم الحرب العالمية الثانية انظر: ستاديكوف ن. من أجبر هيتلر أن يهاجم ستالين؟

[4] وثائق تنظيم المقتلة العالمية المخيفة وتفاصيل إشعال الثورة الروسية من قبل الأنكلوساكسونيين انظر: ستاريكوف ن. 1917. حل لغز "الثورة الروسية" م. باوزا - إكسمو، 2009؛ حول تنظيم الثورة الألمانية انظر: ستاريكوف ن. من أجبر هتلر أن يهاجم ستالين:

تدميرهما بواسطة ترتيب انفجار داخلي فيهما. لا يمكن صنع الثروة. وإنما يمكن إعدادها. ليس صدفة "يتميز" من بين ممولي الثورة الروسية أصحاب البنوك من وول - ستريت ذاتهم، الذين تذكر أسماءهم تقليدياً بخصوص إنشاء الاحتياطي الفيدرالي: روتشيلد - مورغان، فارتبورغ. شيف. عملت بعثة الصليب الأحمر صيف 1917 في بيتراغراد، ولسبب ما كانت تتألف بكاملها تقريباً من أصحاب البنوك والجواسيس وليس من الأطباء العاملين في الحقل الإنساني. ترأسها ريموند روبينس الذي كان مغرماً في البداية بكيرينسكي، وبعده أحب البلاشفة بكل روحه الأمريكية. دعّم التعاطف مع هادمي الدولة القوية منذ قرون بمبالغ مالية ضخمة[1]. دون الخوض بتفاصيل ثورتنا، لا يجوز أن نغفل حقيقة واحدة أخرى، المنظم الأساسي لأكتوبر كان إلى جانب لينين تروتسكي الذي عاد إلى روسيا من أمريكا ليقوم بالثورة (هذه حقيقة تاريخية). عاش هناك في بحبوحة رغم أن مهنته الوحيدة هي "مهنة الثائر"[2] ولكن اللافت - أن من سينظم الجيش الأحمر أبحر إلى وطنه وفي جيبه جواز سفر أمريكي، أي بوصفه مواطناً أمريكياً، وقد منحه الجواز شخصياً رئيس أمريكا وودرو ويلسون! إنه ذات الرئيس الذي تحمل صورته ورقة المئة ألف دولار، هو ذاته الذي وقّع مرسوم إنشاء الاحتياطي الفيدرالي.

إن لينين لم يكن يطيق تروتسكي وكان يدعوه بـ "المنافق"، كان يعرف جيداً المصالح التي يمثلها. وكأنما بسحر ساحر انقلبت كراهية لينين إلى الحب: طلب تروتسكي وأنصاره الانضمام إلى الحزب البلشفي. لم يصوت لينين بالرفض بل- بالموافقة. كثيرون من فريق تروتسكي ما كادوا يصبحون بلاشفة حتى تسلموا بسرعة مناصب مسؤولة. أسماؤهم معروفة وقد قدموا من الولايات المتحدة.

كان أنطون- أوفسينكو الذي اعتقل الحكومة المؤقتة من هذه "العصابة".

---

[1] كل المعلومات عن الذين مولوا "الثورة الروسية" يمكن إيجادها في كتاب البرفيسور سامون: وول - ستريت والثورة البلشفية، موسكو 1998. http://rus.sky.com//

[2] جاء من أمريكا "إنزال" ضخم من الثوار الذين سيصبحون أبطال أوكتوبر والحرب الأهلية، عدة مئات من الأسماء المعروفة وغير المعروفة. كثيرون منهم خلدوا على شوارع المدن الروسية، آخرون كانوا أقل حظاً وانضموا إلى صفوف "أبرياء" ضحايا تصفيات ستالين: أورينسكي، فولودارسكي (فولد شتاين)، لارين (لوريه)، ميلنيتشانسكي، زالكيند، يوفيه /تشودنوفسكي، غوبيرغ، بارتشوك، بوروفسكي، مينكين - مينسون، فوسكوف وآخرون. كيف عاش هؤلاء السادة والرفاق طوال حياتهم خارج الحدود؟ من الذي موَّل كل ثوارنا؟

كذلك مويسي فولودارسكي الذي ينتصب تمثاله في بيتروغراد.

وكذلك رئيس تشيكا في بيتروغراد أوريتسكي، الذي "على شرف" مقتله بدأ الإرهاب الأحمر".

كل أولئك كانوا بلاشفة ولكنهم انتسبوا إلى الحزب قبل أوكتوبر العظيم بثلاثة أشهر! وتسلموا على الفور وظائف رفيعة. وقبل وصولهم من أمريكا كان فراغ مطبق في حزب البلاشفة؟ لا أحد كفؤ؟ ولو أن هؤلاء الفتيان الشجعان، الذين انصهروا بنجاح في صفوف أنصار لينين، لسبب أو لآخر لم يأتوا إلى روسيا فهل كانت ستفشل الثورة؟

يصعب أن نصدق بوجود ارتباط وثيق بين كبار رجال أعمال العالم الرأسمالي وبين الثوار الأقحاح. تبدو فعلة "البورجوازيين" فاقدة لأي منطق، وتذكر بانتماء جماعي: أصحاب البنوك والمليارات يقومون بتربية "قاتليهم"، يقدمون بسخاء مساعدات مالية لأحزاب مناهضة للرأسمالية. كل هذا يبدو غريباً ولكن للنظرة السطحية الأولى فقط. فالمنطق موجود وهو منطق متين. بتمويل العناصر المضادة للرأسمالية (وهذا يعني المضادة للدولة!) في الدول المنافسة، أي كانت أقوى الأحزاب الديمقراطية الاجتماعية؟ في روسيا وألمانيا. أين حدثت الثورات؟ في روسيا وألمانيا. أما في أمريكا وبريطانيا وفرنسا لم يحدث شيء من هذا القبيل. لماذا؟ لأنه لم تعط نقود لمختلف الاشتراكيين في تلك البلدان. والنقود - أكثر العناصر الثورية ضرورة هذا ما يقوله أي "ثائر" أو أي "مناضل لأجل الحرية" وليس السلاح ولا الأدبيات التحريضية أبداً.

على رأس الحركات "التقدمية" العاملة في الدول المنافسة يوضع رجال موثوقون ومختبرون يحافظ على اتصال دائم مع زعامة الثوار، تظل الأحزاب تحت سيطرة المخابرات الأجنبية التي أنشأتها بفضل انصياع قادتها. كيف يتحقق ذلك؟ ببساطة - عبر التمويل.

كل هذا كلام. تأكيدات كلامية بحتة - يقول النقاد. أين الحقائق؟ هاكم، أيها القراء الأعزاء، الحقائق قصصاً من الحياة. من حياة دولة العمال والفلاحين الفتية تحت اسم الاتحاد السوفيتي، حيث أزاحوا سلطة رأس المال.

القصة الأولى

حول لينا غولدفيلدس والاسم المستعار للرفيق لينين

تذكرون أن فلاديمير إيليتش أوليانوف أصبح يوصف بالاسم المستعار لينين؟ على شرف مجزرة لينا - قد يجيبكم أحدهم. تلك هي أحداث نيسان 1912، عندما فتحت فرقة عسكرية النار على حشد العمال في مناجم الذهب على النهر السيبيري لينا. في النتيجة قتل وجرح بعض مئات من الأشخاص. لاقت هذه القصة تجاوباً ضخماً في روسيا ذلك الزمن. علا صخب مجلس الدوما، كتبت الصحف. وتوعد المغترب أوليانوف الدولة المستبدة. لاحقاً انتقلت هذه القصة إلى صفحات كتب التاريخ المدرسية. بوصفها مثالاً مرئياً لوحشية روسيا القيصرية. ولكن هذه القصة تحوي اختلافات عدة لم يرووها لنا.

لماذا حصل النزاع الذي انتهى بأحداث دامية؟ ناضل العمال من أجل حقوقهم وطالبوا بتقليص ساعات العمل إلى ثماني ساعات في اليوم، وبزيادة الأجور. رفض تنفيذ هذه المطالب وغيرها أدى إلى الاصطدامات. الاستغلال الوحشي، النظام العادي للشعب، روسيا القيصرية المتخلفة - كم من الأوصاف البراقة يمكن أن ننعت بها بلادنا، إذا بقينا على السطح دون الغوص في عمق الأحداث. القضية في أن الاستبداد القيصري وروسيا لم يكونا على علاقة مباشرة بهذه القصة. تبين أن الرأسماليين - المستغلين، الذين بالغوا في إجهاد العمال كانوا أجانب. جمعية لينا المساهمة لاستخراج الذهب، التي رفضت دفع الأجور المناسبة لعمالها. كانت مملوكة للإنكليز[1]. شركة "لينا غولدفيلدس" المسجلة في لندن. كانت تملك رزمة أسهم مسيطرة في مناجم الذهب، التي كانت تنتج أكثر من ثلث الذهب الروسي.

إن المعايير المزدوجة للسلوك بخصوص روسيا والروس، التي نشاهدها اليوم. كانت في بداية القرن العشرين أمراً طبيعياً إن الصحف الإنكليزية التي تؤكد

[1] كانت جمعية "لينزولوتو" تستخرج الذهب من أنهار سيبيريا. وقد سميت بهذا الاسم قبل الثورة بزمن طويل ليس على شرف القائد البروليتاري، بل باسم نهر لينا. بدورها شركة "لينا غولدفيلدس" تملك 66% من أسهم الجمعية.

باستمرار على تخلف ووحشية السلطة الروسية لم تقل شيئاً عن كون أكثر مشاهد نضال العمال من أجل حقوقهم دموية وشهرة، حدث بمشاركة ممثلي بريطانيا العظمى "الإنسانية" و"الديمقراطية". ليس "رجال الأعمال" الروس بل البريطانيين هم الذين أوصلوا عمال مصنعهم إلى هذا الحال بحيث تعين على السلطة تهدئة احتجاجهم العفوي الذي تضاعف بتحريض الثوار، بواسطة السلاح. في النتيجة سفك دم العمال الروس كان وصمة عار على السلطة الروسية، وبقي المساهمون الأجانب أنقياء الثوب.

إن قصة استخراج الذهب الروسي تشكل تمثيلاً رائعاً فقط على الاستغلال الوحشي، بل وعلى إنشاء "الفقاعات المالية". جمعية لينزولوتو منذ عام 1905 عندما كانت مؤسسة رابحة، أصدرت أسهماً. ولكنها لم تدفع أبداً أرباحاً للمساهمين. الأسهم الذي يساوي أحدهما 750 روبلاً، حتى 1908 تأرجحت قيمته صعوداً وهبوطاً إلا أنها لم ترتفع أبداً عن قيمته الإسمية (أي 750 روبل). ولكن ما إن أخذ الإنكليز المناجم في 1909 حتى ارتفع بشدة سعر السهم. علماً أن الارتفاع الحاد لتقييم البورصة للمؤسسة لم يكن مرتبطاً بعمله الحقيقي كما في أيامنا.

في عام 1909 ارتفعت قيمة السهم حتى 1850 روبل، في 1910 وصل السعر إلى رقم هائل 6075 روبل. لماذا حدث هذا الارتفاع؟ هل يعقل أن إنتاج الذهب ازداد 10 مرات؟ طبعاً لا، ببساطة رأى الإنكليز الذين اشتروا الرزمة المسيطرة من الأسهم. أن أرباحهم الأساسية هي في ارتفاع قيمة الأسهم. لم يزداد إنتاج الذهب، ولكن حدث انتفاخ هائل في قيمة الأسهم. والأداة الأساسية لذلك لم يكن مطلقاً الأرباح التي يجنيها المساهمون. ارتفاع أسهم لينا الأسطوري تحقق بواسطة جملة من عمليات الاحتيال في البورصة: بمشاركة صحافة الشارع العريض الدسمة "غير المرتشية". وسماسرة البنوك المريبة في البورصة[1].

المساهمون الإنكليز الخبراء في الربح في مجال دورة البورصة، حيث كان هذا المجال جديداً بالنسبة لروسيا ذلك الزمن. جنوا أموالاً طائلة حقيقية، ولم يكن

[1] جيرنوف ي. مناجم الذهب، كويرسانت دينغي، 2008، 25 شباط عدد 7.(622)
/kommersamt.ru/doc.aspx?DocsID=855740&print=true.

في نيتهم أبداً تطوير المؤسسة في لعبة الدوران الهائلة تلك، بدا العمال المضربون مع مطالبتهم برفع الأجور ويوم عمل بثماني ساعات، عائقاً مخيباً للآمال. يعوق حملة الأسعار المتزايدة[1] للأسهم. هذا يشبه لاعب معاصر في ألعاب الكمبيوتر. الذي يقتل بأعداد هائلة الأعداء والمسوخ في حاسوبه المحمول، إذا أرسل ليحفر خندق حقيقي من أجل الانتصار على الخصم. لن يفهم ذلك. كذلك الأمر بالنسبة لعمال لينا لم يفكر أحد بتفهمهم: أبعدوا العائق الذي يحول دون الربح في البورصة، أي البشر.

كتب فلاديمير أوليانوف من وراء الحدود: "إعدامات لينا أصبحت سبباً لانتقال مزاج الجماهير الثوري إلى نهوض الجماهير الثوري". مضت خمس سنوات أباد "النهوض الثوري للجماهير" بقيادة أوليانوف ذاته الوزراء - الرأسماليون في الحكومة المؤقتة. كان يفترض أن يوضع حد لاستغلال الإنسان للإنسان: السلطة البلشفية أممت دفعة واحدة كل مصانع البلد بما فيها مناجم الذهب على نهر لينا.

كأن قصتنا قد انتهت ولكنها في الواقع بدأت للتو. لم تكد تهدأ الحرب الأهلية، التي سفك فيها الجيش الأحمر الدماء للتحرير من شتى المستغلين حتى اهتمت السلطة السوفيتية الفتية باستخراج الذهب. في 14 تشرين الثاني 1925 أعطت الحكومة السوفيتية ترخيصاً للعمل في مناجم لينا لشركة "لينا غولدفيلدس" ذاتها! اتحاد البنوك البريطاني، الذي كان يملك "لينا غولدفيلدس" والمرتبط بالبيت المصرفي الأمريكي "كون ليب" حصل حسب الاتفاق على استخراج الذهب على مدى ثلاثين[2] عاماً.

خليط أصحاب البنوك ذاك، الذي يتهمه كثير من المؤرخين بتمويل الثورة البلشفية حصل من السلطة الثورية على حق غسل الذهب.

لم ينقض عام على وفاة لينين، حتى بدأ للتو الصراع على السلطة كانت فرص الانتصار الأكبر لدى تروتسكي، الزعيم الحزبي الأكثر احتراماً. كان

---

[1] للتحقيق في أحداث لينا شكلت لجنتان. واحدة من الحكومة وواحدة من مجلس الدوما. ترأس الأخيرة ا. ف. كيرينسكي، الذي كوّن رأسماله السياسي على دم العمال خفضت رتبة قائد السرية تريشينكوف، الذي أعطى الأمر بإطلاق النار إلى رتبة جندي. وسرح من الخدمة. ولم يجدوا مذنبين آخرين.

[2] مايسكي ي. م. مذكرات ديبلوماسي سوفيتي. طشقند، أوزبكستان 1880، ص. 226.

ستالين الذي انتصر لاحقاً، ما يزال في الظل. عندما كان يشغل منصب السكرتير العام للحزب كان يسحب السلطة بهدوء خطوة خطوة إلى نفسه. ولكن في عام 1925 كان تروتسكي الرجل الأول. "قضية" الترخيص في الحكومة يحركها هو بالذات. الاتفاق مع "لينا غولدفيلدس" هو الأضخم في تاريخ السلطة الجديدة ويعطي الشركة تعويضاً جيداً عن خسائرها إبان الثورة. المساحة التي يسمح بالعمل عليها وفق الترخيص كانت ضخمة جداً من باكوتبا إلى السفوح الشرقية لجبال الأورال. والمصالح الاقتصادية لهذه الشركة خرجت الآن عن حدود استخراج الذهب لتشمل الفضة، النحاس، الرصاص، الحديد. حسب الاتفاق مع الحكومة الروسية. وضعت تحت تصرف "لينا غولدفيلدس" جملة كاملة من مصانع الاستخراج والتعدين: مصانع التعدين، التالية: ريغدينسكي، بيسيرتسكي، سيفيرسكي. وأماكن خامات النحاس التالية: ويغنيا رسكوي وزيوزيسكوي، وخامات الحديد في ريغدينسكي ومناجم الفحم في إيغورشينسك.

كلما تعمقت في دراسة تاريخ استخراج الذهب المجيد في الجمهورية السوفيتية الفتية تصبح أكثر فجوراً. الاتفاق على تقاسم الحصص: كانت حصة السلطة الشعبية 7% وحصة "لينا غولدفيلدس" فقط 93%.

أية اتفاقية رابحة وقعت السلطات السوفيتية والمهم. لأي غرض؟ أيعقل أنه لم يوجد في العالم كله مؤسسة أخرى تريد غسل الذهب في سيبيريا؟ أيعقل أنه لم يستطع أحد أن يعرض شروطاً أكثر فائدة؟ لا أحد سوى "لينا غولدفيلدس" الشهيرة الملطخة بدماء العمال الروس.

ولم يكن بإمكانها أن عمل مطلقاً بأقل من 93%؟

لماذا إذن "قامت الثورة الاشتراكية، إذا كان ذات المصرفيين من لندن ونيويورك يستمرون في نهب الموارد من روسيا؟

لقد قامت الثورة من أجل ذلك. بعد القضاء على النظام القيصري في روسيا أصبح استخراج الثروات الباطنية أسهل والربح أكبر. ومن أجل فهم أفضل نضيف حقائق قليلة أخرى من حياة عزيزتنا "لينا". هذه الشركة الأجنبية برئاسة هربرت غويدال سلكت في أول دولة اشتراكية سلوكاً مستهتراً ووقحاً. عند عقد اتفاقية

الترخيص وعدت "بالأسهم"، ولكنها لم تضع لتطوير المناجم والمصانع روبلاً واحداً. على العكس بلغ بها الأمر حد المطالبة بمساعدات من الدولة وتهربت بكل الطرق من دفع الضرائب والرسوم. وحتى 1929 لم تخضع لأي سلطة وقد بلغت من الوقاحة أبعد مدى. في هذا العام قام عمال المناجم بعدة إضرابات والمخابرات بعدة تفتيشات في النتيجة ألغي ترخيص "لينا غولدفيلدس".

لماذا تغير وضع هذه الشركة في عام 1929 بالذات بهذه الحدة؟

في 10 شباط 1929 نفي تروتسكي من الاتحاد السوفيتي وفي كانون الأول من العام ذاته أرغمت الشركة على الرحيل من روسيا، طالما كان الصراع قائماً على السلطة بين الثوار الأشاوس بزعامة تورتسكي الذي عاش عقوداً خارج الحدود "على الاشتراكات" من جهة وستالين من جهة أخرى ذهب 93% من ذهبنا إلى خارج الحدود. منذ 1930 أصبحت شركة حكومية تستخرج الذهب في سيبيريا وكل الأرباح دخلت إلى الميزانية. بعد نفي الرفيق تروتسكي وبدأت إدارة ستالين تدقق في الاتفاقيات "المربحة"، التي عقدت بدعم من أفضل مدير وأفضل منظم للثورة البلشفية. قصة "التدقيقات" كانت طويلة ومعقدة إلى أبعد الحدود. لم يعد ممكناً إبعاد الشركة رغم شروط الاتفاق المحجفة بحق الطرف السوفيتي. المحكمة الدولية، التي لجأ إليها الإنكليز حكمت على الاتحاد السوفيتي دفع 12 مليون و965 ألف جنيه إسترليني لشركة "لينا غولدفيلدس". كان منها 3.5 مليون رأس مال مودع مباشرة، 9.50 مليون جنيه إسترليني هي الأرباح، التي كانت ستحصل عليها الشركة، وفق حساباتها خلال الـ 25 سنة الباقية للعمل وحسب الاتفاق. وباعتبارها حرمت من الترخيص فإن "لينا" المطرودة طالبت الاتحاد السوفيتي مبلغاً جاءت به من السقف بطريقة علمية بحتة.

المبلغ الهائل من الربح المفترض المطلوب من الاتحاد السوفيتي، يظهر أن القطيعة الحاسمة للعلاقات حركت "عش الدبابير" الفائق الجدية. علماً أن السبب الرئيس لقلق القوى المؤثرة في الغرب ليس الذهب أبداً، وإنما نفي تروتسكي من الاتحاد السوفيتي، ما عنى قطع علاقات الدولة البروليتارية مع "المؤسسين" الحقيقيين لها من نيويورك ولندن. كانت تلك القوى خلف الكواليس من التأثير

لدرجة أن الولايات المتحدة فرضت قيوداً على استيراد البضائع السوفيتية إليها في عام -1931 1930. وفعلت فرنسا مثلها في 1930، أما في 1933 فقد فرضت بريطانيا حظراً على كل منتجات التصدير السوفيتية تقريباً.

وكل ذلك بسبب شركة واحدة.

حتى ستالين لم يستطع ألا يأخذ بالحسبان مقدرة العائلة المصرفية، التي كانت توجه بسهولة سياسة الدول الرائدة في العالم في المجرى المطلوب: بعد جملة مفاوضات أعلن الاتحاد السوفيتي في عام 1935 بأنه سيدفع تعويضاً لـ "لينا غولدفيلدس"، ودفع مبلغاً ليس كبيراً. في عام 1940 وباستغلال تغير الموقف الدولي، عندما هاجم هتلر، الذي أنشأه الغرب، هاجم أولياء نعمته، أعلنت موسكو إلغاء الاتفاقية. أما نقطة النهاية في هذه القصة السوداء وضعت في عام 1968! بعد 38 عاماً قررت الدوائر المصرفية مصالحة الاتحاد السوفيتي، بالطبع ليس مجاناً: كان ذهب دول البلطيق، التي دخلت في الاتحاد السوفيتي، مخزوناً في البنوك البريطانية منذ 1940. على امتداد 28 سنة لم يسلّم إلى موسكو لمختلف الحجج الأخلاقية المظهر. وحسب اتفاقية 1968 غطى مطالب "لينا غولدفيلدس"[1] التي لم تكل ولم تمل.

إعدامات لينا ليس لها أي علاقة بالاسم المستعار لقائد البروليتاريا العالمية. ظهر توقيع "ن. لينين" لأول مرة عند أوليانوف منذ نهاية 1899. في المنفى، في القرية السيبيرية شوشبنسكوي.

لم ندرس جيداً السيرة الذاتية لمؤسس الدولة السوفيتية. نخطئ كثيراً إذا فكرنا أن الاتصالات مع أولئك الذين أسسوا الاحتياطي الفيدرالي كانت لدى تروتسكي فقط. الرفيق لينين، الذي لم يكن طبعاً جاسوساً ألمانياً، كان أيضاً "بالصورة" ولإثبات ذلك.

[1] التاريخ شيء مدهش - يتكرر فيه كل شيء. هل تذكرون الشركة السويسرية الشهيرة "نوغا" من مرحلة يلتسن المتأخر وبوتين المبكر؟

القصة الثانية

حول القطارات "الذهبية" أو كيف غطى لينين تروتسكي

في بداية العشرينيات مباشرة بعد انتهاء الحرب الأهلية ترأس تروتسكي الأمانة العامة لطرق المواصلات. في ذلك الوقت بالذات عقدت هذه المؤسسة مع حكومات العالم الرأسمالي اتفاقاً شبيهاً جداً بعبثية ولا معقولية باتفاقية الترخيص لـ "لينا غولدفيلدس". إننا نتحدث عن شراء بالجملة للقطارات من السويد من مصانع شركة "نيدكويست وهولم".

كل شيء في هذه الصفقة لافت ومثير. أولاً: حجمها 1000 قطار. ثانياً. السعر 200 مليون روبل ذهبي. وبقية التفاصيل ليست أقل إثارة. لعدم كون السويد موطن الفيلة أمر معروف منذ زمن طويل. إلا أن حقيقة أن الجار الإسكاندينافي ليس رائداً في صناعة القطارات العالمية غابت عن البلاشفة الأشاوش، الذين وقعوا العقد. لم يكن لدى شركة "نيدكويست و هولم" طاقة إنتاجية كافية لتنفيذ الصفقة السوفيتية. لم تنتج الشركة السويدية في تاريخها أكثر من 40 قطاراً في العام. لكنها الآن قررت استنفار كل القوى وتصنع في عام 1921، 50 قطاراً! ولاحقاً توزعت الصفقة بانتظام على 5 سنوات. استلم المشتري 200 قطاراً في عام 1922 وفي أعوام 1925 - 1923-250 قطاراً سنوياً!

لماذا أصرت روسيا السوفيتية بعناد على شراء القطارات من هذه الشركة السويدية، وهي بأمس الحاجة إليها، ظل ذلك "لغزاً تاريخياً". ليس واضحاً كذلك لماذا وافق الطرف السوفيتي على الانتظار خمس سنوات طويلة بدلاً من شراء البضاعة المطلوبة في مكان آخر فوراً. مؤسسة سوفديبيا التي تحتاج القطارات بشدة وافقت على الانتظار سنيناً، ولكن إدارة الرفيق تروتسكي دفعت مقدماً مبلغاً ضخماً للعقد!

ولكن هذا ليس كل "عجائب" الاقتصاد الثوري. بعدما دفعت روسيا مقدماً كومة نقود، لسبب ما اعتبرت ذلك ليس كافياً لذلك حصل السويديون من البلاشفة إضافة إلى 7 ملايين كورون مقدماً على 10 ملايين كورون كقرض دون فائدة "لبناء الورشة الميكانيكية والمرجل".

مخطط الصفقة كان غير معقول: في البداية تدفع روسيا الحمراء النقود، بعد ذلك يبني السويديون بها مصنعاً. وبعدها يصنعون ويرسلون القطارات إلى البلاشفة!

حسب الاتفاق، يجب أن تسدد السلفة عند توريد الـ 500 قطار الأخيرة. فلو أن الطرف السوفييتي اختصر طلبيته إلى النصف، فإن السويديين يستطيعون أن يدفعوا القرض بهدوء تصوروا أن إرسال القطارات تأخر بسبب السويديين. ولم يكن في نص الاتفاقية ما يحدد الشروط التي بموجبها يكون الاتفاق لاغياً.

ولكن هذا ليس كل شيء. كانت طلبية القطارات بسعر يفوق سعر ما قبل الحرب بضعفين. والروبل الذهبي وليس بالورقي الذي تنخفض قيمته[1]. تصبح اللوحة مثيرة جداً: الأسعار مبالغ بها، النقود مدفوعة، ولا توجد بضاعة. وليس مفهوماً متى ستكون. أي مفتش للضرائب أو أي مراقب يتحرى سيفرك يديه فرحاً إذا رأى ما يشبه ذلك. تفوح من القضية رائحة فضيحة كبرى واحتمال الترقية لمن يكشف الخداع.

كتبت مجلة "إيكونوميست" السوفيتية من غرائب "قضية القطارات" في بداية 1922. يعبر النص عن الذهول بمناسبة طريقة إدارة اقتصادية على هذا القدر من الغرابة. عدا عن ذلك. كاتب المقال ا. ن فرولوف طرح سؤالاً منطقياً: لماذا تعين طلب شراء القطارات من السويد حصراً؟ ألم يكن الأفضل تطوير، بل إقامة الصناعة الوطنية؟ في مصنع بوتيلوفسكي ذاته صنع قبل الحرب 250 قطاراً في العام. لماذا لا يعطى القرض لهذا المصنع؟ بهذه النقود الضخمة يمكن أن تنظم مصانعنا المتخصصة وإطعام عمالنا"[2].

وحقيقةً، لمصلحة السلطة البروليتارية. يجب أن نطلق عجلة الإنتاج الصناعي وإتاحة الفرصة للبروليتاريا أن تعمل وتجني ثمرة عملها، ألم يزعموا أنهم طبخوا هذه المرقة الدموية من أجلها. فقد كان عدد العاطلين في روسيا عام 1923 حوالي

---

[1] المراسل التاريخي الجديد، 2002، رقم 1.

[2] فرولوف ا. ن الوضع المعاصر والآفاق القريبة للسكك الحديدية /إيكونوميست، 1922. العدد رقم 12 ص. 176. اقتباس مجلة: المراسل التاريخي الجديد، 2004، العدد رقم1.

المليون[1]. والحكومة السوفيتية تبذل كل ما في وسعها لإثراء الرأسماليين السويديين. بعقدها اتفاقيات غبية ومحجفة لدرجة لا يمكن تصورهما. وكان واضحاً للعيان أن في هذه الحكومة شيء ما غير نزيه. إذا لم نقل أكثر: كل ما في هذا الاتفاق يثير الريبة إلى أبعد الحدود.

كانت ردة فعل لينين على مقال مجلة "إيكونوميست" المذكور لافتة جداً. هل حقق لينين في الحالة ووصل إلى استنتاجات صحيحة؟ هل صحح خطأ الرفيق تروتسكي وشرح له ولبقية الرفاق، أن الثورة البروليتارية قامت ليس من أجل أن نرمي إلى الريح الأموال الطائلة؟ أن البروليتاريا الروسية يجب أن تستفيد في المقام الأول؟ وأنه يجب من أجل ذلك الحرص عند اتفاق كل قرش؟

بالفعل حقق لينين في الحالة واستنتج فتحدث إلى الرفيق تروتسكي وطلب من دزيرجينسكي أن يغلق مجلة "إيكونوميست". "كل هؤلاء معادون للثورة بكل وضوح، عملاء الأنتانتا صنيعة خدم الحلف وجواسيسه ومفسدو الشبيبة. يجب العمل على اصطياد هؤلاء "الجواسيس الحربيين" واصطيادهم دائماً بانتظام ونفيهم خارج البلد"[2].

- كتب القائد البروليتاري إلى رئيس المخابرات.

وبقي العقد المشبوه دون تغير بعد تدخل إيلتش (لينين).

كيف يمكنكم إعادة النقود للمصرفيين الغربيين؟ هل ترسلونها وتكتبون في مستند الدفع: "إلى المصرفيين الأمريكان Bank of New York" وفي حقل "سبب مستند الدفع" - "إعادة الأموال المستدانة من أجل الثورة الروسية وانتصار البلاشفة في الحرب الأهلية"؟ يستحيل فعل ذلك مبدئياً. لا يمكن لقادة البروليتاريا أن يعطوا نقود "الشعب" إلى البورجوازيين الأجانب. ناهيك عن أن الزمن ليس سهلاً البتة. أذكّر. أنه في آذار 1921 عندما استلمت روسيا أول 50 قطاراً. انفجر تمرد كرونشتادت. وعندما كانت قيمة العقد تسدد في 1920 لم تكن قوات فرانغيل قد أجليت من القرم. والحرب الأهلية لم تكن قد انتهت بعد.

---

[1] موجز في تاريخ حزب البلشفيين: .ОГИЗ,1938.С. 251.

[2] لينين: الأعمال الكاملة، المجلد 54، ص. 266.

لا بد من حجة لإرسال النقود إلى الخارج. يجب شراء شيء ما من الغرب، وعندئذٍ لن تكون أية مشكلة بشأن إرسال قافلة الذهب. شراء القطارات مثلاً. يرتب تروتسكي لعملية الشراء، ولكن ردة فعل لينين البالغة القسوة على ما نشر في مجلة "إيكونوميست". تفسَّر بأن تلك الأفعال منسقة سوية مع فلاديمير لينين. إن لم يكن الأمر كذلك (في حال العكس). يمكن لمثل هذا الاتفاق أن يكلف تروتسكي احترامه ومكانه في قيادة الحزب البلشفي.

أما زلتم تفهمون لماذا ربح البلاشفة الحرب الأهلية، والبيض الذين "ساعدهم" الديمقراطيون الغربيون خسروها[1].

بالمناسبة حسب كل الوثائق المتوفرة كانت النقود تضخ إلى الثورة من خلال النظام المصرفي السويدي. والآن تعاد النقود من خلال النظام ذاته. إن مبلغ قيمة العقد الذي عقده الرفيق تروتسكي وصادق عليه الرفيق لينين تبدد آخر الشكوك حول أسباب شراء القطارات "الذهبية" إنه من الضخامة بحيث يطرح الشك جانباً، بأن الثوار الأقحاح ببساطة كانوا يدخرون شيئاً ما ليوم الثورة الأسود. نذكر أن قيمة العقد - 200 مليون روبل ذهبي. هل هذا قليل أم كثير؟ لكي نفهم ذلك لنوضح بداية، ما هو الروبل الذهبي.

كان الروبل وحدة نقدية قبل ثورية كاملة القيمة، احتياطي الذهب في مصرف الدولة حتى لحظة استيلاء البلاشفة على السلطة بلغ 1101 مليون روبل ذهبي. جزء من الذهب - 650 مليون روبل - نقل إلى كازان، ولاحقاً استولى كولتشاك عليها، وبعد هزيمته أعيد حوالي 409 مليون روبل، وهكذا حتى نهاية الحرب الأهلية، يجب أن يتوفر حوالي 860 مليون روبل. إلا أن ذلك بشرط أن لا يكون البلاشفة قد أخذوا شيئاً من احتياطي البلاد الذهبي، ولكننا نعرف أن الأمر لم يكن كذلك.

إذن 2000 مليون روبل - ربع احتياطي البلاد وليس مجرد مبلغ هائل فحسب.

وزعيم الثورة يغطي قائداً آخر في الثورة ذاتها؟ إنهم ببساطة "يسرقون"، لليوم

---

[1] بالتفصيل عن مساعدة "الحلفاء" وأسباب هزيمة حركة البيض انظر: ستاريكوف ن. 1917. من أكمل قتل روسيا؟ موسكو: ياوزا، 2007.

الأسود؟ بهذه الغلظة وبهذه الكثرة: ربع احتياطي ذهب البلاد؟! ألا تلزم النقود لبناء الاشتراكية والشيوعية على العكس ستلزم النقود للبلاشفة بشدة عند بناء الدولة الجديدة. وسوف يفسر لنا المؤرخون شروط التراخيص الممنوحة في 1920 بعدم وجود النقود.

أسئلة كثيرة والجواب واحد، الأموال التي صرفت لتحطيم المنافس يجب أن تعود، النقود التي خصصها مصرفيو أمريكا لإزاحة الإمبراطورية الروسية. كان ذلك أحد الاتفاقات بين ممثلي الحكومات الغربية والبلاشفة. لذلك استمر لينين كل هذه الفترة الطويلة في السلطة، حيث نقض اتفاقاته مع "الشركاء"، ليس كلها دفعة واحدة، بل بعضها وبالتدريج. هذا الشخص الذي وضع في قيادة روسيا لكي يقضي عليها. جمع، تحت الصخب، أراضيها كلها بوحدة متكاملة.

فإذا كان يجب على روسيا أن تلعن لينين وتدينه من أجل ثورة 1917 عليها في الوقت ذاته أن تكرمه وتقدسه من أجل توحيد الأراضي الروسية، لأنه لم ينفذ رغبة شركائه في الخارج لتفكيك بلدنا بشكل نهائي. لذلك يستحق تمثالاً بحق. هذا هو التناقض - في البداية حطم، ولاحقاً جمع هو نفسه.

كان لينين عالماً بمن ولماذا يحرك الثورة في روسيا القيصرية. لقد شارك بنفسه مع تروتسكي في المفاوضات، قطع بنفسه الوعد، التي نقضه هو نفسه أو نفذه حسب الظروف، من هنا منطق تصرفاته. لن ندفع ديون القيصر. الترخيص - سنعطيه. لن نسلم السلطة، والأموال التي صرفت على الثورة - سنعيدها.

توجد الكثير من الدلائل على أن ثوارنا الأشاوش "أعطوا" النقود. وكانت الطريقة المبتذلة الأبسط نقل النفائس من روسيا إلى خارج الحدود. وعلى من يعتقد أن الأموال ذهبت إلى "الثورة العالمية" أن ينتبه لنقطتين. هذه "الثورة العالمية" لماذا يصنعها لينين ورفاقه في ألمانيا وفي النمسا - المجر وليس أبداً في فرنسا أو بريطانيا. والأهم. هو أنه حتى المبلغ المرسل لتحويل انهيار الإمبراطورية الألمانية لا يتطابق مع أرقام الأموال المنقولة من روسيا. تخبر الشرطة السويدية أن البلاشفة خصصوا للدعاية الثورية خارج الحدود (في ألمانيا) 2 مليون روبل. ولكن في خريف عام 1918، أي في ذروة تمويل الثورة الألمانية القادمة يصل إلى ستوكهولم إيسيدود

غودوفسكي نائب وزير المالية في روسيا السوفيتية. ومعه - صناديق محشوة بالنقود والنفائس... تقيم مصادر الشرطة السويدية مجموعها من 40-60 مليون روبل[1].

لماذا خصصت مبالغ تفوق بـ 20-30 مرة البالغ التي خصصها لينين "رسمياً" للثورة الألمانية؟ ولنلفت الانتباه أن هروب الأموال يجري من جديد عبر السويد بالذات، حيث افتتحت ممثلية سوفيتية في تشرين الثاني 1917 ترأسها ناتسلاف فورفسكي. ملايين الروبلات تبدأ بالورود إلى بنوك ستوكهولم وليس آخرها "نيوا بانكن" وصاحبه أولوف أشبيرغ الذي يتكرر اسمه كثيراً في الكتب التي تتحدث عن تمويل الألمان للبلاشفة. اللافت أن النقود تنقل من وإلى روسيا، ولكن عبر القنوات ذاتها. ولكنها عندما تذهب إلى روسيا عبر السويد يزعمون أنها "ألمانية". وعندما عادت النقود بطريق العودة في عام 1918 ذات الطريق كانت مقدمة من لينين إلى ألمانيا؟ وقد صرفها قيصر على الثورة في بلاده هو؟

إن الحقائب المحشوة بالنفائس المصادرة وبالنقود التي نقلها المندوبون من روسيا التي تجتاحها الفوضى إلى الغرب - الدفعة الأولى من إعادة السلفة من أجل الثورة، وبعد ذلك أعطوهم النقود بواسطة شراء القطارات "الذهبية". هل يمكننا أن نكون واثقين أن السلطات البلشفية لم تقدم على شراء شيء من الخارج؟ وأن العقد مع السويديين كان وحيداً من نوعه؟ كلا ما تزال أسرار الثورة تنتظر من يحقق فيها.

المرحلة الثالثة من التعاون المالي بين زعماء البروليتاريا والأصدقاء "الأعداء" من العالم الرأسمالي أصبحت التراخيص والامتيازات. كان هناك الكثير منها و"لينا غولدفيلدس" - مشهد واحد ضخم فقط. وكانت هناك تراخيص حتى للبنوك. لقد أصبح المصرفي السويدي أولوف أشبيرغ. أول مصرفي في دولة البروليتاريا المنتصرة. ومن خلال هذا البنك كانت ترسل النقود مرة إلى الثورة في روسيا ومرة ثانية من روسيا - بعد انتصار البلاشفة. ويقول المؤرخون أن أشبيرغ كان عميلاً للألمان. ولكن في عام 1922. في حين كانت النقود مستمرة في النزوح من روسيا "الحمراء"، كانت ألمانيا مدمرة وغير موجودة على الخريطة السياسية للعالم.

---

[1] بيير كيغرين هـ. فضيحة النقل. الثوار الروس في إسكندنيافيا 1906-1917 موسكو. أوميغا، 2007 ص. 427-425.

كنت أعتقد دائماً أن أفضل صديق للبروليتاريا - هو الفلاح. وكنت مخطئاً. بعد الثورة البورليتارية كان المصرفي في الحقيقة أفضل صديق للبروليتاريا، خصوصاً المصرفي السويدي.

"أسس أولوف أشبيرغ البنك التجاري الروسي. رجل المال السويدي حصل من الحكومة السوفيتية على ترخيص بتنظيم بنك مساهم للإقراض قصير الأجل. وسمح للبنك التجاري الروسي القيام بكل العمليات الشبيهة بعمليات مصرف الدولة ما عدا عمليات الترخيص"[1].

إلا أن هناك حقائق، تدل مباشرة، أنه في العشرينيات وقعت سلطات "الاتحاد السوفيتي عقوداً لم يكن فيها الوسيط السويدي هو من يمثل الطرف الغربي. وإنما ممثلو تلك الأسماء التي نقشت بأحرف من ذهب في سجل الشرف للنظام الاحتياطي الفيدرالي. "إن العدد الأكبر من التراخيص والامتيازات الممنوحة من الإمبراطورية اللينينية للشركات الأمريكية إبان الحرب الأهلية وقبل نهايتها مباشرة تعتبر دليلاً دافعاً على دعم الحلفاء الغربيين للبلشفية منذ البداية: 25 مليون عمولة سوفيتية للصناعيين الأمريكيين خلال الفترة من تموز 1919 حتى كانون الثاني 1920 ناهيك عن الترخيص الذي منح لأرماند هامر في عام 1921 لإنتاج الأميانت وعن اتفاقية الإيجار المبرمة لمدة 60 عاماً (بدءاً من عام 1920) مع فرانك فانديرليب[2]ومجموعته التي تشمل استثمار حقول النفط والفحم، وكذلك صيد السمك في المنطقة الشمالية من سيبيريا بمساحة 600 ألف كيلومتر مربع"[3].

لو أن الرفيق تروتسكي انتصر وليس الرفيق ستالين في الاتحاد السوفيتي، لانتهت رخصة السيد فانديرليب في عام 1980.[4] وليس في 1930. وربما كانت قد

---

[1] يمكنكم قراءة هذا على الموقع الرسمي لبنك التجارة الخارجية:
http://www.veb.ru/ru/about/history/.

[2] رئيس إدارة "نيشنل سيتي بانك" النيويوركي، شارك في اللقاء السري على جزيرة جيكيل. وأحد مؤسسي الاحتياطي الفيدرالي.

[3] بريبارا تاغ. حاكومو هيلر، كيف أنشأت بريطانيا وأمريكا الرايخ الثالث، موسكو 2007، ص. 120.

[4] يمكنكم أن تلعبوا لعبة مسلية مع الأصدقاء وهي لعبة "خمن متى انتهى الترخيص" وخذوا أياً منها لا على التعيين وأكدوا بجرأة أنه بعد شباط 1929. أي بعد نفي تروتسكي وستربحون بالتأكيد.

مددت لستة عشر عاماً إضافية. ولكانت هـذه التراخـيص بمسـاحة دولـة أوروبيـة كثـيرة ولـيس واحداً أو اثنين. كل البلاد حيث يوجد أي شيء ذي فائدة لكان المموليون اسـتثمروه بكـل سرور. ومن كل عقد "ذي نفع" كان الاتحاد السوفيتي ليأخذ 7% كاملة وليس حصة الأسـد عـلى مـدى 80 عاماً. فالثورة - ليست إزالة المنافسين الجيوسياسيين فحسب، بل واستثمار مفيد جـداً. فكـل ثروات المنافس المحطم بانفجاره الداخلي تذهب تحت التصرف الكامل لتلك القوى التي كانـت تقدم النقود للثوار.

ألا تذكرون كل هذه القصة مع "الممـولين"، "القطـارات الذهبيـة"، و"7%" وسـواها مـن العجائب الاقتصادية بما حصل في التاريخ القريب لروسيا - الاتحاد السوفيتي؟

إليكم قصة ثالثة ليست أقل إثارة مـن العلاقـات المتبادلـة بـين أول دولـة بروليتاريـة في العالم مع محيطها الرأسمالي.

القصة الثالثة

مجاعة الموت والعشرة الذهبية (تشيرفوينتش الذهبي).

"لا توجد جريمة لا يقترفها رأس المال من أجل ربح 300%" - هذا ما قاله كارل ماركس عن طمع البرجوازية غير المحدود. إلا أننا نجد في تاريخ روسيا وقائع، يبدو، أنها تنفي هذا القول تماماً، إننا نتحدث عن إعادة إعمار بلادنا بعد الثورة. كانت الجمهورية السوفيتية الفتية تحتاج عملياً لكل المنتجات الصناعية: بنتيجة الحرب الأهلية كان الاقتصاد الروسي منهاراً. انفتح لرأس المال الأجنبي سوق تصريف غير محدود حقاً. في المقابل، للحكومة السوفيتية أن تعرض ثلاث سلع: الحبوب، الخامات والذهب هنا حصل عملياً ما لا يمكن تصوره.

بشكل مفاجئ رفض الرأسماليون قبول الذهب من روسيا كثمن للبضاعة!

هذا التصرف المدهش للدول الرأسمالية دخل التاريخ تحت اسم "حصار الذهب"[1] لماذا حدث ذلك؟ إن ضرورة الكف عن الكون مجرد مورد خامات للغرب كانت واضحة لقادة روسيا الآن في ذلك الآوان. توجد طريقتان لحل مشكلة تخلف وانهيار الاقتصاد:

- بناء صناعة جديدة بأسرع الوتائر.

- النهوض البطيء للإنتاج داخل البلاد، شيئاً فشيئاً، باستخدام الموارد المتوفرة والمحدودة.

في الحالة الأولى بدا أن تجاوز المشاكل ممكناً خلال 10 سنوات من الحشد المتوتر لكل جهود البلاد. في الحالة الثانية - لا يبدو واضحاً متى ستتم استعادة التصنيع، ولكن بدون أي توتر للقوى. هذه الاختلافات ظهرت في ذات الوقت بين زعيمين متنازعين على السلطة بعد موت لينين في كانون الثاني 1924. كان ستالين

[1] منع قبول الذهب كثمن للسلع بحجة نبيلة ظاهراً وكذلك ورقة النقد من فئة العشرة روبلات الذهبية، التي عليها صورة فلاح يبذر الحبوب. غالباً ما يحب الاقتصاديون الذين لا يعرفون جيداً التاريخ، أن يرووا كيف أصبحت بسرعة عملة من الدرجة الأولى ومعترفاً بها في كل العالم. أما الواقع فقد كان مغايراً تماماً: هذه الورقة التي أصدرها البلاشفة هي بالذات التي منع قبولها كوسيلة للدفع في الغرب.
http://www.seb.sbrf.ru/natural/metalls_monets/monets/gold10.php.

متحمساً لاستعادة المقدرة الصناعية في روسيا. وقد طرح نظرية إقامة الاشتراكية في بلد واحد. وواضح أن الخصم الرئيس لذلك كان الرفيق تروتسكي. الذي يمتد الحبل السري المالي له في أقبية البنوك الأمريكية. تنص وجهة نظر ستالين على بناء المصانع والمعامل وسكك الحديد. وتخصيص الأموال لتحسين البنية التحتية وإقامة المشافي والمصحات للعمال. لا يجب أن نكتفي بإعادة إعمار روسيا وإنما علينا أن نطورها ونحسنها. ولا يصح أن ننتظر يقظة عمال العالم كله- فقد يطول انتظارنا.

وكان تروتسكي يرى استحالة بناء الاشتراكية مبدئياً في بلد واحد، ولذلك لا يحسن إقامة منشآت كبيرة. فما الفائدة من بناء السقف قبل أن ترسى القواعد! إن أساس الحياة السعيدة في روسيا يمكن أن تكونه الثورة العالمية فقط. يجب إتمامها أولاً وبعد ذلك يمكن التفرغ للباقي. هذا يعني لا لزوم لحدائق الأطفال، ولا للمصحات ولا المعامل ولا المصانع. لا لزوم لشيء أبداً سوى تمويل الحركة الثورية العالمية وإنشاء جيش قوي، وهذا الذي سيأتي بالعجز للبشرية كلها بحد السيوف. هذا يعني أن الاتحاد السوفيتي يمكن أن يهاجم أي بلد باختيار ورأي الرفيق تروتسكي وأصدقائه الأجانب الذين كان يرسل لهم "أموال القطارات".

احتدم الصراع بعناد.. حاولت المعارضة التروتسكية بكل قواها أن تعيق إعمار البلاد. لكن ستالين تمكن من تمرير خطة. لنلق نظرة على التواريخ: في المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعي الروسي في 1925 تم إقرار التوجه نحو إحداث قفزة سريعة في الإنتاج الصناعي - "التصنيع الاشتراكي". وعلى الفور هنا يبدأ الغرب "حصار الذهب". الغاية من هذا التصريف بسيطة - لا يمكن للاتحاد السوفيتي شراء الآلات والأدوات إلا على حساب خاماته الطبيعية وموارده. سيبقى الذهب كتلة هامدة في أقبية الخزينة، النفط والخشب والحبوب، وخصوصاً الحبوب - هذا ما يريده الغرب مقابل توريد المعدات الصناعية. وهذه المعدات هي الجوهر الأساسي للنهضة الصناعية. يمكننا أن نقيم الأبنية بأنفسنا ولكنها ستكون علباً فارغة بدون المعدات والآلات فالاقتصاد المنهار والذي كان في داخل البلاد مدمراً عملياً تطلب منتجات صناعية ثقيلة. ولن تنجز شيئاً بدون المعدات الغربية. وسيدفع ثمن التوريدات من مواردنا الطبيعية. فهم لا يقبلون الذهب منا!

هل أخطأ كارل ماركس ولم تعد الأرباح تهم الرأسماليين ولا الذهب حتى؟ كلا، لقد تحققت كلمات ماركس تماماً عن الإجرام من أجل الربح. إلا أن الجريمة التي كانت تعد لنا هي من نوع مميز. عجيبة غريبة، والأرباح منها يجب أن تبلغ الآلاف بالمئة، الصراع "داخل الحزب" بين ستالين وتروتسكي كان في الواقع معركة حاسمة للسيطرة على موارد الاتحاد السوفيتي الطبيعية، فلو أن تروتسكي انتصر في هذا الصراع لملأت الامتيازات والتراخيص كل الاتحاد السوفيتي، ولا لزوم عندئذٍ لأية إجراءات إضافية.

لكن الرفيق تروتسكي يفقد مواقعه تدريجياً. 14 تشرين الثاني 1927 يفصل تروتسكي وزينوفيف من الحزب، لأن المعارضة حاولت أن تقوم بمظاهرات في موسكو ولينينغراد "مظاهرات بديلة" كانت أشبه بمحاولة انقلاب في الدولة. وكان رد ستالين - فصل تروتسكي من الحزب. ومن ثم في اجتماع المكتب السياسي يتخذ القرار بإبعاده عن العاصمة.

10 تشرين الثاني 1928 توجه تروتسكي إلى مدينة فيرني البعيدة (حالياً المآتا). لقد سافر بكامل وسائل الراحة: تحت تصرفه عربة قطار مستقلة وكان فيه عدا عن أفراد الأسرة. أرشيفه الخاص. مكتبته وكل أمتعته الخاصة (بما في ذلك عدة الصيد كاملة مع الكلب)[1].

10 شباط 1929 تم نفي تروتسكي إلى خارج البلاد.

هذا يعني أن المعركة في روسيا قد حسمت لصالح ستالين ولا بد من إعداد طرائق أخرى لإخضاعها. ولا يلجؤون إلى أسوأ الاحتمالات وهو التدخل العسكري إلا إذا فشلت كل الوسائل الأخرى. ما زال الغرب يعد العدة اقتصادياً لإخضاع روسيا السوفيتية دون التدخل العسكري. وقد قام الغرب بالخطوة الأولى مسبقاً برفض قبول الدفع بالذهب من الاتحاد السوفيتي. وهذا ما يجعل روسيا شديدة الحساسية تجاه تصدير خاماتها إلى الخارج. وهي التي تشكل المصدر الوحيد الآن لاستقدام العملة الصعبة إلى البلاد. بعد نفي الرفيق تروتسكي يوجه الغرب ضربته

[1] إبراموفيتش ي. ا ذكريات وآراء.

التالية: يفرض حظراً على استيراد السلع السوفيتية. عملياً منع تصدير الخشب ومنتجات النفط، أي كل ما كان يدفع به ثمن المعدات والآلات الغربية بغية تدمير الاقتصاد الروسي لننظر مرة أخرى إلى التواريخ:

- تبدأ الخطة الخمسين الأولى في عام 1929؛
- في عام 1930-1931 فرضت الولايات المتحدة القيود؛
- حذت فرنسا حذو أمريكا وفرضت القيود ذاتها في 1930.

في 17 نيسان 1933 أعلنت الحكومة البريطانية الحظر ذاته، ويشمل حتى 80% من صادراتنا[1]. ولا ننسى أنه في هذا الوقت كان الكساد الكبير مستفحلاً. هبط الطلب بشدة على كثير من السلع والخامات. أي أن بريطانيا وفي ظروف الأزمة، قامت بما يضر مباشرة باقتصادها ذاتها. في تلك السنوات كان الاتحاد السوفيتي أكبر مشتر (زبون) لمصانع الآلات الإنكليزية. في عام 1932 كان 80% من الآلات المصدرة من بريطانيا تذهب إلى الاتحاد السوفيتي[2]. وقيادة بريطانيا فعلت كل شيء لجعل هذه التوريدات مستحيلة، أمر غريب حقاً.

في 26 نيسان 1933 تسلم بريطانيا لسفارتنا مذكرة. ذكرت فيها أسباب ثلاثة لاستحالة التجارة: الأول - الديون القيصرية غير المدفوعة. الثاني - تطالب إنكلترا بإلغاء مخازن البيع بالعملة الصعبة المخصصة للديبلوماسيين[3]. الثالث- تلبية مطالب شركة "لينا فولدفيلدس".

في البدء رفض الغرب قبول الذهب كثمن للدفع، ثم رفض كل شيء. ما عدا الحبوب! وضعت القيادة الستالينية أمام خيار: إما التخلي عن إقامة التصنيع، أي الاستسلام أمام الغرب، أو الاستمرار في التصنيع، الذي يؤدي إلى أزمة داخلية

---

[1] Russian Goods (Import Prohibition) Act 1933, London,1933.

[2] مايسكي ي. م، ذكريات ديبلوماسي سوفيتي، طشقند، أوزبكستان 1980، ص. 244.

[3] بالطبع لم يطالب الإنكليز بالمساواة بين الجميع، بل لراحتهم أنفسهم. سابقاً كان الديبلوماسيون في الاتحاد السوفيتي يشترون المنتجات من مخازن خاصة. بالروبل حسب السعر الرسمي والمغزى كان في تبديل الجنيهات في السوق السوداء في لاتفيا أو إستونيا أو حتى في موسكو ذاتها بسعر السوق السوداء. يستطيع البريطانيون شراء المنتجات الباهظة الثمن بسعر بخس ثم يبيعونها بثلاثة أضعاف ثمن الشراء. الأرباح كانت خيالية. كان بعض الديبلوماسيين يشترون من المخازن الخاصة "للاستخدام الشخصي" طناً من السكر أو الزبدة في الشهر! ويشترون من الأرباح التحف الفنية وينقلونها بالبريد الديبلوماسي إلى الخارج - النظام الذي يفرض شراء المنتجات بالعملة الصعبة من المخازن الخاصة لم يعجب الإنكليز. وهو الذي طالبوا بإلغائه في مذكرتهم.

مخيفة. إذا أخذ البلاشفة الحبوب من الفلاحين - يصبح احتمال المجاعة كبيراً جداً، مما قد يؤدي بدوره إلى انفجار داخلي وإزاحة السلطة. أياً كان اختيار ستالين يربح الغرب في كل الأحوال. قرر ستالين وأعوانه الذهاب إلى المواجهة. منذ صيف 1929 بدأت عملية جعل الاقتصادي تعاونياً جماعياً.

كانت الدولة تجمع الحبوب وترسلها إلى الغرب، ليس من أجل قتل جزء من السكان جوعاً قطعاً، بل لعدم وجود طريقة أخرى لدفع ثمن المستوردات من الآلات.. كانت آمال ستالين معقودة على الموسم الجديد. ويتبين أنه قليل - حدث جفاف في البلاد. لم يعد بإمكان الاتحاد السوفيتي شراء الأغذية مقابل الذهب (حصار الذهب) ولا مقابل النقد الأجنبي (لعدم توفره بسبب الحظر). يقومون بمحاولات لنقل الحبوب من إيران على وجه السرعة، حيث وافقت إيران على قبول الثمن ذهباً. لم يسعف الوقت السلطات - وتحدث الكارثة، التي تسمى الآن في أوكرانيا "مجاعة الموت".

في عامي 1932-1933 مات عدد كبير من الناس. وفقط بعد ذلك، مباشرة بعد ذلك (!). قبل الغرب من البلاشفة النفط والخشب والمعادن الثمينة.

في تشرين الأول 2008 أقر البرلمان الأوروبي أن مجاعة الموت في أوكرانيا جريمة ضد الإنسانية. والمذنب فيها - قيادة الاتحاد السوفيتي الستالينية. إلا أن وثيقة البرلمان الأوروبي لا تجيب على سؤالين:

- لماذا تصرف الرأسماليون بهذه الغرابة، ورفضوا قبول الذهب من ستالين؟
- لماذا أرادوا أن يحصلوا منا كثمن لبضاعتهم الحبوب فقط؟

لا حقيقة ولا منطق في وثائق البرلمان الأوروبي. فلو أن ستالين أراد فعلاً لسبب مجهول، أن يقتل كل سكان أوكرانيا جوعاً فلماذا لم يفعل ذلك؟ لماذا لم يستمر في الإبادة حتى النهاية. فإذا لم يمت كل الأوكرانيين عامي 1932-1933، لماذا لم تستمر السلطات بانتزاع الأغذية كلياً في عام 1934؟ لم يكن ما تخشاه السلطات - الناس منهكون، لا ثورات، لا تسرب في الأخبار. أين هو المنطق؟ بالطبع لا منطق ولا حقيقة. والحقيقة أنها في عام 1934 توقف تصدير الحبوب من الاتحاد السوفيتي. بأمر من قيادة الاتحاد السوفيتي.

إن الجوع المخطط له بدقة والـذي نظمـه الغـرب عـامي 1932-1933 لم يعـط النتيجـة المرجوة: حافظ البلاشفة على السلطة. واستمروا في إقامة الصناعة. لم تثمر الإجراءات الاقتصادية أراد ستالين النهضة بالبلاد بأي ثمن ويـنجح في ذلـك. بقيـت في جعبـتهم الإجـراءات العسـكرية. قضية مدهشة: بالذات في عام 1933 وصل إلى السلطة في ألمانيا أدولف هتلر. الذي كتب بشكل مكشوف عن أهدافه التوسعية في السهول الروسية المترامية.

تتشابك أحـداث التـاريخ بشـكل محـيِّر. والاسـتيعاب والفهـم فيهـا أمـر بـالغ الصـعوبة والتعقيد. ولكن إذا فهمنا منطقها وقواها المحركة فيمكننا فهمها. ونصل إلى استنتاجات مخيفـة ترتعد لها الفرائص.

ما هي مهمة مالكي الاحتياطي الفيدرالي في فترة ما بين الحربين العالميتين؟

فك ارتباط الدولار. وبعده بقية العملات عن المعيار الذهبي. لكي تتوفر لـديهم إمكانيـة طبع النقود دون قيد.

ظهور عملة صعبة في هذه اللحظة أفسد خطة المصرفيين؟

لا شك أنه في عالم يفك فيه الجميع الارتبـاط بالـذهب، لا يجـب أن يوجـد مـن "يـرتبط بالذهب". وإلا فسوف تفقد العملية "طبيعتها". إضافة إلى أن العملة الورقية أقـل جاذبيـة مـن "الذهبية". العملة الذهبية - منافس مباشر، إنها تحد!

هل أزعج مالكي الاحتياطي الفيدرالي ظهـور التشـيرفونيتس (الـعشرة روبـلات) الـروسي. بالطبع. في حالة ظهور إيديولوجيا جديدة جذابة وعملـة ذهبيـة جديـدة أيضـاً- فهـذا، بشـكل واضح، خيار. 27 تشرين الثاني 1922 يظهر التشيرفوينتس السوفيتي الجديـد، قبـل ذلـك كانـت عملة الخزينة تسمى العملة السوفيتية، وهي مثل الدولار الحالي ليس لها أية تغطية. وها هـي على التوازي معها بدأت بالتداول عملة صعبة، كتب على بنكنوتها: "بطاقة البنكنوت هذه قابلة للصرف بالذهب، بداية الصرف تحدد بقـرار حكـومي خـاص. هـذا البنكنـوت يغطـى بالـذهب بكامل القيمة ذهباً. معادن ثمينة، أو بعملة أجنبيـة صـعبة ومختلـف الفعاليـات الأخـرى لـدى مصرف الدولة. يستخدم البنكنوت بقيمته الأسمية في تسـديد الضرائـب والرسـوم التـي تحصـل بالذهب قانوناً"!

"استندت الوحدة النقدية الجديدة إلى قاعدة ذهبية. يساوي التشيرفوينتس 10 روبلات قديمة وشكلياً يحتوي على 7.74234 غراماً من الذهب"[1].

هل يشكل هذا خطراً على المصرفيين في نيويورك، أو ربما ليس بهذا القدر؟

البداية صعبة، في روسيا ضبط التشيرفوينتس الأمور بسرعة في سوق المال. "عملياً بدأ ارتفاع سعر صرفه مباشرة بعد ظهوره، وبالتدريج أزاح التشيرفوينتس العملة السوفيتية السابقة وكذلك روبلات ما قبل الثورة الذهبية والعملات الأجنبية التي بدأت تطرح في السوق بدور المعادل. في النتيجة انتقل الرصيد بالذهب "الشرطي إلى "الحساب بالتشيرفوينتس" الواقعي، وألغيت العملة السوفيتية السابقة"[2].

بالطبع لن يرضى المصرفيون العالميون الدفع بالعملة السوفيتية الصعبة الجديدة لأن تسهيل تثبيت التشيرفوينتس الذهبي بصفته عملة دفع بالنسبة لهم - تعني القضاء نهائياً على مخططاتهم الخاصة. على العكس لا بد من وضع ما أمكن من الحواجز أمام العملة الذهبية الجديدة.

هاكم الأسباب الحقيقية لامتناع الغرب عن قبول التشيرفوينتس اللينيني الذهبي في عام 1925. وإليكم أسباباً أعمق لظهور "حصار الذهب"، نص مقتبس من الموقع الرسمي لبنك الادخار:

"إلا أن في 1925 نظمت الدول الغربية ما يسمى "حصار الذهب" ضد الاتحاد السوفيتي. إذا استثنت قبول التشيرفوينتس الذهبي إصدار 1923 كعملة للدفع. في هذه الحالة تحول الذهب المخصص لسك "البذار" في 1924- 1926 إلى سك تشيرفوينتس القيصر نكولاي بالطبعة الأصلية التي ما زالت في دار بيتروغراد لسك النقود. في عام 1925-1926 صدر منها 2 مليون قطعة لأن الحصار المذكور لا يسري على نقود الإمبراطورية الروسية الذهبية"[3]. لأن النقود مع صورة القيصر - هي نقود دولة ليست موجودة - الإمبراطورية الروسية. أي أنها ليست خطرة، ولم تعد تنتج. وإذا كان هناك من ينتجها سراً فلا خشية من ذلك. ما الخطر الذي تمثله كومة من الدنانير الرومانية أو حفنة من نقود نابليون الذهبية؟ المهم - المبدأ وليس

---

[1] http://www.veb.ru/ru/about/history/.

[2] المرجع ذاته.

[3] -http://www.seb-sbrf.ru/natural/metalls-monets/gold10.php.

الكمية. روبل نيكولاي الذهبي - هو الماضي، التشيرفوينتس اللينيني – المستقبل غير المرغوب به.

حصار الذهب غريب: نقود ذهبية يمكن قبولها، وأخرى - يستحيل لكن هذه الغرابة تكون عند من لا يعرف جيداً تاريخ تشكيل النظام المالي العالمي. كل شيء في العالم أعقد مما اعتدنا أن نظن وطبقاته أكثر. إخراج الذهب من التداول بخصوص بلد واحد يهيئ الأرضية لإخراجه في كل البلدان. هكذا تتشكل الظروف لاستبدال المعدن الأصفر بالورق الأخضر.

ثمة من يسأل. ماذا حدث للتشيرفوينتس الذهبي؟ هل تمكن مالكو الاحتياطي الفيدرالي من القضاء عليه؟

سقط التشيرفوينتس الذهبي ضحية التجارة وليس الظروف السيئة والمؤامرات. "عاد الاتحاد السوفيتي إلى إصدار هذه العملة في 1975، حيث تم سك 250 ألف تشيرفوينتس ذهبي"، كما يخبر موقع بنك الادخار المذكور سابقاً. عاد الاتحاد السوفيتي لهذا الإصدار في عهد بريجينيف بعد أن أوقف إصدار "البذّار" منذ عهد لينين! ولم يكن "حصار الذهب" عائقاً لأن سك التشيرفوينتس كقطعة نقد معدنية توقف... قبل إعلان "حصار الذهب". لقد ألغى البلاشفة أنفسهم إصدار عملة رائعة بهذا القدر في عام 1923، أي قبل عامين من إعلان الحصار. إليكم نصاً آخر مقتبس من موقع بنك الادخار ذاته: "صدرت هذه النقود في عام 1923 (حالياً تعتبر من العملات النادرة).

إذن - فهي عملة نادرة، يحبون أن يقصوا علينا عن إنهاء السياسة الاقتصادية الجديدة، عن مرجعية القيادة ونظام الإدارة الجماعي الذي قضى على برعم التشيرفوينتس السوفيتي المرتبك. لكن هذا كله لم يكن قد حصل في 1924. ولكن 8 آذار 1924 حصلت عملية إصلاح النقد - تبديل العملة القديمة بالروبلات الجديدة[1]. سلطات روسيا السوفيتية أدخلت عملة جديدة بدلاً عن القديمة الضعيفة وبعد ذلك بقليل أخرجت من التداول التشيرفوينتس القوي والواعد. سلطات الاتحاد

---

[1] المرسوم الذي حدد سعر الاستبدال نص على ما يلي: (1) روبل إصدار 1924 يعادل 50 ألف روبل من عملة إصدار 1923 أو 50 مليون روبل قبل إصلاح 1923.

السوفيتي ألغت بنفسها أكثر العملات ثباتاً! منذ عام 1925 كان (1) تشـيرفوينتس يعـادل عشرة (10) روبلات، وبذلك فقد مضمونه الذهبي. ما زال كثيرون يذكرون أن النقود كانـت تسـمى في الاتحاد السوفيتي - روبلات. فقط الورقة من فئة 10 روبلات كانـت تسـمى تشـيرفوينتس. فقـد انضغطت به الذاكرة البسيطة. هكذا يبقى في اللغة صدى الاضطرابات الاقتصادية.

ولكن لماذا ذبحت سلطة الاتحاد السوفيتي دجاجتها الذهبيـة؟ أولاً. لأن "الرفـاق" الـذين كانوا يعطون التراخيص لـ "لينا غولدفيلدس" وسواها. كانوا ما يزالون يمسكون بعجلة القيادة.

لم يستطع أولئك "الثوار الأقحـاح" أن يسـيروا عكـس إرادة ومصـالح مـن مـولهم لسـنوات طويلة. لكن الثوار الأدعياء لم يعطوا التشـيرفوينتس لمـالكي الاحتيـاطي الفيـدرالي ببسـاطة دون مقابل. انظروا هذه التواريخ:

1922- بداية إصدار التشيرفوينتس.

1923- إنتاج كميات كبيرة منه - عملة ذهبية، نجاحات، ازدياد سعر الصرف.

1924- وقف إصدار التشيرفوينتس من الذهب.

1924- الإصلاح النقدي، إدخال الروبل القوي (ولكن ليس الذهبي).

1925- "حصار الذهـب" المحاولة الأولى لخنق اقتصاد روسـيا الجديـدة إجـراءات وقائيـة ضد التشيرفوينتس الذهبي.

وهاكم تواريخ أخرى للمقارنة مقابـل التوقـف عـن اللعبـة الخطـيرة بالنسـبة للمصرفيـين العالميين في العملة الذهبية تم الاعتراف بالدولة البروليتارية.

1 شباط 1924. اعترفت بريطانيا رسمياً بالاتحاد السـوفيتي. وأعقـب ذلـك اعـتراف توابـع بريطانيا والولايات المتحدة اللتين كانتا تلعبان الدور الرئيس في السياسة.

7 شـباط 1924 - إيطاليـا موسـوليني؛ 13 شـباط - الـزوج؛ 25 شـباط - النمسـا؛ 8 آذار - اليونان؛ 15 آذار - السويد؛ 18 حزيران - الدانمارك؛ 6 تمـوز - ألبانيـا؛ 19 تمـوز - الصـين؛ 1 آب - المكسيك؛ 28 تشرين الأول - فرنسا. آخر المعترفين كانت اليابان 20 كانون الأول 1925.

أما الولايات المتحدة فلم تعترف بالاتحاد السوفيتي حتى عام 1933. عندما تبخرت آمال انهيار النظام البلشفي بسبب مجاعة الموت نهائياً.

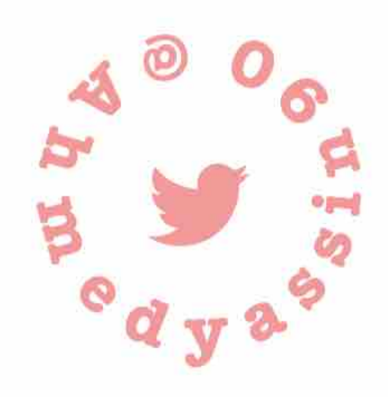
دون أن تعترف أمريكا رسمياً بالاتحاد السوفيتي بدأت فجأة بتجارة نشيطة مع البلاشفة في الوقت الذي توقف فيه إنتاج التشيرفوينتس الذهبي. في أيار 1924 يظهر مكتب رسمي لشركة "أمتورغ" في مركز نيويورك على الجادة الخامسة. تأسست كشركة مساهمة خاصة بين أمريكا والاتحاد السوفيتي. هكذا يرد تعريفها في مراجع الاستعلامات: "مؤسسة تجارية تمارس الوساطة لتصدير السلع السوفيتية إلى أمريكا واستيراد البضائع من أمريكا إلى الاتحاد السوفيتي". إلا أن ذلك أصبح معروفاً للجمهور الواسع فقط في عام 1933. بعد إقامة العلاقات الديبلوماسية بين الدولتين. أما قبل ذلك فكانت تعد مؤسسة تابعة لمجلس النواب الأمريكي. ولم يعرف أحد لماذا في بنية مؤسسة حكومية أمريكية يعمل أخصائيون سوفييت حصراً[1].

في العام الأول عقدت بريطانيا اتفاقيات بقيمة 50 مليون دولار، اشترى فيها الروس من أمريكا القطن والآلات الزراعية ونماذج أحدث الآلات وكذلك أحدث الأسلحة. كانت الحالة مريبة جداً: بلاد ليس لها علاقات ديبلوماسية مع أمريكا. وبينهما صراع إيديولوجي معقد، وتحت سقف مؤسسات أمريكية، كانت تأخذ لنفسها الأسرار والإنجازات الأمريكية! مدافع، دبابات، طائرات وحتى سفن حربية صدرت كلها من أمريكا تحت اسم الأنابيب، وجرارات فورد وبوارج قديمة صدئة. ولم يكن أحد ليلاحظ. كيف يحدث ذلك؟ إذا تذكرنا التشيرفوينتس الذهبي الذي مات قبل أوانه يصبح الأمر واضحاً على الفور.

بهذا الشكل غير المتوقع يتشابك تاريخنا مع تاريخ تطور ونمو "آلة الطباعة" الاحتياطية الفيدرالية.

يرقص الثائر لمن يطعمه- وليس الثائر فقط. عن ذلك سنتحدث في الفصل التالي.

[1] تاريخ هذه "الدائرة" مبهم جداً. أول رئيس لـ "أمتورغ" في أمريكا كان إيساي خورغين. زار الشركة أيضاً نائب تروتسكي إبان الحرب الأهلية والشخص الذي يثق به ايغرايم سكليانسكي. في 27 آب 1925 توجه خورغين وسكليانسكي للنزهة على زورق في بحيرة لونغ لايك في منتجع فيشيتيبل في نيوجرسي وماتا غرقاً في ظروف غامضة جداً.


@Ahmedyassin90

الفصل السابع

لماذا لا تنتصر الديمقراطية أبداً في العالم كله؟

الصحيفة - أقوى السموم الذي

يعطي أكبر الأرباح

ماكسيميليان فولوشين

إذا كنت تتكلم وحدك دائماً

ستكون دائماً على حق.

أونوريد يبالزاك

إن النقود مزعجة بشكل مخيف لأنها ضرورية للجميع: للمناضلين من أجل الحرية، والمدافعين عن الحقوق، والصحفيين، وحتى للقضاة والمحامين.. هذه الحقيقة المأساوية تنقض شاعرية الطمأنينة. يحدث أن ترى في التلفزة عالماً في السياسة طيب المظهر أو مناضلاً عنيداً من أجل حقوقنا. يتكلم بشكل حسن ومقنع يخفي كل المساوئ. وعبثاً يفعل، ويثني بحرارة على كل المحاسن. ويتسلل إلى الرأس سؤال خائن: ولكن من أين يحصل هذا الشخص الفائق الاحترام على النقود؟ أليست حماسته وقوته الظاهرة مشروطة باضطرار مبتذل للحصول على أوراق نقدية حقيرة؟ وعلى الفور يخبو نجم المناضل وتختفي الحالة حول رأسه. "لا تُصلح النقود ظلم الطبيعة. بل تعمقه" - كما قال يوماً الكاتب ليونيد أندرييف.

النقود حقاً تفسد كل شيء.

كم العيش سهل ولذيذ في عالم مفهوم. وكل شيء فيه منظم ومرتب، كل شيء فيه مهيأ ومحضر.

في هذا العالم قوة الخير- الغرب. توجد حتى إمبراطورية بحالها للخير- هي الولايات المتحدة. لدى هذه الدولة، المعنية حصراً بحقوق الإنسان في العالم كله، الكثير الكثير من الدول الصديقة. كلهم مهذبون، ذوو نوايا سياسية طيبة. وأكثر ما يتمنونه أن يعيش البشر في الأرض بسلام ورخاء وسعادة.

ولذلك يتعين على إمبراطورية الخير وأصدقائها أن تقصف أولئك الذين لا يتمنون أن يعيشوا بسلام ورخاء وسعادة. وهذا فقط من أجل أن يصبحوا طيبين ويكفوا عن كونهم رديئين. ويقبلوا العيش في هذا العالم بسلام ورخاء وسعادة.

كل شيء واضح وبسيط في العالم المفهوم. لا لزوم للتفكير ولا للتحليل. ولكن كيف نميز الطيبين عن الرديئين؟ لكي لا تظهر أية تعقيدات تظهر التلفزة غير المرتبطة بأحد أولئك الرديئين وتسميهم مقرفين. تكتب منهم صحافة حرة، وتتحدث إذاعات لا تخضع لأحد ومجلات لا يحولها أحد... لا توجد مشاكل عند القاطن في الغرب في تحديد السيئين. سيظهرون لهم كل شيء ويشرحون كل شيء. وقد اخترعوا معياراً جيداً: في الدول السيئة لا توجد ديمقراطية، أو أنها قليلة، أو كثيرة ولكن ليست كافية. وبما أن هذه الدول سيئة فالإجابة على سؤال، من يرتكب كل هذه الفظائع في كوكبنا؛ تأتي تلقائياً. إنها الدول السيئة[1] التي تقترف كل هذه الجرائم. ليس لهذه الدول همّ إلا التفكير في إعاقة العالم الحر السعيد عن العيش في دعة ودفء.

ولكن النماذج المأخوذة من كتب وروايات الشرق عن الأشرار لا تناسب تماماً الوقائع المعاصرة. عندئذٍ وكأنما بإيعاز تظهر في الصحف والتلفزات طبعات جديدة مثل الدول المارقة. أول ما يتبادر لذهني عندما أسمع هذا المصطلح أنه شيء من التوراة. أين كانت هذه الدول؟ في أية جنة؟ وأية تفاحة أكلت؟ لا شيء مفهوم مطلقاً- وهذا لا يشملني وحدي (أنا مؤلف هذا الكتاب) وإنما يشمل السياسيين المحنكين كالسياسيين الروس. وهذا ما يذهل الغربيين أي الذين اخترعوا هذا المصطلح وأطلقوه في التداول. 27 حزيران 2007 على هواء المحطة الإذاعية "صدى موسكو" تحادث الأمين العام لحلف الناتو ياب دي هوب زغيفر وعضو مجلس أمن روسيا رئيس مجلس الفيدرالية سيرغي ميرونوف. تحدّثا عن مشكلة كوسوفو،

---

[1] هل لفت انتباهكم كيف يزرعون الفكرة المسبقة السلبية عن روسيا في المواطن الغربي بإلحاح واستمرار؟ في الأفلام الهوليودية كل القتلة - روس، رواد الفضاء - سكارى. الرؤساء - مستبدون أو معتوهون. لا يوجد فيلم واحد يظهروننا فيه بإيجابية أو حتى بشكل محايد هل هذا صدفة؟ في مسلسل "أموات مثلي" يقتل البطلة الرئيسة مقعد مرحاض يسقط من السماء من محطة الفضاء الروسية "مير". يجري غسيل الأدمغة هذا منذ الطفولة.

توسع الناتو. نشر الدرع الصاروخي في أوروبا، عن اقتراح بوتين للاستثمار المشترك لمحطة رادار غابالين الموجودة في أذربيدجان.

زغيفر: الأمر الوحيد الذي نختلف فيه (الناتو وروسيا). هو أننا نعتبر أن الخطر يأتي من دول مارقة يمكن أن تصنع تكنولوجيا نووية وصاروخية...

ميرونوف: ومن هدد أن هنالك دول مارقة؟ ومن منا يحدد أن الدولة - مارقة. وأي الدول - ليست مارقة هل يمكن أن تقول لي؟

زغيفر: هنالك تهديد، وهناك دول يوجه هذا التهديد إليها. واقتراحكم بالاستثمار المشترك لمحطة غابالين يدل على أنكم تعتبرون هذا التهديد واقعياً. نحن نرى ما يجري في كوريا الشمالية ونراقب تطور التقنية الصاروخية. ولكنني أريد أن توضحوا لي، هل يوجد في روسيا إحساس بأن هذا خطير، علي أن آخذ هذا الإحساس بعين الاعتبار. ولكن لم يقل لي أحد حتى الآن أين تكمن خطورة نصب عشرة صواريخ اعتراضية غير نووية في بولونيا[1]؟

لا تلتئم المحادثة وكان من يتحدثان أعمى وأصم. فيرونوف يطرح سؤالاً محدداً ولا جواب. يتجنب رئيس الناتو الإجابة وأفضل طريقة للهروب من الجواب في هذه الحالة (وهذا ما يأخذه السياسيون والخطباء بالحسبان) - بدلاً من الإجابة. يطرح سؤال على الحدث. هذه الخدعة بالذات قام بها زغيفر. لماذا لا يريد أمين عام حلف الناتو أن يجيب على هذا السؤال البسيط؟ السؤال المفتاحي: كيف تحددون الأعداء. كيف تلاحظون التهديد، أيها السيد رئيس الحلف العسكري، إذا كنتم تزمعون أن تبعدوا خطر صواريخ الدول المارقة غير الموجودة في الطبيعة عند حدودنا بصواريخكم؟

إنه ذاته لا يعرف الجواب. إذا لا يمكنه القول: "أنا ورفاقي" أحدد المارقين. هم أولئك الذين لا يروقون لي لأنهم لا يرقصون على أنغامي وكما لا يمكنه القول: "لا أعرف" فلو كان هنالك جواب لأطلعنا عليه مع رئيس مجلس الفيدرالية الروسية، ولما خشي سياسيونا من تلك الصواريخ.

---

[1] http://www.day.az/print/news/world/8398.html.

ويستمر في التدفق من صفحات جرائدهم ومن شاشات تلفزيوناتهم التنديد والتشهير هؤلاء الأشرار الذين يقفون حجر عثرة في طريق التطور والتقدم. فلا بد إذن من قصفهم باستمرار حتى يتحول الاستبداديون الأشرار بطريقة سحرية إلى أخيار ديمقراطيين طيبين. وعندما تنتصر ديمقراطية جيدة في آخر دولة سيئة. عندئذٍ سيكون بانتظار البشرية عصر ذهبي.

سوف تنتصر الديمقراطية في العالم كله - تعبير ملته الأذن وتستمر الصحف والتلفزة المناداة به. دون أن تفكر في حقيقة ماثلة للعيان. وهي أنه لا يمكن أن يعيش 6-7 مليار إنسان- بدنياً بكل بساطة - وفق المعايير المرتفعة للمستهلك الغربي المعاصر. لا يتحمل الكوكب ذلك، ولا يملك موارد تكفي لكي يستبدل كل سكان الكوكب سياراتهم مرة كل 3 سنوات ومرة كل 3 أشهر هواتفهم الخليوية.

إذن، تنتصر الديمقراطية في كل مكان، ولكن لا يمكن أن يكون مستوى المعيشة متساوياً في كل مكان. عندئذٍ يصبح واضحاً أن مستوى المعيشة لا يتعلق بالنظام الاجتماعي أبداً. ستكون الديمقراطية لدى الجميع أما الحياة الطيبة ستكون فقط عند من يسيطر على حقول النفط والغاز وغيرها من الموارد الطبيعية. وهذا ما يمكن ملاحظته منذ الآن. توجد دول كثيرة يعترف العالم "المتحضر" بأنها ديمقراطية. في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. وإما أنها لا تملك موارد طبيعية، أو تسيطر على مواردها دولة أخرى. لذلك لا يدخل سكان هذه البلدان بما يسمى "المليار الذهبي". الديمقراطية موجودة لكن الازدهار ما زال في الطريق إلا أن هذه الأمثلة ما زالت قليلة. ويمكن إهمالها أو تفسيرها بتعقيد الصراع مع الشر العالمي.

سوف يتبين أن الادعاء باقتران الحياة الرغيدة بتعدد الأحزاب السياسية غير واقعي وكاذب. عندما تتحقق الديمقراطية في كل مكان.

ظلت جماعات من المنظرين السياسيين والمناضلين المأجورين من أجل حريات الآخرين تؤكد لمئات الملايين من البشر أن لا طريق آخر للازدهار غير طريق انتصار الديمقراطية. وها هي قد انتصرت ولكن الحياة الطيبة ظلت في أمريكا وبريطانيا واليابان والحياة السيئة - في موزامبيق، فيتنام وكولومبيا ماذا يقولون الآن وكيف يفسرون هذه الغرابة؟

بالطبع لن يقول أي منظر سياسي عالمي على الملأ أن الملك عار. يحاول أحد إخراجه إلى الشارع. سيقول أن جلالته مشغول جداً ولذلك لا يظهر إلى الجمهور وهو يكافح بكل كيانه من أجل الديمقراطية ولا وقت لديه...

نستنتج: لا يمكن أن تنتصر الديمقراطية في العالم كله. بل لا يجب أن تنتصر في كل العالم بأي حال من الأحوال!.

لو حدث وانتصرت الديمقراطية سيصبح واضحاً للجميع أنها لم تكن أبداً هدفاً للولايات المتحدة وأصدقائها، وإنما هي وسيلة للإخضاع وتنظيم حياة رغيدة لنفسها على حساب بقية العالم. لا شيء أسوأ من انتصار الديمقراطية في العالم كله بالنسبة للغرب. لذلك سيقوم الغرب، الذي يدعي سروره بها، بكل ما يمكنه حتى لا يحدث ذلك في المستقبل المنظور. لكي تبقى في العالم "قوى ظلامية" تضع عقبات على طريق انتقال البشرية كلها إلى الديمقراطية الشاملة.

ستبقى هناك حركة دائمة إلى ديمقراطية مزعومة تؤمن الهيمنة الدائمة على الكوكب للأنكلوساكسون وأتباعهم. وتعطيهم مستوى معيشة مرتفع دائماً.

جميل ومشرف أن تناضل طوال الحياة من أجل انتصار الديمقراطية، وأن تقبض راتباً بالعملة الصعبة، وبعد يوم العمل المضني، المفعم بهذا النضال. أن تتنزه في شوارع بروكسل الجميلة الهادئة أو تشوي اللحم في ضواحي لوس أنجلوس. أقل من ذلك جمالاً وشرفاً أن تكون في عداد البشر الرواد في الزمن المعاصر، أن تعيش في "مملكة الظلام". وأن تتمشى على وحل موسكو، أن تذهب للمقابلة في القنصلية الأمريكية، حيث يسلمونك جائزة، شهادة وتكريم من كل الأنواع.

وإذا انتصرت الحرية في العالم كله، ماذا يفعل جيش كامل من "المدافعين عن الحقوق"؟ إنهم لا يحسنون صنع شيء إلا إدانة القوى الظلامية والأنظمة الشمولية فإذا لم يبق لا هذه ولا تلك فكيف يجنون قوت يومهم؟ ماذا سيفعل الصحافيون الليبراليون؟ من يستفيد من خدماتهم؟ من سيقدم لهم الجوائز على مقالات الإدانة الجريئة؟ ومن سيدينون إذا كان الجميع مؤيدين متحمسين للقيم الإنسانية العامة وللإنسانية؟ ماذا ستزاول هذه القطعان من المستشارين الأوروبيين، وحشود المختلفين بالتفكير؟ فالجميع سيصبحون مفكرين أيضاً بشكل مغاير مثلهم.

في كل الأحوال، الانتصار التام للديمقراطية - كارثة لكل "الديمقراطيين".

وطالما يكافح العالم من أجل الديمقراطية، سيكونون هم من يقيم كل ما يحدث في الكوكب. المناضلون من أجل الحرية هم من يميز الأخيار من الأشرار، والحب من الزيوان. هم حصراً من يقرر من يجب أن يقصف ويسمى مارقاً، ومن يكافأ ويرفع إلى صف الديمقراطي العظيم. ولا يهم في هذه الحال ماذا يجري على أرض الواقع. المهم تقييم ما يجري فقد أهرق ساكاتشفيلي دماءً كثيرة في أوسيتيا الجنوبية وقتل أعداداً كبيرة من الأبرياء. فمن هو؟ إنه رئيس دولة ديمقراطية مستقلة، اقترف للأسف، خطأ لن يقدمه أحد للمحاكمة أبداً. لأن ذلك الدب العاشق لربطات العنق لم يقرر بنفسه فجأة أن يقاتل في القفقاس. لقد دفعوه لذلك، وهذا يعني أنهم سوف يغطونه بعد أن ينفذ الأمر. ولا ينتظر ذلك الوغد، الذي سفك دماء أطفال أوسيتيا سوى الاستقالة، التقاعد، أو عمل هادئ في رصيد النضال من أجل شيء جيد ما، إلقاء المحاضرات على طلاب أكثر الجامعات حرية.

وها هو رئيس بيلاروسيا الكسندر لوكاشينكو لا تسميه "الصحافة الحرة" إلا بالدكتاتور. لماذا؟ لأن الانتخابات التي أجراها لا تعجبهم - إذن فهو ديكتاتور دعونا من الانتخابات. كم طفلاً قتل؟ لم يقتل أحداً. ما هذا التناقض؟ القاتل خير، غير القاتل - شرير. لا يجب أن ندهش: كل شيء يرتبط بمعايير التقييم وكل فعاليات التقييم موجودة في أيدي جهة واحدة - في أيدي الغرب.

انظروا. من يقرر، كيف تجري الأمور مع الحرية في العالم كله؟ كل المنظمات الاجتماعية أين توجد مكاتبها الرئيسة؟ كلها هناك (في الغرب).

"العفو الدولية Amnesty International" - منظمة غير حكومية. تناضل من أجل حقوق الإنسان في العالم كله. أسست في بريطانيا في عام 1961، وهناك يتوضع مقر قيادتها، فروعها تنتشر في 56 بلداً وعدد أعضائها أكثر من مليون. معظمهم - متطوعون يعملون من أجل الفكرة، الأقلية - مأجورون. في مقر القيادة وحده حوالي 500 شخص. تعد المنظمة كل عام تقريراً سنوياً عن حقوق الإنسان في العالم. وهذا هو هدف وجودها. ولا تتحدث القيادة للمتطوعين السذج المتحمسين عن

هذا الهدف. تعدد في التقرير كل دول العالم تقريباً، ولكن الأشرار الأساسيون فيها هم خصوم أمريكا الجيوسياسيون وأصدقاؤهم. وضع حقوق الإنسان في كل دولة تجرأت على الوقوف في وجه أمريكا يتراجع عاماً بعد عام. هذا الوضع مخيف في الصين، فنزويلا، وإيران وقريب من الكارثي في روسيا، بيلاروسيا وسوريا. وهو طبيعي تماماً في العراق الحر، في أوكرانيا وفي جورجيا ناهيك عن أمريكا أو بريطانيا.

من يمول نشاط هذه المنظمة؟ من أين لها المال؟ سيجيبون - عن التبرعات ولكن من يدفع للمقاتلين في الشيشان. وللوهابيين في داغستان. فملايين الدولارات التطوعية تجري كالنهر لتمويل أعمال التخريب ضد روسيا. من يخصص لهؤلاء الفتيان من "منظمة العفو" طوعاً عشرات الملايين؟ هل هم المتصدقون؟

من يمول "الشفافية الدولية - Transparency International"؟ هل هي منظمة دولية غير حكومية على الإطلاق. هل تمارس عملاً فائق الأهمية لكل قاطن في الأرض؟ هل تنقذ الأطفال من الجوع؟ تخرج الفتيات الصغيرات في السن من العبودية الجنسية من براثن المافيا؟ تشتري الدواء لمن ينازع من الإيدز؟ علام تنفق أموال تبلغ مئات الملايين جناها أصحابها بالعرق والدم ولا يبخلون بها؟

على الكفاح ضد الفساد. لا مهمة أهم منها عند البشرية. ومن أجل ذلك يتقاضون رواتب عالية.

يكافحون عن طريق "تشكيل عقيدة مناهضة للفساد، ورعي حقوقي للمواطنين، جعل "الشفافية" مؤسساتية، تجنب الفساد من خلال تأمين فعالية آليات مكافحة الفساد".

لا شيء مفهوم هنا. والأمر الأهم مختلف تماماً. لا يبخلون بأية نقود ولكن ليس أبداً "لمكافحة الفساد". بل لتشكيل قائمة الفساد[1] في العالم. هذه القائمة - هي احتكار الرأي العام حول دول بأكملها. هي تشكيل رأي شعوب بشعوب أخرى وهذا هو في الجوهر هو تشكيل الواقع. سابقاً قسموا البشر حسب لون بشرتهم وبشكل جمجمتهم، والآن - حسب كمية الرشاوى والأحزاب في دولها.

---

[1] ."Corruption Perceptions Index"

نرى مرة أخرى في الجداول "المستقلة" أن خصوم أمريكا والغرب يبدون بصورة قبيحة جداً. هذا هو بالضبط العمل فائق الأهمية الذي تمارسه منظمة الشفافية العالمية - المنظمة التي أسسها رجل بسيط جعل الفساد حياته لا تطاق. من هو ذلك الدونكيشوت؟ إنه المدير السابق لبنك عالمي بيتر آيغين.

قد تكون هذه هي الحقيقة المرة؟ وعلينا أن نوافق على ما يصرخ به وبكل النغمات الليبراليون في آذاننا: أننا من نعيش في روسيا وكل أصدقائنا في الكوكب- أشرار مشوهون؟ ولكن لا تتعجلوا بقبول ذلك التشخيص. إنه كاذب. حتى الرفيق ستالين قال بحكمة، أنه لا يهم كيف يصوتون، المهم كيف يحصون الأصوات. وهؤلاء الفتية من "الشفافية" يحصون بشكل صحيح ولا يتقاضون النقود بدون عمل: "في جدول تصنيف الفساد تقع روسيا مع هندوراس وزمبابوي بدرجة واحدة". ولا يمكن كشف كذبهم وتزويرهم لا يمكن لمس مادة دراستهم باليد ولا قياسها بالأجهزة. مستوى الفساد ودرجة المحافظة على حقوق الإنسان هي رغم أهميتها أشياء تجريدية. يقيسونها "... على أساس استطلاعات الرأي الذي يقوم به متعهدون، سياسيون، صحافيون، محللون وغيرهم. يعبر في هذه الاستطلاعات عن الرأي فيما يخص مستوى الفساد في هذه الدولة أو تلك وفق مدرج من عشر درجات حيث الدرجة صفر تطابق أعلى مستوى من الفساد"[1].

مباراة تحدث على الملعب السياسي العالمي. الخصوم يدفع بعضهم بعضاً بالأرجل، يمزقون بعضهم بالأسنان، يكسرون عظام وظهور بعضهم. كل شيء كما يحدث دائماً، مباراة كرة قدم عادية في الملعب السياسي. هنا لم يلعب أحد بطريقة مغايرة. إلا أن الحكم لسبب ما يرى مخالفات جهة واحدة. البطاقات وضربات الجزاء تحدد دائماً باتجاه مرمى واحد. ويجيب على كل الأسئلة بصرامة: أنا الحكم، أنا أرى أفضل.

من يريد الربح في كرة القدم السياسية - فليضع رجله حكماً. هذا واضح. من أين تأتي "الشفافية" بالنقود؟ ادخلوا إلى موقعهم[2]. يقترح عليكم إدخال رقم

---

[1] http://www.globalrus.ru/print_this/77976/.

[2] http://www.transparency.org.

بطاقة الائتمان للتبرع لقضية مكافحة الفساد النبيلة. إذا أردت المساعدة اقرأ مرة أخرى مبادئ كفاحهم، وستفقد الرغبة بالمساعدة.

القول بأن كل المنظمات غير الحكومية تعيش على تبرعات الناس البسطاء - مضحك كالقول بأن لينين وتروتسكي قاموا بالثورة بتمويل من اشتراكات الحزبيين، نابليون حارب أوروبا كلها بأموال فقراء باريس الحفاة، وهتلر وصل إلى موسكو والقاهرة بهدايا ربات البيوت الألمانيات. ويكمن الاستمرار بهذه القائمة طويلاً.

حقوق الإنسان [1] Human Rights Watch (HRW) كما يجب أن يفهم من التسمية، تتابع هذه المنظمة حقوق الإنسان في العالم كله. لها مكاتب في 10 بلدان من العالم. العاملون فيها أكثر من 180 ألف شخص، ميزانيتها السنوية - 21 مليون دولار. وهم ليسوا في حال من الأحوال متبرعين أغنياء بنظارات. هم أيضاً منفذو سياسة محددة، موجهة ضدنا وإياك: عزيزي القارئ، إن لم تصدق تذكر 8 آب 2008 (08.08.08) الحرب في أوسيتيا الجنوبية - القتلى - حوالي ألفين. ويرى المناضلون من أجل حقوق الإنسان (ذوي العيون الكبيرة) لوحة مغايرة تماماً. "ممثلو منظمة الدفاع عن حقوق الإنسان الذين كانوا في منطقة النزاع بين جورجيا وأوسيتيا الجنوبية يؤكدون أن الأرقام الرسمية المعطاة عن القتلى مبالغ فيها كثيراً"[2]. كذب هؤلاء دون خوف من الله، بحيث قال الدكتور المعروف روشال أنه يريد أن ينظر في أعين ممثلي هذه المنظمة، الذين لا يعرف من أين حصلوا على هذه المعطيات، أن عدد القتلى في أوسيتيا الجنوبية 40 شخصاً فقط[3].

إننا نعيش في عالم تحدد فيه الحقيقة من مقال في صحيفة أو مقطع تلفزيوني. إذا لم يوجد هذا المقطع- لم يحدث شيء. لم تكتب الصحف- لم يكن شيء. تصور (لا سمح الله) أن هناك من قتلك وأطفالك، والمدافعون عن حقوقك المسجلون لا يلاحظون شيئاً. لا يرون أو يقولون كما في مشهد للمونولوجيست المعروف

---

[1] - تعني بالإنكليزية "مراقب حقوق الإنسان".

[2] -http://www.grani.ru/politics/russia/m.139909.html.

[3] -http://www.utro.ru/articles/2008/08/21/761602.html.

أركادي رايكين: "إنه مسالم ولا داعي للقلق. إلا أنه يذبح شخصين، ويعقب ذلك الصمت". بما أن معيار التقييم بأيديهم فقط، يعني أنك لم تقتل. خُيل إليك.

هل تعرف السلطة عندنا من يكون كل هؤلاء "المستقلين" و"غير الحكوميين" من المدافعين عن حقوقنا وحرياتنا؟ إنها تعرف حتماً. من هنا أخبار تشبه التالي: "لم يعط المدير التنفيذي لمنظمة حقوق الإنسان الدولية كينيتي روتي تأشيرة دخول إلى روسيا"[1]. قد تخاف سلطتنا الإدانة المستقلة؟ كلا لا تخاف، وإنما تعرف بالضبط. ذلك الشخص الطيب، البعيد عن الوقائع السياسية الدكتور روشال قد يدهش بصدق من "غرائب" مواقف المدافعين عن حقوق الإنسان إبان الأحداث في أوسيتيا. أما السياسيون المحترفون لاتخدعهم الأوهام، ولذلك يرفضون إعطاء السيد روتي فيزا (تأشيرة دخول).

إذا بحثتم ستجدون الكثير من الأخبار اللافتة:

"أبعدت فنزويلا اثنين من منظمة الدفاع عن حقوق الإنسان"[2].

يمكن كتابة كثير من الأمور اللافتة والمسلية عن "منظمة حقوق الإنسان"[3]. عيونهم ذات تمييز مهمش وقصيرة النظر عند اللزوم.

المدافعون عن الحقوق، الذين جعلوا الكفاح من أجل المثل النبيلة مهنتهم، يسمون بهذا الاسم المحترم خطأً بكل معنى الكلمة. لأنهم لا يدافعون عن أية حقوق. وإنما هم ثوار عاديون جداً فقط تختلف طرائقهم اليوم عن طرائق أسلافهم. الإيسيريين والبلاشفة ومتطوعي الشعب. الذين قصفوا بالقنابل ونظموا التمردات المسلحة مدفوعين برغبة عارمة في تدمير بلدهم الأم "سجن الشعوب". وهؤلاء المدافعون الجدد يكرهون بلادهم بدرجة لا تقل عن أولئك القدامى... ويفعلون كل ما في وسعهم لتنهار بلادهم مرة أخرى: يكتبون، يحتشدون، ينادون، يحللون، يوصون يدينون يثيرون الانتباه، يضطربون. بالطبع يوجد بينهم مثاليون أيضاً لا يفهمون ببساطة كيف ولماذا يستخدمون حبهم للشعارات الجميلة غير القابلة

---

[1] http:www.izbrannoe.ru/27521.html.

[2] http://www.army.lv/?s=699&id=13567.

[3] حدث هذا في 19 أيلول 2008، عن الأسباب المحتملة، الفصل 12.

للتحقيق. قد يستحق هؤلاء الشفقة - وهم الأغلبية الساحقة. قلة منهم يعرفون لماذا، أو الأصح "مقابل أي أجر"، يعملون مدافعين عن الحقوق.

لكي يقدموا حجة لتمزيق يوغوسلافيا إلى أجزاء والتمرن على هدم دولة متعددة القوميات صغيرة (في البداية)، محبو الحقيقة من هيومن رايتس ووتش أول من روى "الحقيقة" عن وحشية الصرب إبان الحرب في يوغوسلافيا. في 1 آب 1993 نشرت المنظمة "تقريراً" عن جريمة قتل 260 أسيراً كرواتياً زعموا أن عسكريين يوغوسلاف، ارتكبوها (20 تشرين الثاني 1991).. منظمة حقوق الإنسان بالذات بادرت إلى المطالبة في عام 1992 بإنشاء ما يسمى "محكمة" لقادة الدول "غير المطيعة"، وبالدرجة الأولى يوغسلافيا والجمهورية الصربية- كارادينش وميلوشيفيتش[1]. بمخالفة نظام الأمم المتحدة أنشئت تلك المحكمة الدولية في شباط 1993 حول يوغسلافيا "السابقة". هناك حكموا وأدانوا فقط الصرب. الكروات والبوسنيين لا يحاكمونهم أو يبرؤونهم، تذكرون المدعية العامة الشهيرة كارل أديل بونتي. نشرت كتاباً. تروي فيه أن مئات الصرب قتلوا على يد الألبان للمتاجرة بأعضائهم ولا توجد هناك محكمة ولا مدافعون عن الحقوق؟ لم يعرفوا ولم يروا؟ ولو أن الصرب ذبحوا الألبان للاحظوا ذلك فوراً...

يجب أن نفهم، أن كل محبي الحقيقة هؤلاء يصنعون، ويصورون في الغرب (يعني وفي العالم) صوت المجتمع المضطرب، ويعطون الحجة لأعمال استخدام القوة، يشرعنون القصف والتدخل. عشية العدوان على العراق ينشرون وثائق قديمة عن جرائم صدام منذ عشر سنوات، قبل قصف بلغراد يملؤون الصحف "بالفظائع" الصربية وكثير منها مفترى لا صحة لها. عندما يلزم الأمر لا تكتفي هيومن رايتس بإعطاء الحجة، بل وتطالب "باتخاذ إجراءات". في بياناتها ومناشداتها لرئيس أمريكا والكونغرس فيها تطالب بفرض عقوبات سياسية، اقتصادية، ديبلوماسية، بوليسية وحتى عسكرية لدولة أجنبية: يوغسلافيا، إندونيسيا، ماكيدونيا، روسيا[2].

---

[1] http://rusref.ru/human ru/human rights watch.htm.

[2] http://rusref.nm.ru/HumanRightsWatch. htm.

من الهدف الرئيس للنقد؟ من الذين يضعونها تحت المجهر؟ طبعاً نحن الروس. خلال سبع سنوات - من 1994 حتى 2001 - أمدت هيومن رايتس 172 تقريراً بخصوص مخالفة حقوق الإنسان في دول - شظايا الاتحاد السوفيتي. 117 تقريراً منها يخص الفيدرالية الروسية. للمقارنة لم يعد أي تقرير خلال تلك السنوات السبع عن أوكرانيا. أمر مدهش: فما الذي يزعج سكان أوكرانيا إذن؟ لماذا يأتي طلاب وسكان أوكرانيا الغربية إلى الميدان إذا كان كل شيء "كالعسل"؟ هناك احتمالان فقط: إما أن "الثورة البرتقالية" قامت حصراً بتحريض وتمويل وتنظيم المخابرات الغربية، أو أن المدافعين عن الحقوق غضوا الطرف عن كثير من مخالفات حقوق الإنسان. في كل الأحوال هذا وضع غريب جداً إن لم نقل أكثر من ذلك. بشكل مشابه يصيب هيومن رايتس العمى في دول البلطيق فلم تقدم أي تقرير بخصوص نقض حقوق السكان الروس في لاتفيا وإستونيا!

لا ينتقد محبو الحرية أتباع أمريكا. وهذا لا يمس أوروبا وحدها. تشكل السعودية الحليف الأثمن لأمريكا في منطقة الخليج الإستراتيجية الغنية بالنفط. بالنسبة لأمريكا السعوديون- الذراع الرئيس للتأثير على أسعار النفط. بواسطة السعودية دفنت أمريكا الاتحاد السوفيتي خلال ست سنوات من بيريسترويكا غورباتشوف بخفض الأسعار على الكربوهيدرات عدة مرات[1]. بواسطة هذه الدولة العربية بالذات يستمر اليوم الضغط على سعر الذهب الأسود. تعارض السعودية مع نيجيريا باستمرار خفض إنتاج النفط، الذي يمكن أن يؤدي إلى ارتفاع أسعاره. يتصرف هذا التصرف الغريب بالنسبة لبائع النفط أيضاً العراق "الحر" و"الديمقراطي" الواقع تحت الاحتلال الأمريكي. إذ توقع حكومته العميلة أية اتفاقية وتدعم أي قرار يحتاجه أسيادها الأمريكيون.

وها هي "هيومن رايتس ورتش" تتابع باهتمام مشكلة حقوق الإنسان في المنطقة في السعودية نظام قاس من القرون الوسطى عملياً. هنا يقطعون رؤوس ويشنقون المعارضين ومثلي الجنسية غير عابئين بشيء. ما لم تفعله فينزويلا وبيلاروسيا أبداً، لكن تشافيز ولوكاشينكو - دكتاتوران، أما ملك السعودية

---

[1] للتفصيل انظر: ستاريكوف. ابحث عن النفط. СПБ: Питр, 2009.

بالنسبة للعالم كله - ديمقراطي عظيم. على هذه الصورة ترى "هيومن رايتس" أيضاً غير القابلة للرشوة. في الفترة ذاتها التي تمتد سبع سنوات (1994-2001) أعدت ثمانية تقارير فقط عن مخالفة حقوق الإنسان في السعودية.

يمكن الاستمرار طويلاً في الكتابة عن تلك المنظمات وفي كل مكان نرى ذات المؤشرات للاحتجاج المتطرف والرأي المسبق. لماذا يتمسك كل المدافعين عن حقوق الإنسان في العالم (وخصوصاً في روسيا) بوجهة نظر الولايات المتحدة. ولا يجب أن يدهشكم ذلك- إنهم يسمون أنفسهم "مدافعين عن الحقوق". وهم يدافعون عن حق أمريكا، والأدق حق النظام الاحتياطي الفيدرالي الذي ابتلع أمريكا، حق "الآلة الطابعة" في طباعة الدولارات دون توقف وفرض سيطرتها في العالم كله.

ولكن ألا تنتقد هذه المنظمات أمريكا؟ بالطبع تنتقد.

نشرت منظمة "العفو الدولية" تقريراً يدين أعمال الناتو ضد يوغسلافيا في العام الماضي بصفته يخالف معايير القانون الدولي. في عمليات مفردة ارتكب فيها جرائم حرب. حسب توكيدات معدي التقرير بعدم اهتمامه بحياة المدنيين في يوغسلافيا"[1].

إنهم يتحدثون عن الذي حدث خلال قصف يوغسلافيا الذي استمر 78 يوماً على مدار الساعة في عام 1999 طائرات القوات الجوية الأمريكية أي الناتو قصفت عدة مرات أرتال النازحين الألبان الذين جاؤوا لحمايتهم. على سبيل المثال، 14 نيسان 1999 حوالي الساعة 13:30 على طريق جاكوفيتسا - بريزرين بالقرب من قرى ماداناي ونيي تعرضت قافلة من النازحين المدنيين الألبان للقصف ثلاث مرات. قصفوها جيئة وذهاباً لمدة ساعتين. نساء وأطفال وكهول كانوا عائدين إلى بيوتهم في السيارات وعلى الجرارات وعربات الخيل. وليس في الحافلات هذا يعني أن الناس بالنسبة للطيارين كانوا كأنهم على راحة الكف ويصعب جداً الخلط بينهم وبين الجنود. كما يصعب الخلط والالتباس بين الجرار الزراعي والناقلة المصفحة، وبين عربة الخيل والدبابة. في منتصف يوم صحو ثلاث غارات، ساعتان من القصف. في النتيجة- جثث متفحمة...

---

[1] http://www.svoboda.org/archive/crisis/kosovo/0600/ll.060900-1.asp.

ألم يروا، ألم يلاحظوا الخطأ؟ كانت ردة فعل "المدافعين عن الحقوق" بأن الواقعة قد ثبتت. ضمت في التقرير، نشرت وهذا كل شيء.

قيادة الناتو. اعتذرت. انتهى. استوفى الحادث حقوقه والآن كل شيء على ما يرام: كان ذلك مجرد خطأ. والمخطئون اعتذروا لعدم الكتابة؟

روى رئيس يوغسلافيا سلوبودان ميلوشيفيتش أثناء محاكمته في لاهاي، حول هذه الجرائم أموراً فظيعة. كلامه مهم جداً وبشكل خاص. لأن رئيس البلد الممزق إلى أشلاء لم يخرج حياً من السجون الأوروبية غير المنحازة سياسياً[1].

"لقد أطلقوا عليهم النار لأنهم عادوا إلى قريتهم. رغم إرادة المعتدي، الذي أشاع عبر وسائل الإعلام كذبة هروب الألبان من الجيش والبوليس الصربيين. كان على الجميع مغادرة القرى. ولم يجرؤ أحد على العودة، أثناء العدوان كانوا يلقون إضافة إلى القنابل قصاصات ورقية تدعو الأهالي إلى النزوح. بالأسلوب ذاته عمل جيش تحرير كوسوفو الإرهابي- الذي كان يقتل أرباب الأسر الذين لم يصغوا لدعوات الهروب من منازلهم وقراهم. كان الإرهابيون يطالبون الأهالي بالنزوح. هذا دليل آخر على المؤامرة بين قوات الناتو وهذا التنظيم الإرهابي الذي استخدم لزعزعة يوغسلافيا".

لا بد من حجة للتدخل، إذا لم يكن الألبان يهربون، يعني لا وجود "لكارثة إنسانية" ولا يمكن إدخال قوات إلى أراضي دولة مستقلة.

لنقرأ اقتباساً آخر من مرافعة سلوبودان ميلوشيفيتش.

"وفي 13 أيار 1999 بعد شهر تماماً من العدوان السابق- تدمير قافلة من النازحين الألبان- ارتكبت مرة أخرى جريمة جماعية. أثناء قصف قافلة النازحين الألبان سجلت مكالمة طيار مع مركز قيادته. وقد بثها التلفزيون الروسي- الطيار يخبر أن هذه ليست قافلة عسكرية وأنه يرى جرارات، يرى فلاحين، يرى سكاناً

1- بدأت المحاكمة 12 شباط 2002 في "آذار 2006 وجد ميلوشيفيتش ميتاً في زنزانة سجن محكمة لاهاي. سبب الموت المعلن رسمياً احتشاء العضلة القلبية. لقد قتل بالسم على الأرجح لأنهم لم يتمكنوا خلال 4 سنوات من إدانته وإنهاء المحاكمة. عدا عن كل ما سواه، ميلوشيفيتش - رئيس دولة مستقلة لم تخسر الحرب شكلياً يحاكم خارج دولته. ماذا يبقى لديهم إذ لا يمكنهم إطلاق سراحه ولم ينجحوا في إدانته.

مدنيين ولكنه يتلقى جواب قيادته- نفذ الأمر! ويوجه ضربة صاروخية إلى القافلة... التي كان فيها 500-600 شخص عائدين إلى منازلهم في قرية كوريشا. هكذا إذن، بعد شهرين من الحرب كانوا ما يزالون يعودون إلى منازلهم، رغم أنكم تؤكدون أن "القوات الصربية" تطردهم. ولكن الناتو قصفهم لأنهم عادوا. قتل أثناء ذلك خمسون شخصاً ومات كثيرون بعد القصف متأثرين بجراحهم هذا مثال ماثل للعيان مثال فظيع من معاناة البشر باسم مخطط. عمل وفقه المعتدي. لكي يبرر جرائمه المقترفة في يوغسلافيا. أرجوكم أن تظهروا صور هذه الجريمة ضد النازحين الألبان في 13 أيار 1999. الأجساد المتفحمة رفاة الضحايا، الجرارات المتدهورة انظروا إلى الطفل القتيل. إنه واحد من ستة وعشرين طفلاً. قتلوا في هذا القصف.! لا يمكن تصور رسالة أكثر إرعاباً... إلى النائب العام، أظن أن هذا ممل. أرى أنه يتثاءب... يستحيل إرسال رسالة أفظع للألبان العائدين إلى قراهم، أنه ممنوع عليهم أن يعودوا. من يعود يتعرض للنار. سيدفع رأسه ثمن عدم امتثاله. يجب عليهم أن يرحلوا عن كوسوفو، عليهم أن يسوغوا التأكيد بأن الكل يهربون من "القوات الصربية"[1].

هل سمعتم عن اتهامات ضد الطيار الذي قصف هؤلاء التعساء؟ ضد القادة الذين أصدروا الأمر الإجرامي؟ هل رأيتم في التلفزة وجوه "المدافعين عن الحقوق" وقد شوهها الغضب النبيل وهم يلحون في طلب العدالة؟

"محكمة لاهاي الدولية لجرائم الحرب في يوغسلافيا السابقة أجرت أيضاً تحقيقات خاصة لأفعال الناتو. لم يجد محققو المحكمة في هذه التحقيقات مقومات الجريمة"[2].

لم يحدث شيء. لم يدينوا أحداً في هذه "المحكمة السياسية" لا يدينون العدو بل يدينون ممثلي الجهة المهزومة. لا يدينون المنتصرين والغرب- هو المنتصر.

1- لاهاي 13 شباط 2002.

http:// www.snd-su.ru/cgi-bin/rg.pl?pararm=div2&page=4&type=1274&what=1001.

[2] http://www.svoboda.org/archive/crisis/kosovo/0600/ll.060900-1.asp.

"وصف اللورد روبرتسون، الأمين العام لحلف الناتو اتهامات "العفو الدولية" بأنها تفتقر إلى الدليل، وقال أن حلف شمال الأطلسي كان في قصفه يوغسلافيا ملتزماً بإطار القانون الدولي، بما فيها قوانين شن العمليات القتالية. ومع ذلك استند قرار مدعي عام محكمة لاهاي القريب العهد كارل ديل بونتي عدم رفع قضية ضد الناتو"[1].

نحن أطلقنا إشارة التحذير، ولا يعنينا شيء آخر. لقد قصف الناتو دولة مستقلة دون تفويض من الأمم المتحدة، مخالفاً بذلك المعايير الدولية. أما ممثل "هيومن رايتس ووتش" خلال مؤتمر صحفي كان موضوعياً للغاية: "منظمة العفو الدولية" لا تصنع موضع الشك ولا تدين القيام بالعملية كلياً، كما لا تدين القرار بتوجيه ضربات جوية ضد يوغسلافيا. بل يبحث في حالات مفردة لمخالفة القانون الدولي"[2].

لا نشك بحقكم في القتل. ولكن أن تفعلوا ذلك بشكل إنساني.

يكتبون عن سجن غوانتانامو. حيث يحبس الناس منذ 7 سنين دون محاكمة. ليس المهم إثارة المشكلة فحسب، وإنما إعطاء تقييم لها واستخلاص النتائج ليس للموقوفين وضع أسرى الحرب لا تسري عليهم اتفاقية جنيف لعام 1949. يعذبونهم ليس للمختطفين والمنقولين إلى كوبا[3] أي توصيف قانوني حتى الآن لم يحدد لهم توصيف حتى الآن. يحدث هذا في أمريكا أي في "قلعة الديمقراطية". جريمة واضحة المعالم. ولا يقترح المدافعون عن الحقوق فرض حظر ضد أمريكا للمخالفة الفجة لحقوق الإنسان، ولا يطلبون إدخال دعاة السلام إلى غوانتانامو وتكساس. ما يعتبر في روسيا وفنزويلا جريمة مخيفة، في أمريكا سيكون خطأ. والإمبراطورية تبقى إمبراطورية الخير.

بالمقابل كم من الحماس والأحاديث عن أن باراك أوباما أمر بإغلاق سجن غوانتانامو. ولكن ماذا يغير؟ الناس مسجونون سبع سنين ويعذبون. والآن يحتمل أن

---

[1] المرجع ذاته.

[2] http://www.svoboda.org/archive/crisis/kosoro/0600//ll.060900-1.asp.

[3] تقع القاعدة الأمريكية غوانتانامو في الأراضي الكوبية. استؤجرت قبل استلام كاسترو للسلطة- الاتفاق قيد التطبيق والالتزام. والقاعدة تعمل.

يغلق السجن وهذا كل شيء ولن يدينوا المذنبين بالخروج على القانون. ولكن تعالوا نكن مبدئيين ولا نستخدم معايير مزدوجة للتاريخ والسياسة. طالما ينهي إغلاق سجون غوانتانامو الذنب أمام كل الذين عانوا من دون ذنب. عندئذٍ تصبح إعادة الاعتبار لخروشوف وكأنها تنهي ذنب القيادة السوفيتية في الاضطهاد غير المبرر لسلفه. ألم تنظروا إلى المشكلة من هذه الزاوية؟

هل يطالب أحد من المدافعين عن الحقوق بمحاكمة جورج بوش؟ فهناك الكثير من الحقائق المعروفة للجميع تصلح مادة للتحقيق القضائي مع الميستر بوش. مثلاً احتلال العراق الذي كان حجته التأكيد بأن صدام حسين يملك سلاح تدمير شامل ومستعد لاستخدامه ضد الغرب. دخلوا البلد ونبشوه نبشاً. فلم يجدوا أية أسلحة. حتى لم يتسن لهم أن يدخلوه معهم للحفاظ على ماء الوجه. لقد شنقوا صدام حسين، وما الذي سيحصل لبوش؟ سيتقاعد؟ على هذا لو أن هتلر قال أن في بولونيا في 1939 وفي روسيا 1941 توجد أسلحة نووية والسلافيون مستعدون لاستخدامه. لكان تصرفه صحيحاً إذا هاجمهما؟ التصرفان متشابهان. العواقب متشابهة - أما التقييمان فمتعاكسان تماماً. هذا الاختلاف في التقييم يسمى الدعاية (البروباغاندا).

قد يقول قائل: لا تروق لكم تقييمات هذه المنظمات، أتيحوا منظمتكم الخاصة وقيموا بأنفسكم، ناضلوا كما يحلو لكم! الاقتراح معقول: إلا أن هناك "لكن" واحدة: لن يعطيكم أحد في الغرب منبراً. الصحافة تابعة لهم. المقابلة الصحفية- معهم. تعلن تقاريرهم هم فقط. والإجابة على أسئلتهم هم وليس لكم فيها أي نفوذ. وفي المقاطع التلفزيونية سيكونون هم فقط. أما أنتم فناضلوا وناضلوا، أهلاً وسهلاً. فأنتم أحرار لديكم الحرية ولدينا الحرية أيضاً. الحرية في عدم إظهاركم أو النشر لكم.

لكي يسمعوكم في الشارع - تحتاجون لبوق أو مكبر صوت. في المجتمع المعاصر - وسائل الإعلام الجماهيرية - هي كلها تقريباً في الغرب حرة ومستقلة. لقد رأينا ثمن هذه الاستقلالية في آب 2008 كل القنوات بصوت واحد كانت تظهر صواريخ "غراد" الجورجية تطلق على سخينفالي وكانوا يقولون أن الروس يرمون

على غوري كل الصحافة الجدية شرحت وجهة نظر واحدة للأحداث. حيث هاجمت روسيا الكبرى جورجيا الصغيرة.

أيعقل أن يخطئ الجميع معاً؟ الاحتمال ضئيل. خصوصاً إذا كان الجميع أحرار في دراسة الوقائع، ومستقلين في الاستنتاجات ويمكنهم إظهار ما يعتقدونه ضرورياً. هل قالوا الحقيقة ولم يخطئوا؟ كلا، فلم يكن ينقضي شهران حتى صارت حقيقة "بدء" الجورجيين لتلك الحرب ومقتل الكثير من الأوسيتيين لا يجادل فيها أحد. ربما لم يكن لديهم معلومات غيرها؟ ببساطة لم يشاؤوا أن يمتلكوها. في تلك الأيام كان يخيل أن القنوات الروسية ووسائل الإعلام الغربية تروي عن حربين مختلفتين بهذا الشكل المذهل اختلف كل ما كانوا يقولونه من الشاشة. فلو كانت "CNN" و"Sky News" موجودة في 22 حزيران 1941 لكانتا بثتا نقلاً مباشراً من مكان الأحداث وأخبرتا المجتمع الكوني بأن القوات السوفيتية في الصباح الباكر تحت وابل من نيران المدفعية وهدير القاذفات اقتحمت حدود ألمانيا.

قد يتساءل أحدهم ألا توجد لديهم حرية الكلمة في الغرب، لأن الجميع يتحدث بالكذب ذاته؟

لا حرية كلمة هناك. وعموماً ولا في أي مكان. وأخاف أن أخيب أمل القارئ- يستحيل أن توجد بالمطلق. تتميز السياسة العالمية بالكثير من العلامات الفارقة الدقيقة وطريقها فائق التعرج، لا يمكن للسلطة في أي بلد أن تسمح بأن يقوم أحد ما، مهما كان الدافع نبيلاً، بعرض مقطع أو كتابة مقالة، تشطب مرة واحدة عشرات السنين من لعبة فائقة الدقة لدبلوماسييها وجواسيسها. لقد فهم الغرب قوة وسائل الإعلام قبل روسيا بكثير. ولذلك أمكن في بداية القرن العشرين للصحف أن تعبر عن وجهات نظر مختلفة، تشتم الاستبداد أم تثني عليه. أما "هناك" فقد كانوا دائماً يتحدثون عن وجهة نظر واحدة ذات خيارات قليلة العدد، كما في القصة حول الرجل العملاق "غوليفر": نكسر البيضة من الطرف المدبب أم من المفلطح. على هذا الموضوع تجري أكثر النقاشات حدة في الغرب، أفضل العقول تقدم حججها ودلائلها. لا يهدأ الجدل على صفحات الجرائد. أما السؤال الأهم - هل يجب أن نكسر البيضة أم لا؟ - لا يناقشه أحد.

قد نسمع في كثير من الأحيان، أن السلطة الروسية الحديثة وضعت كل وسائل الإعلام تحت الرقابة. هكذا تتصرف أي سلطة قوية. أفعال سلطاتنا تكرر في أدق التفاصيل ما فعله الغرب منذ أمد بعيد. هناك كل وسائل الإعلام منذ زمن طويل في أيدي أمينة، لذلك تقوم كآلة عند اللزوم بتقديم هراء فارغ أو كذب مفضوح. يسيطر مركز واحد على كل وسائل الإعلام الأساسية في الغرب ويوجهها. هذا ما يفسر عمى وصمم وسائل الإعلام الغربية إبان أحداث أوسيتيا الجنوبية. صدر الإيعاز- كيف يغطونها- وهكذا غطوها. كذبوا ببراعة وإتقان أظهروا ساكاشفيلي فقط، أما السياسيين الروس- فلا. ناهيك عن الأوسيتيين وفي تشرين الأول على قناة BBC بث ريبورتاج صحفي بريطاني استطاع بعد شهرين أن يصل إلى الحقيقة: جورجيا بدأت الحرب أولاً، قتل في أوسيتيا سكان مدنيون. أيعقل أن هذا يحتاج كل هذا الوقت؟ لا طبعاً، ولكن صدر إيعاز يفتح الحقيقة رويداً رويداً، وتغيير اللهجات قليلاً. إشارة تخفيف حدة الموقف من الأحداث الأوسيتية كانت محددة جداً. في أحاديث صحفية لمجلات أمريكية وأوروبية روى بوتين وميدفيديف عما حصل في الواقع في أوسيتيا الجنوبية. لا يمكن أن يخرج رئيس دولة أجنبية على إعلام دولة ما، ما لم يكن قد تم التوصل إلى اتفاق مسبق بالقنوات الديبلوماسية. وواضح تماماً أن الرئيس ورئيس الوزراء سوف يُسألان عن الأحداث في أوسيتيا. وبديهي أيضاً بماذا يجيبان. وبعد ظهورهما فقط بكلام الحقيقة في هواء وسائل الإعلام. فجأة كتب وصور اللقاءات الإعلامية أكثر نشطاء القلم "استقلالية" و"حرية".

لاحظ الغرب جرائم ساكاشفيلي ليس لأنه كان مخطئاً قبل ذلك بل لأن الهجوم الإعلامي المكثف لوسائل الإعلام الروسية قد أتى بثماره. لم يعد ممكناً نفي ما هو ماثل للعيان. وللفنان فاليري غيرغييف فضل كبير في ذلك، إذ قدم حفلة في سخينفالي المدمرة.

لماذا تخطئ وسائل الإعلام الغربية دائماً باتجاه واحد؟ هذا ليس خطأً بريئاً البتة. وإنما يعول على وجود المقاطع اللازمة في التلفزة والصور الصحيحة في الصحافة بأن تمنح الثقة لساكاشفيلي، كي يحسم المسألة الأوسيتية بسرعة

خاطفة. ولا يهم ما الـذي يحصـل للـبشر وكـم مـنهم يقتـل! إذا كـان عـلى شاشـات العـالم شيء مختلف كلياً. هناك يجب أن يكون ضحايا الانفصاليين الأوسيتيين، الذين يتحدثون عـن وحشـية مفتراة. هناك يجب أن تكون الدبابات الجورجيـة تنهـال عليهـا الزهـور. عجـائز تـبكي والمراسـل يقول أنها دموع الفرح بالتحرير، وليست دموع الحزن على الأقارب القتلى. لا وجود لأي حطـام أبنية ولا لأي جثث. قدوم الديمقراطية الظافر وذروته- تجمع لسـكان سـخينفالي مـع الرقصـات والأغاني (المصورة في أية مدينة جورجية أخـرى). رئـيس الجمهوريـة المتمـردة إدوارد كوكـويتي- مقيد اليدين تحت حراسة البوليس الجورجي. جوقة غناء حول صـور ميشـيكو الشـاب الحـازم. المجد له- جورجيا موحدة من جديد! كل شيء حسب الأصـول المعتمـدة: انـتصر الأخيـار انهـزم الأشرار. ولن يعرف أحد ما حصل في الواقع.

في آب 2008 عرف العالم الحقيقة. هب أنه ليس كـل العـالم عـرف كـل الحقيقـة ولـيس فوراً. نأمل أن هذه نهاية مأساة الشعب الأوسيتي. بدايـة المأسـاة نفسـها لا أحـد يعرفهـا حتـى عندنا. قد تكون قبل تفكك الاتحاد السوفيتي رسمياً، حتى قبل التمرد، شتاء وربيـع 1991 كـان الناس في سخينفالي يقتلون بالعشرات وبالمئات، أطلق زفياد جامسـاخورديا، الـذي أصـبح رئيسـاً لجورجيا أعداداً كبيرة من المجرمين من السجون. أصدر عفواً عنهم ومـنحهم فـوراً رتبـاً بوليسـية وفق مبدأ- الحكم الثقيل يوافق رتبة أعلى. اختار الأوغاد أغنـى البيـوت، دخلوهـا، وضـعوا كـل الأسرة من الكهول حتى الرضع فوق الساقية وذبحوهم جميعاً[1] من رقابهم بعد ذلـك يحملـون متاع البيت في السيارات ويأخذوه إلى جورجيا[2].

لماذا تذكرنا هذه اللوحات المرعبة؟ ليس فقط فيما يخص أحـداث آب 2008. في الاتحاد السوفيتي لم تعمل منظمات الدفاع عن الحقوق. لم يسمح لها بالـدخول. لذلك كان الدور الرئيس في تغطية الأحداث المدافعون السوفييت عـن الحقـوق "في شتاء وربيع 1991 في أوسيتيا الجنوبية والمناطق المجاورة عملت مجموعـة مـراقبين من مركـز "ميموريـال" للـدفاع عـن الحقـوق. إذا حكمنـا وفـق معلومـات موقعهـا

---

[1] قتلوا بوحشية حتى أطفال عمرهم سنة واحدة.- لكي لا يبقى من يأخذ بالثأر.

[2] يمكن قراءة تفاصيل مرعبة لتلك الأحداث في كتاب: ستوكالو سخينفالي في النار.

الرسمي- ديميتري ليونوف، الكسندر سوكولوف، الكسندر تشيركاسوف"[1]. كان صديقي الكاتب سيرغي ستوكالو في ذلك الوقت ضابطاً في الجيش. رأى بعينيه في سخينفالي جثثاً مقطوعة الرقاب وكانت كثيرة العدد. ولكن لتثبيت واقعة القتل من قبل مركز "ميموريال" للدفاع عن الحقوق، طلبوا شهادة الوفاة. هل هذا معقول؟ إنه ازدراء استفزازي. من قتل أولئك الأشخاص مجرمون بلباس البوليس الجورجي، والسلطات الجورجية ذاتها هي التي تصدر شهادة الوفاة. لم يتفكك الاتحاد السوفيتي بعد نيسان 1991 إلا أن شهادة الوفاة تعطى باللغة الجورجية فقط. وعليها العلم الذي قتل تحته المجرمون بلباس رسمي وبغيره سكان أوسيتيا المدنيين.

لم يذهب الأوسيتيون للحصول على الشهادة. أصدروا شهادات مؤقتة على ورقة عادية مختومة بخاتم رسمي. ولم تؤخذ هذه الشهادات بالحسبان كلام بسيط- لا توجد ورقة رسمية بشعار- يعني لم يقتل أحد. ذروة ذلك كانت حادثة، عندما جر ضابط مظلي أحد ممثلي "ميموريال" بالقوة، لشدة استيائه من الموقف، إلى فناء بيت ألقيت فيه جثث وحشره وجهاً لوجه مع الجثث. كان المظلي ضخماً فكسر عن غير قصد يد المدافع عن الحقوق. فاشتكى ذاك إلى القيادة- عوقب الضابط بجدية[2]. رغم أن المناضل من أجل الحقوق رأى القتلى، لم يتضمن تقرير "ميموريال" وقائع قتل وحشية، يمكنكم قراءة ذلك بأنفسكم والتأكد من ذلك: http://www.memo.ru/hotpoints/old90.htm. وبعد ذلك اطرحوا على أنفسكم سؤالاً لماذا؟ والأصح ما هي الغاية؟

إن الصحف والتلفزة سلاح رهيب ولا يمكن أن يكون خارج السيطرة. إذا لم تضع قفلاً على مستودع البنادق، فغداً يستعملها شخص آخر. إن لم تطعم جيشك فسوف تطعم جيشاً آخر. قال نابليون. هذا هو حال وسائل الإعلام: إذا لم تهتموا بها، لم تطعموا الصحفيين وتوجهوا أعمالهم - سيفعل ذلك بكل سرور خصومكم ويوجهونها إلى الجهة التي يريدونها ناهيك عن أن الغرب حاذق للغاية في هذا الميدان.

---

[1] http://www.memo.ru/hr/hotpoints/osetia/old90. htm.

[2] لم يعرف من الذي كسرت يده من المراقبين الثلاثة. تحادث سيرغي ستوكالو شخصياً مع الضابط - المظلي ووصف هذا المشهد في كتابه: سخينفالي في النار.

((ليست الأمور كما تبدو من النظرة الأولى، تملك جنرال إلكتريك المجمع الإعلامـي: "إن. بي. سي"، ويسـني، إي بي سي، فيـاكوم، سي بي إس، أمـا "سي ن ن" فتـدخل في مجمـع "أول تـايم وورتر" الضخم. غالبية صحفنا ومجلاتنا وإصدارتنا تعود لشركات عالمية عملاقة))[1].

هذا الاقتبـاس يعـود إلى جـون بيركيـنس، الـذي كتـب كتابـاً رائعـاً حـول العمـل السري للشركات الأمريكية، التي سعت لإعطاء الدول المستقلة أكثر مـا يمكـن مـن القـروض. يعطونهـا بحيث تعجز عن الدفع. عندئذٍ تجد الدولة نفسها غارقة في الدين وتابعة للـدائن. مـاذا تعطـي أمريكا كدين؟ ورقاً، أصفاراً كومبيوترية. إنها لا تساوي شيئاً بالنسبة للأمريكـان. مـاذا يجـب أن تعطي البلدان التي أخـذت الـدولارات كقـروض؟ خامـات، التصـويت في الأمـم المتحـدة، أراضي لتوضع القواعد استقلالها وروحها. في آب 2008 أعطت أمريكا قرضاً لجورجيا. يبـدو ذلـك عمـلاً نبيلاً: دولة كبرى تساعد دولة صغيرة منهكة. في واقـع الحـال لـن تـتمكن جورجيـا مـن تسـديد القرض فتغوص أعمق في شبكة العنكبوت الأمريكية. سيستمر شباب جورجيا بالموت في العـراق وغيره من المناطق الملتهبة في صراع مع عدو لا وجود له، هـو الإرهـاب الـدولي. متـى احتاجـت أمريكا سوف تهرق الدماء مجدداً في القفقاس.

كل القنوات التلفزيونية الكبرى والصحف ومحطـات الإذاعـة اشـتراها المصرفيـون ومنـذ زمن طويل تنفذ رغباتهم. طبعاً المصرفيون - مالكو الاحتياطي الفيـدرالي للسـيطرة عـلى الحقـل الإعلامي لا يحتاجون لكل القنوات الإعلامية، تكفـي الأساسـية التـي تشـكل الأرضـية الإعلاميـة. مهمة وسائل الإعلام - تشكيل الرأي العـام. ويقـوم الصـحفيون بـذلك بعضـهم مـن أجـل المـال وبعضهم من منطلقات عقائدية، فكرية.

أكثر الأمثلة وضوحاً على الاحتكار المتقن لوعي الجمهور تتميز إذاعة "ايخـو موسكفي" ("صدى موسكو"). إيديولوجيا هذه المحطة لا تختلف عن إيـديولوجيا "العفو" أو "حقوق الإنسان": الغرب دائماً على حق. مع هـذه الصلصـة تقـدم كـل

---

[1] بيركينس واعترافات قاتل اقتصادي: M:Pretext. 2005.

الأنباء. وتحت هذا الهدف تقدم كل البرامج. وهـاكم مثـالاً صـارخاً. توجـد لـدينا حركـة تسـمى "ناشي" ("معنا"). غايتها- تربية الشبيبة تربية وطنية. قضية هامـة وضرورية وللأسـف جديـدة. كل ما تم إنجازه في هذا الاتجاه في الاتحاد السوفيتي نسي واستبعد. بدأت مـن صـفحة بيضـاء- من هنا تأتي الارتباكات والانعطافات. ولكن في العموم التوجه صحيح.

كيف تسمى "ايخو موسكفي" حركة "ناشي"؟

تسميها "ناشيستي" من كلمة فاشيستي.

إنهم يؤثرون في نظرتنا ببراعة. يمكـن القـول: أعضـاء حركـة "نـاشي" أو "معنـا" ببسـاطة. فالخيـارات كثـيرة واللغـة الروسـية غنيـة. أمـا الصـحفيون المتعلمـون التقـدميون فيقولـون "ناشيستي". يبدو أنهم لم يقولوا شيئاً رديئاً، ولكن الأثر بقي. ظهرت السلبية: كلمـة "ناشيسـتي" شبيهة بكلمة "فاشيستي" وهذا يثير الامتعاض لدى أي مواطن روسي عادي. بينما لـيس للحركـة أية صلة بالفاشية. لا يضربون الغرباء ولا يقتلونهم، لا يعلقون الصليب المعقـوف عـلى بيـوتهم، ولا يصرخون "هايل هتلر". لماذا إذن "ناشيستي" بالذات؟ لأن هذا مثال صارخ لتقنية الاحتكـار. استخدام الكلمة يصبغ الحركة الشبابية بصبغة سلبية للغاية- إنه ليس مجرد مصـادفة أو سـعياً وراء الكلمات البراقة إنه احتكار واع لمشاعركم ورأيكم.

إليكم مثالاً معاكساً. هل سيغضب صحفيو "ايخو موسكفي" لـو أن إحـدى الصـحف أو إحدى القنوات التلفزيونية بدأت تتفهم بشكل دائم "ايخوإساسيون" ("الوحـدة الوقائيـة SS")؟ [1] أينما وجدت إيخوموسـكفي وجـدت إيخوإساسـيون!. كيـف كانـت ردة فعلهـم لـو حصـل؟ مفهوم أنهم سيغضبون أشد الغضب. بينما هـم يسـتخدمون ذات اللعبـة لتشـكيل وجهـة نظـر معينة لدينا. يستخدمونها يوماً بعد يوم وبشكل مبدع جداً.

كونوا حذرين ومنتبهين. فالحرب الإعلامية لا تهدأ دقيقة واحدة وهي تُحـترم، بالمناسـبة، في رأسكم. اجتهدوا لتفهموا وتروا ولا تسـمحوا باحتكـاركم، مهـما بـدا هـؤلاء المحتكـرون نـبلاء المظهر ومهذبين. انظروا إلى الجذر كما كان...

---

[1] نسبة إلى SS وهي منظمة تابعة للحزب النازي، وكانت مهمتها بداية تأمين الحماية الشخصية لأدولف هتلر. أصبحت في سنة 1939 وحدة شبه عسكرية تقوم بمهام أمنية فاشية.

يعيش "المدافعون عن الحقوق" معنا نحن السكان العاديون لروسيا، وكأننا في عالمين متوازيين. كل شيء عند هؤلاء "السادة" مختلف: القيم، العقيدة، فهم الواقع. للشعب أبطاله، لديهم- أبطال مغايرون. نتائج المشروع "اسم روسيا" - يؤكد أشد التوكيد على ما ذكر. ((نهايات المشروع "اسم روسيا" لا يمكن تسميتها بغير المريحة. إنها مرعبة))[1]. - تكتب بوق "المناضلين من أجل الحرية" "الصحيفة المستقلة".

ما الذي اهتز؟ من اختار شعب روسيا؟

المكان الأول: الكساندر نيفسكي.

المكان الثاني: بيتر ستوليبين.

المكان الثالث: يوسف ستالين.

من وجهة نظري هذه نتيجة طبيعية تماماً. ثلاثة مسؤولي دولة، فكيف يعتقد ليبراليونا؟

"لا بوشكين. ولا منديلييف. أريد أن أكرر مرة أخرى: لا بوشكين ولا منديلييف. أو إذا محصنا جيداً. لا شيء إيجابي. لا شيء ولا أحد. من عمل لروسيا، من أجل روسيا لمجد روسيا".

إن بوشكين ومنديلييف - فخر بلادنا. ولكن عندما يلزم اختيار اسم واحد- يختار شعبنا من استطاع أن ينقذ البلاد من الموت في اللحظة الصعبة. فقد أنقذنا الكساندر نيفسكي من استبعاد الصليب الجرماني ومن تدمير الصليبيين. ستوليبين أوقف ثورة وبدأ إصلاحاً يتلافى ثورة ثانية، ولم يعقه من إكمال ما بدأ به إلا مقتله على يد قاتل. ستالين أنقذ البلاد من النازية. شخصيته معقدة جداً ومثيرة للجدل، إلا أن حقيقة النصر العظيم غير قابلة للجدل.

والشعب يذكر - يذكر الأمير المقدس، يذكر رئيس الوزراء المقتول، يذكر الأمين العام الصارم. أما بالنسبة "للمدافعين عن الحقوق" هذا كله صوت فارغ - "لا شيء ولا أحد، من عمل لروسيا، من أجل روسيا، لمجد روسيا". تقديم الصحيفة للمعلومات متميز للغاية، لا يلاحظ الصحفي الليبرالي وهو يصف نتائج

---

[1] http://www.ng.ru/politics/2008-12-29/2-rusname.html.

مسابقة "اسم روسيا". يقول الحقيقة غير كاملة. القضية تكمن في وجود بوشكين ومينديلييف في الأماكن الاثني عشر الأولى، اللذين حزنت الصحيفة الليبرالية لغيابهما. وهناك دستويفسكي أيضاً[1].

مرة أخرى كان الشعب مخطئاً برأي ليبراليينا، وزعموا أن ذلك حدث أكثر من مرة في تاريخنا. يحالف سوء الطالع بشكل مزمن المناضلين الروس من أجل الحرية في علاقتهم مع الشعب. فالشعب خيب آمالهم دائماً. في البداية، لم يطع المواطنون الروس البسطاء غيرتسين. ثم سلموا متطوعي الشعب والمثقفين للبوليس. ثم حطموا رؤوس المقاتلين في 1905، بعد 1917 أثاروا غضب لينين. قاموا بتمردات متتالية للفلاحين. ثم لم يريدوا أن يذهبوا إلى الكولخوزات. بعد انهيار الاتحاد السوفييتي كذلك خيب الشعب آمال الإصلاحيين الصغار. في النهاية في كل الانتخابات البرلمانية لم يصوت هذا الشعب "الغبي" و"الجاهل" لصالح "يابلوكو" و"إس بي إس" التقدميين الرائعين. مرة أخرى في الانتخابات الرئاسية والبرلمانية لم يختاروا الشخص المناسب. كل شيء يبدو على ما يرام. ولكن لم يحالفنا الحظ مع الشعب.

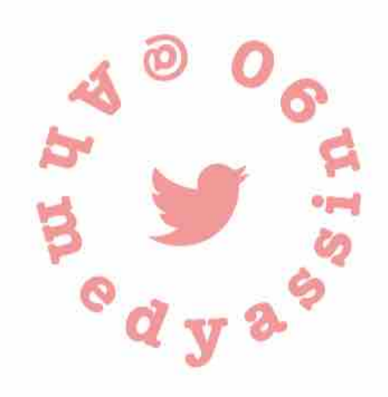
لا يجوز أن نزيد الأوهام. حرية الكلمة، حقوق الإنسان، الإعلام الحر- إنها أسلحة في صراع خفي، يجري باستمرار من أجل الهيمنة على العالم. ولعالمنا بنية مالية. سواء كان ذلك جيداً أم رديئاً - لكن الأمر على هذا النحو. المهم اليوم - النقود. يقاس بها كل شيء: قوة الدولة، صحة الإيديولوجيا، درجة النجاح وأهمية البشر والقارات.

النظام الاحتياطي الفيدرالي. "الآلة الطابعة" سابقاً شنت الحروب من أجل امتلاك الأراضي والموارد. المهم الآن - من سيطبع النقود. وكل ما سواها يمكن شراؤه ببساطة: صحفيون، ثروات باطنية، نشطاء سياسيون، الأراضي. في البداية يمكن شراء ما يباع. وبعد ذلك محاولة شراء ما يقاوم.

حان الآن وقت الحديث عن الأزمة الحالية.

---

[1] دخل في مجموعة الاثني عشر شخصاً من التاريخ الروسي عدا من ذكرنا أعلاه: بطرس الأول، كاترين الثانية، ألكساندر الثاني، إيفان غروزني، لينين، سوفوروف (مجلة كونسرفاتور 2009، 10 شباط، العدد 13).


@Ahmedyassin90

الفصل الثامن

كيف تصنع الأزمة

لا توجد وسيلة أدق وأوثق لتدمير قاعدة المجتمع الموجودة، من الطباعة الزائدة للنقود. إنها تقلب قوانين الاقتصاد باتجاه التخريب. وهذا يجري بشكل غير ملحوظ بحيث لا يلحظه واحد من مليون.

جون ميناردكيس

من سيحرس الحراس؟

بوفينال

تمتلئ الصحف والمجلات بأفكار حول أسباب الأزمة الراهنة أصبح التذكير بسوق الأسهم الأمريكية حملة رائجة، بصفتها المذنب الرئيس في الأزمة. إصدارات أكثر "تقدماً" تكتب برغبة عن سك غير مراقب للدولار غير المغطى بشيء. هذا هو بالذات، حسب رأي المحللين ومنظري السياسة، السبب الرئيس لكل المصائب الحاصلة. فهل هذا صحيح؟

في الوقت ذاته نعم ولا. الدولار وإصداره هما جوهر الانهيار الاقتصادي. إلا أن الدولار ليس سبباً. إنه - نتيجة - السبب الحقيقي هو "النظام الاحتياطي الفيدرالي". لا تطبع الأوراق الخضراء وعليها صور رؤساء أمريكا بنفسها. فهناك من يقرر كم ومتى تصدر أهم النقود في كوكبنا. وقد طبع هؤلاء السادة الطيبون ما يفوق كل حد، فوضعوا بذلك اقتصادات كل دول العالم بوضع صعب.

الكلمة الشائعة "العجز" - صاحب للاقتصاد المعاصر لا يفارقه، كادت تصبح فرداً من كل عائلة - يتبين لم تكن موجودة على الدوام، لم يكن في الأزمنة الطيبة القديمة عجز لقد ظهر العجز عندما اتخذ النظام الاقتصادي شكله المعروف اليوم - أي عندما أصبحت النقود تطبع دون تغطية.

في فترة ما بين القرن الثامن عشر حتى الحرب العالمية الأولى لم يتغير مستوى الأسعار في أمريكا وغالبية بلدان أوروبا عملياً. من 1870 إلى 1913 ارتفعت كلفة الحياة بنسبة 0.2% في العالم[1]. هكذا كان الحال عندما حددت الأسعار بالنقود الذهبية أو الفضية. بقي ثمن البقرة والحصان ثابتاً لمئتي عام وهو كمية محددة من المعدن الثمين سك على شكل نقد نقشت عليه صور ملوك أوروبا. ليس صدفة، عندما نقرأ الأدب الروسي الكلاسيكي، يمكننا أن نعرف قيمة مذهلة لأشياء مثل، وجبة غداء، قدح فودكا، أجر الشقة في موسكو قبل الثورة أو بيتروغراد؛ إنها قروش في أكثر الأحوال روبلات. وما يتذكره معظم سكان الاتحاد السوفييتي السابق بحسرة وحنين من الأسعار السوفيتية كانت مرتفعة جداً بالمقارنة مع الأسعار القيصرية. في ثمانينيات القرن العشرين كان سعر البوظة 20 قرشاً، ويمكن شراء علبة أعواد ثقاب بقرش واحد. في روسيا القيصرية كانت الوجبة المشبعة بقرش واحد. أين اختفى كل ذلك؟

إذا تحدثنا بلغة الاقتصاد، ازدادت الكتلة النقدية ازدادت كثيراً، وفي العالم كله. في روسيا لسبب ما بدأت بالانتفاخ في سنوات البيريسترويكا بالذات، عندما أسرعت الأسعار، التي ظلت ثابتة عقوداً، وسبقت الأجور. في كل مرة ترتفع الأسعار إلى مستوى جديد رافق ذلك، والأصح سبق ذلك، كارثة ما. سقطت روسيا القيصرية - أصبح القرش (الكوبيك) خارج العصر سقط الاتحاد السوفييتي - أصبح الروبل خارج العصر فاليوم لا يمكن أن تشتري بالروبل الواحد شيئاً.[2]

نرى ظاهرة مشابهة في كوكبنا في كل مكان. وفي كل مكان حد الارتفاع الحاد للأسعار، حد ظهور العجز... الحرب العالمية الأولى، هل يمكن أن تكون العمليات الحربية تسببت بالعجز؟ كلا حتى في السابق في حروب القرنين الثامن عشر والتاسع عشر شغلت حكومات مختلف البلدان آلات الطبع وبدأت بإصدار أوراق نقدية غير مغطاة بالذهب[3]. عندئذٍ ارتفعت الأسعار بشدة على سبيل

---

1 غرينسبين. أ. عصر الاضطرابات.

2 إن كنا قد نسينا، لم يكن في الاتحاد السوفييتي عملياً أي عجز. كانت الأسعار تتغير فقط على الكماليات. لذلك كان الجميع يدخرون بهدوء النقود في صناديق الادخار.

3 بالطبع هذه الإمكانية ظهرت مع ظهور العملة الورقية في التداول إلى جانب الذهبية والفضية.

المثال في أمريكا إبان حرب الاستقلال طبعوا أوراقاً نقدية أعطت الأمريكيين مثلاً سائراً "لا تساوي كونتينينتال"[1]. إلا أنه فوراً بعد انتهاء كل حرب. حيث انخفض سعر صرف العملة الصعبة. وأصبحت النقود نقوداً من جديد، وعادت الأسعار إلى حدودها الأولى.

لماذا لم يحدث ذلك بعد الحرب العالمية الأولى؟ الأسعار التي ارتفعت بشدة إبان العمليات الحربية، انخفضت بشدة بعد انتهاء الحرب، ولكن الأسعار لم تنخفض إلى مستوى ما قبل الحرب. لأن مطابع النقود كانت توقف بعد كل حرب، أما بعد هذه فبالعكس أطلق نظام الاحتياطي الفيدرالي المنتصر مطبعة النقود بكامل استطاعتها. وسنرى لوحة شبيهة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أيضاً، بنهايتها انخفض العجز في أمريكا، لكن الأسعار لم تنخفض إلى مستوى عام 1939.[2] بعد أن أصبح الدولار عملة احتياطية عالمية بالفعل، أخذوا يطبعونه دون توقف. هذا بالذات ما كان يسعى إليه المصرفيون. منظمو النظام الاحتياطي الفيدرالي.

وكما قال غورباتشوف الذي لا يُنسى "انطلقت العملية". في عام 1913 عندما أنشئت منظومة الاحتياطي الفيدرالي كانت الكتلة النقدية للفرد في أمريكا حوالي 148 دولار. في عام 1978 بلغت 3691 دولار. انخفضت قيمة الدولار لتصبح 12 سنتاً تقريباً. في 2006 الأسعار الاستهلاكية كانت 15 ضعفاً من أسعار 1939.[3]

وهكذا، على مدى مئات السنين - الأسعار ثابتة. لا عجز. بالمقابل منذ إنشاء الاحتياطي الفيدرالي كل العقود التالية. لم يختف العجز الذي يولد بالعكس تزايدت جديته مع الزمن وأصبح يهدد أحياناً حتى وجود دول بحالها. لا نتحدث عن الاتحاد السوفيتي. في 1971 وضع الرئيس الأمريكي نيكسون رقابة حكومية على الأجور والأسعار![4] لا يحبون تذكر ذلك الآن. ولكن حينذاك كان الاقتصاد الأمريكي بحالة مزرية. لاضطرارهم اتخاذ إجراءات "اشتراكية" تماماً.

---

[1] غرينسبين أ. عصر الاضطرابات. موسكو البينا بيزنس بوكس، 2008، ص.454.

[2] المرجع ذاته، ص.455.

[3] المرجع ذاته، ص.456.

[4] المرجع ذاته، ص.25.

لماذا ظهر العجز وتنامى فقط بعد ظهور الاحتياطي الفيدرالي إلى النور في أمريكا؟ لأن الدولار أصبح بسرعة عملة عالمية، والمشاكل الداخلية للاقتصاد الأمريكي، سوياً مع الدولار وعجزه أصبحت تطالنا جميعاً.

العجز - هو ارتفاع الأسعار. بامتلاك سلطة كاملة يمكن زيادة الأسعار أو تخفيضها. هكذا كانوا يفعلون في الاتحاد السوفييتي يعيدون كتابة لائحة الأسعار ببساطة، فالخير ما يزال ملكاً للدولة. في أمريكا لا تملك الدولة الكثير. إلا أنه حتى في ظروف الرأسمالية المتطورة يمكن توجيه منحنى الأسعار إلى الجهة المناسبة.

"لرفع الأسعار- كل ما يحتاجه الاحتياطي الفيدرالي - تخفيض سعر الفائدة ويجري نتيجة ذلك سيل من أموال القروض ليصب في الاقتصاد وترتفع سوق الأسهم. بعد ذلك، عندما يعتاد رجال الأعمال على الظروف الحالية. يستطيع الاحتياطي الفيدرالي قطع ازدهارهم الظاهري برفع مفاجئ لسعر الفائدة <...> بواسطة سياسة سعر الفائدة يمكنه أن يؤرجح السوق إلى الأمام والخلف أو إثارة تغيرات حادة في الاقتصاد بواسطة الرفع الحاد للفارق بسعر الفائدة. في كل الأحوال يمتلك الاحتياطي الفيدرالي المعلومات الداخلية عن التغيرات القادمة للسياسة المالية، ويعرف مسبقاً بالتغيرات سواء كانت لجهة التحسن أو تراجع الحالة المالية"[1]- قال عن أفعال هذه المنظمة عضو الكونغرس تشارلز ليندبرغ الذي كان في زمنه خصماً عنيداً لإنشائها.

في كتابه "الكماشة الاقتصادية" الذي نشر منذ 1921، يذكر ثلاثة مبادئ يصنع الاحتياطي الفيدرالي وفقها الأزمات الاقتصادية. هذه المبادئ شاملة وتستحق منا أن نكررها:

1- زيادة الكتلة النقدية بكل الطرق الممكنة (أكثر يعني أحسن)؛

2- إنشاء فورة إقراض، تحفيز السكان والأعمال لأخذ القروض (أكثر يعني أحسن)؛

3- خفض حاد في الكتلة النقدية والمطالبة باسترداد الديون.

---

1 -http://www.forexpf.ru/_newses_/newsid.php?news=321946.

حتى أقل الناس شكاً يستطيع أن يجد هـذه "العلامـات الفارقـة" وسـط تـوالي الأحـداث السابقة لأزمة 2008-2009. لنتذكر أزمة الأسهم في أمريكا. لكي تحصل، في البداية يجب أن تبـدأ فورة أسهم التمويل. أن ترتفع أسعار العقارات بشدة، لإنشاء الفورة، بما يشـبه الأخـذ بنصـيحة المبغض، خفض الاحتياطي الفيدرالي نسبة الفائدة: من 6% في عـام 2001 حتـى 1% نهايـة عـام 2003. يوجد في الاقتصاد نقود كثـيرة: الموكلـون القـانونيون يقبلـون عـلى إقراضـها. ولم يتخلـف عنهم الأفراد المسـتقلون. في 2005 وحـده اقـترض الأمريكـان 750 مليـار دولار[1]. بوجـود نقـود رخيصة تبدأ في البلاد فورة استهلاك. لا يشترون الملابس والطعام فحسب، بل وكـذلك العقـارات والأسهم. سهلت النقود الرخيصة الارتفاع المتواصل في سـوق الأسـهم. حيـث ارتفعـت المـؤشرات من 2003 إلى 2007 أكثر من 60%. اللعب في البورصة وبيع وشراء المنازل أصبح إلى جانـب كـرة القدم والبايسـبول رياضـة قوميـة للأمـريكيين. سـكان الولايـات المتحـدة، كـما في 1930 يقعـون بسهولة في فخ جنـي نقـود سـهلة في المسـتقبل. المـؤشرات وأسـعار الأسـهم تحطـم كـل الأرقـام القياسية، وتتجاوز باستمرار مستويات جديدة. كلما ارتفعـت قيمـة هـذه الفعاليـات الوهميـة، كانت تقارير الشركات المالية أفضل. وكذلك البنوك والأرصدة المساهمة. يتزايـد إغـراء الاسـتثمار في السندات المالية لهذه الشركات والبنوك والأرصدة في أعين الأمريكيين (وليس فقط الأمريكان). تتوسع لعبة القمار في البورصة لتشمل كل مكان. ولكن مركزها في أمريكا طبعاً. سوياً مع ارتفـاع قيمة فعاليات مختلف الشركات يرتفع دخل المواطنين العاديين. لا أحد يخمن أن هذه الرفاهيـة - وهمية.

يشتري الناس الأسهم بصفة "معاش" "لليوم الأسود". في واقع الحال تصـبح لـديهم أوراق مالية قد لا تتجاوز قيمتها عند التقاعد قيمة الورق الذي طبعـت عليـه[2]. ولكـن مـن سيوضـح لهم ذلك؟ لا أحد يفكر بالسيئ، الجميع يفكر بالجيد- الاقتصاد ينمو يوماً عن يوم. إلا أن اليـوم الأسود جاء أبكر مما يمكن توقعه بكثير.

---

[1] www.izvestia.ru/economic/article3121417.

[2] "الفقر" المفاجئ لنخبتنا للسبب ذاته. لا يملكون نقوداً. لديهم رزمة أسهم لشركـتهم، انخفـض سـعر الأسـهم- جفت حافظات نقود النخبة (الأوليغارشية) بمقدار مليارات.

يأتي الإقراض إلى روسيا مع بعض التأخير، لكنه بدا أنه بجدية ولفترة طويلة. هيا نتذكر ماضينا القريب. ولنفكر ملياً بما قاله الأخصائيون والمحللون.

"بعد عامين - ثلاثة أعوام ستبدأ في روسيا فورة الإقراض الاستهلاكي، هكذا يعتقدون في شركة أرنست إن يونغ (E&Y). وفق تقييم محلليها، حتى 20-30% من السيارات والأجهزة المنزلية سوف يشتريها الروس بقروض. وسوف تقرضهم البنوك لهذه الغايات حتى 2 مليار دولار. بهذا المقدار سيصبح الطلب على القروض من أجل شراء الأسهم بعد الهبوط الحتمي لنسب الفائدة حتى مستوى أقل من 10% سنوياً في العملة الصعبة، هذا ما يعتقدونه في "E&Y"[1]. هذا في 2003.

"تخفف البنوك شروط الحصول على القروض. بدأ في روسيا ما يسمى "فورة" الإقراض الاستهلاكي"[2]. هذا في 2004.

"حسب رأي المحللين، يقع الطلب الأكثر عند السكان على القروض الاستهلاكية. في العام الماضي ازداد حجم القروض الاستهلاكي بمقدار 95.7% وبلغ 1.1 تريليون روبل"[3].

"في السنوات الثلاث الأخيرة نما سوق الإقراض الاستهلاكي بأكثر من خمسة أضعاف.. حصة قروض السكان في فعاليات المنظومة المصرفية تضاعفت ثلاث مرات، ونسبة قروض المفرق إلى الناتج القومي- تضاعفت أربع مرات تقريباً. حسب تقييمات الخبراء، تبلغ حصة الإقراض الاستهلاكي الآن 3.8% من الناتج القومي، وهو أدنى بكثير منه في أوروبا الغربية وأمريكا. هذا المؤشر يبلغ في أمريكا 74%، في أوروبا 50%.[4] هذا في 2005.

"ينمو الإقراض الاستهلاكي في روسيا بوتائر عالية. يتكون انطباع أن البنوك تحاول بشتى الوسائل إعطاء، وربما توريط الأفراد بأكبر كمية من القروض... تبين أحداث السنوات الثلاث الأخيرة أن الإقراض الاستهلاكي يزداد بنسبة 100% تقريباً كل عام"[5]. هذا في 2006.

---

[1] http://www.rokf.ru/different/2003/06/16/121941.htmt.

[2] فيزا فيسيمايا غازيتا 2004/3/14.

[3] http://bankir.ru/news/newsline24.07.2006/57732.

[4] http://bankir.ru/news/newsline/18.04.2005/30081/.

[5] http://www.utro.ru/articles/2006/09/20/585107.shtnl.

"حسب نتائج النصف الأول من العام فاقت محفظة قروض السيارات لبنك موسكو للإقراض 96 مليون دولار، ازدادت من بداية العام بمقدار أكثر من 20%"[1]. هذا في 2006.

إن قلة مبالغ الإقراض سوف تنقذ الاقتصاد الروسي من الانهيار. لكن في 2005 - 2006 ومن وجهة نظر المحللين. كان هذا نقص (عيب) يتوجب إزالته بأسرع ما يمكن. يجب أن نضخ في اقتصادنا على وجه السرعة أكثر ما يمكن من نقود القروض. وقد فعلوا بكل قواهم. ما أنقذ روسيا، كما هو الحال دائماً، عدم استعداد السكان. السكان المتخلفون عندنا، اعتادوا بشكل أساسي أن يعيشوا وفق إمكانياتهم، دون الدخول في الديون.

هل تذكرون تلك الأوقات المجيدة، عندما لم تعد الإعلانات عن قروض دون وثائق خلال 15 دقيقة، تثير الدهشة؟ لكن "فورة" الإقراض تلك بين الأهالي كانت فقط رأس جبل الجليد، اقترضت الهياكل التجارية مبالغ ضخمة. في الغرب يقال: لماذا لا نأخذ طالما يعطون وبهذا الرخص؟[2]

النظر إلى "الاختصاصيين" مضحك ومحزن. هم يعرفون كل شيء، كل شيء واضح لديهم. كل شيء، سيستمر في النمو ضعفين، ثلاثة أضعاف - السعر على كل الموارد يحدد في السوق، السعر موضوعي، لا أحد يتحكم به. وعموماً كل شيء في هذا العالم يحدث تلقائياً. الأزمة أيضاً تحدث تلقائياً، لأن 10 آلاف عاطل عن العمل من الأفارقة الأمريكيين لم يسددوا أقساط القروض السكنية. حتى مولدكم: أيها السادة "الأخصائيون" و"المحللون"، نتيجة مصادفة، وليس أبداً نتيجة استمتاع لذيذ لأهلكم في ليلة سبت.

عدم فهم التكوين المالي للعالم يقود إلى عواقب وخيمة.

بسبب الفهم الكاذب توضع توقعات ويشعر من وضعها بالعار إذا قرأها بعد فترة. مثال صارخ - توقع اختصاصي- مصرفي، مأخوذ من أول ما تقع عليه عينك من التصريحات على الإنترنت. ستجدون بأنفسكم كثيراً منها. هؤلاء أمثلة للعمى الإنساني.

[1] http://bankir.ru/news/newsline/24.07.2006/57732.

[2] خلال 2005-2007 تضاعف الدين الخارجي للشركات الروسية 4 مرات (روسيسكايا غازيتا 2009/1/27م).

"خفض نسبة الفائدة يجدر توقعه خلال سنتين - ثلاث سنين، فقد توفرت كل الأسباب من أجل ذلك. تعالوا نبدأ من أن عدداً متزايداً من البنوك الآن يبدأ استيعاب برنامج الإقراض السكني"[1].

هذا تصريح أعطي 20 أيلول 2006 مرت سنتان وتعرفون ما جرى بأنفسكم...

منذ النصف الثاني من شهر أيلول 2005 بدأ الاحتياطي الفيدرالي بزيادة نسبة الفائدة. حتى عام 2006 بلغت 5%. أي في الزمن الذي بدأ الإقراض فيه عندنا يكتسب زخماً كبيراً. بدؤوا في أمريكا بتحضير الأرضية للأزمة القادمة. تطلب الأمر عدة سنوات لتصبح جاهزة تماماً. كل شيء كان عليه أن يبدأ من الأمور الصغيرة، ويتحرك بانسيابية إلى الحد، الذي تعطى (فيه للأزمة الإشارة النهائية).

إن رفع مستوى الفائدة وحده من قبل الاحتياطي الفيدرالي حرض سلسلة كاملة من الأحداث.

1 - منذ نهاية 2005 كثير من المقترضين، خصوصاً "النوع الثاني". لم يتمكنوا من تسديد أقساط منازلهم وغيرها من الأقساط. بسبب رفع نسبة الفائدة انخفضت كمية القروض الجديدة. كنتيجة لذلك بدأ انخفاض أسعار المنازل في السوق وزيادة فترات عرض المنشآت[2].

2 - أدى ذلك إلى زيادة أخرى في عدد العاجزين عن تسديد الأقساط. فإذا حصلتم على قرض بدون دفعة أولى يغطي كامل قيمة المنزل، وانخفض ثمنه فجأة. فإنكم في 25-30 سنة تالية ستدفعون أقساط قرض سكني، يساوي أضعاف الثمن الحقيقي للمنزل. الأسهل - أن تعطوا المنزل للبنك وترفضون الدفع.

3 - في بداية 2006 حان موعد الدفع لمن أخذ قرضاً سكنياً مع تأجيل في دفع جسم الدين لمدة 5 سنوات وهؤلاء أساساً ذوو مقدرة ضعيفة على التسديد. وهنا ازدادت أيضاً نسبة الفائدة على قروضهم التي هي أساساً بنسبة فائدة متغيرة، ترتبط بنسبة الفائدة لدى الاحتياطي الفيدرالي فقد ازدادت مدفوعاتهم لحظياً عدة أضعاف - عدد جديد يرفض الدفع.

---

[1] http://www.utro.ru/articles/2006/09/585107, shtml.

[2] http://www.rusipoteka.ru/publication/fondegor-1.htm.

4 - أخذ المحتكرون يبيعون المنازل (لتثبيت الأرباح)، والبنوك (لبيع الرهن). انخفض الطلب، ازداد العرض بشكل حاد، في النتيجة انخفاض جديد في الأسعار.

5 - لاحقاً بدأت الصعوبات، وبعدها الإفلاسات للشركات، التي زادت الإقراض غير المعياري. على إثرها جاء المساهمون، الذين اشتروا سنداتها المالية انخفضت سندات القروض السكنية، ولم تجد السندات الجديدة من يشتريها. ثم تدحرجت الصعوبات لتصل إلى أولئك الذين كانوا يشترون أسهم الممولين المساهمين، الذين اشتروا بدورهم أسهم الأرصدة السكنية وهلمّ جرّا.

تتضمن قصة أزمة الإقراض السكني أسئلة كثيرة جداً. هذه الأسئلة يمكن أن تطرح بذات الطريقة بشأن أزمة سوق الأرصدة الذي سوف نتحدث عنه تالياً.

لماذا أعطت وكالات التصنيف الائتماني لسندات القروض السكنية درجات مرتفعة من الثقة؟

لماذا لم يلاحظ أحد أن وراء هذه السندات المنتفخة لا يوجد شيء في الواقع؟

لماذا استمر المحللون الأذكياء على أن سوق العقارات وسوق الأسهم سوف ينموان ويستمران في النمو؟

ولكن كيف يحصل الأمر بغير ذلك؟ لا بد من وضع الطعم على خطاف الصنارة.

المحلل بالإنكليزية يلفظ هكذا "إنيليست" (the Analyst)[1]. تعلق بتقييم "الإينليست" أكثر مما يمكنكم تصوره. بني كل الهرم ونما بناء على توقعاتهم الواثقة جرى العمل حسب الطريقة التالية: لكي يشتري منزلاً. أخذ الأمريكي قرضاً من البنك 100 دولار. البنك الذي أعطى هذا القرض لا يترك الرهن على هذا المنزل على ميزانيته، بل يصدر سنداً مالياً مشتقاً على أساسه ويبيعه لبنك آخر. بذلك حصل البنك الأول الذي أعطى القرض على نقود من أجل إعطاء قرض آخر. البنك الثاني الذي اشترى الكثير من هذه الرهونات من بنوك أخرى، أصدر عليها سنداً مالياً، ضمانته ورقة فقط وليس المنزل. المحللون الأذكياء يعتبرون أن سعر

[1] في أشرطة الدعاية الأولى كانت سيارة "تويوتا كامري" تلفظ بالإنكليزية- "كيمري". والآن "تروست" قليلاً- "كامري". وهكذا أيضاً كان وضع "إينيليست". سوف نسميهم باللغة الروسية- "أنا ليست".

العقار ارتفع وأن المنزل الذي قدمه الأمريكي رهناً للقرض، وسيصبح سعرها (200) دولار. لـذلك يصدر البنك الثاني بجرأة سنداً مالياً ثانياً يسمى "ديريفاتيف". الأرصدة المساهمة التي استمعت إلى المحللين وتنتظر "ارتفاع السوق"، تشتري مـن البنـك الثـاني هـذه "الـديرتفاتيفات: وتصـدر بدورها سنداتها المالية. في النتيجـة صـدرت سـندات ماليـة بمبلـغ 300 دولار عـلى المنـزل الـذي يساوي 100 دولار. إلا أنه بخلاف التوقعات وبفضل احتكارات الاحتياطي الفيدرالي لنسب الفائدة ينخفض ثمنه حتى 50 دولاراً. والمقترض نفسه لا يستطيع أو لا يريـد أن يـدفع. والآن إذا قام البنك حتى ببيع المنزل. يتمكن من تغطيـة 50 دولاراً فقـط مـن الـديون الملتـزم بسـدادها. والبنك الثاني يجـد نفسـه في وضـع مماثـل. الــ 250 دولاراً المتبقيـة "دون تغطيـة" لا تجـد مـن يدفعها تعجز البنوك عن دفع ما أصدرته من التزامات - فهي إذن مفلسة. يأتي على إثرها إفلاس الرصيد المساهم، الذي اشترى بأموال المساهمين، بنـاءً عـلى نصـيحة، المحلـل الكثـير مـن الهـواء الباهظ الثمن[1].

طالما كان السوق ينمو، الأسعار ترتفع كل هـذه المنظومـة تعمـل- في الولايـات المتحـدة صدرت أوراق مشابهة حسب تقييمات مختلفة من 2 إلى 9 تريليون دولار عندما تتـوفر النقـود تنمو الأسواق وترتفع الأسعار. يكفي أن تغلق "الحنفية" النقدية، أن ترتفع نسبة الفائدة - ينهار هذا الهرم الوهمي بسرعة كبيرة.

لا تكفي مشاكل الإقراض السكني وحدها لكي ينهـار الاقتصـاد العـالمي. ولكنهـا تناسـب جيداً بصفة فتيل صاعق للأزمة الحاضرة الواسعة النطـاق. وكشرح مفهـوم: لاحقـاً سـيكون مـن السهل أن نروي للقراء ماذا حصل وكيف ولماذا. ولكن كما هـو معلـوم لا يكفـي الفتيـل وحـده للانفجار. لا بد من المتفجرات أيضاً. كما هو الحال بالنسـبة للأزمـة العالميـة لا بـد مـن مشـاكل مالية جدية.

وقد أوجدوها باهتمام مسبقاً. لانتفاخ الفقاعة المالية لم تخترع السندات الماليـة المشتقة بتسميتها الغربية "ديريفاتيف" التي لا يغطيهـا سـوى رأي المحللـين، وحـدها. المتفجرة الحقيقية بالنسبة لسوق المال أصبح ما يجب أن ينقذ الناس مـن المشـاكل في

[1] أوردنا مثالاً مبسطاً لزيادة سعر البيت ثلاث مرات. حسب بعض التقيـيمات "ذراع" النمـو في بعـض الحـالات يصل إلى 15 مرة!

الحياة العادية. إنها - التأمين. التأمين من الحادث المؤسف، عندما لا تستطيع المؤسسة التي أصدرت السند المالي أن تفي بالتزاماتها. فكرة ممتازة! ستكون أفضل إذا تشكل هذا التأمين على هيئة سند مالي. ويستطيع لاعبو سوق الأوراق المالية أن يبيعوه بعضهم لبعض. خلال ذلك تكون المجازفة مؤمنة تتكون حالة سحرية: أنت بعت لي ورقة، تنص على أنه في حالة حدوث مشكلة مع الـ "ديريفات" الخاصة بي سوف تدفع أنت، وأنا بعت لك ورقة مالية. بحيث أدفع أنا إن حدثت مشكلة مع أوراقك المالية، النتيجة على شاكلة مونولوج الكوميدي المعروف أركادي رابكين: "أنا أحترمك، وأنت تحترمني - أنا وإياك أناس محترمون!" والأصح أن تقول - أناس مؤمَّنون. لا توجد مجازفة - كل شيء مؤمَّن "سي دي إس"[1]. هكذا بالذات سميت هذه العصا السحرية، أصبحت اختراعاً آخر للانعكاس المالي المشوه. انهالت الكلمات الطيبة بسخاء على هذه "الورقة المالية". وأحبها بشكل خاص. رئيس نظام الاحتياطي الفيدرالي آلان غرينسبين" "أداة جديدة فريدة لزيادة السيولة في سوق الإقراض"، "أداة فعالة للمجازفة الإدارية". "الطارد السحري للمخاطر[2]. "مصدر التمويل الإضافي الموثوق"[3].

بدأ إصدار CDS من النصف الثاني للتسعينيات وكانت مريحة لدرجة أنها أصبحت ذات شعبية كبيرة جداً. مقابل نقود قليلة يمكن إلقاء المجازفة كلها على العم الطيب. ولم تكن هناك أية مجازفة - فالمحللون الأذكياء توقعوا ارتفاعاً مستمراً لأسعار العقارات، يعني لأسعار السندات المالية أيضاً. كان الربح ممكناً بشراء الكثير من CDS ثم بيعها بسعر أعلى.

فكرة بسيطة وواضحة. أنه يستحيل أن تحصل حالة يكون فيها الكل مؤمَّنين بما في ذلك جهات التأمين ذاتها، لم تخطر هذه الفكرة لأحد على بال!

---

[1] CDS (Credit Detaull Swap)- سند مالي مشتق ينص على أن الشاري يدفع للبائع مكافأة محددة مقابل كون البائع يتحمل مسؤولية مجازفات إقراض مصدر السهم أو أي التزامات أخرى. لا يدفع البائع شيئاً حتى تظهر حالة credit event التي تسمى بالحالة الإقراضية. إذا حدث تقصير في بعض السندات المالية المشتقة، المرتكزة على محفظة القروض السكنية، فإن مالك CDS يعوض الخسائر من الذي دفع له المكافأة سابقاً من أجل هذه CDS.

[2] http://www.computerra.ru/vision/382540.

[3] غرينسبين أ. عصر الاضطرابات، موسكو البينا بيزنس بوكس، 2008، ص. 304.

ففي حالة التقصير لا أحد يدفع. الكل باع للكل أوراقاً وCDS لا يوجد أخير. وفي النهاية؟ يتعين على الكل أن يدفعوا.

جذبت النقود السهلة من تجارة الأوهام في أمريكا "لاعبين" جدداً: ازداد الدخل في أوساط المال والتأمين من 3% من الناتج القومي (عام 1953) إلى 7.8% (عام 2006). أما الدخل من الإنتاج الحقيقي انخفض في الفترة ذاتها[1]. كان المثال يبدو واضحاً تماماً: المجانين والجهلة من الموضة القديمة فقط في القرن الحادي والعشرين يعملون بالمساهمة في قطاع متخلف مثل إنتاج أشياء قيمة مادية حقيقية. النقود الحقيقية تجنى فقط في الانعكاس المالي الوهمي!

بنهاية الربع الثاني من 2008 سوق CDS بلغ 16.4 تريليون دولار في أمريكا و58 تريليون دولار في العالم كله. في 2006 بلغت قيمة CDS 20 تريليون دولار في العالم. وفي 2004 6 تريليون دولار[2]. النمو هائل! هل هذا كثير أم قليل من حيث المبدأ؟ بلغ الناتج القومي الأمريكي في 2007- 13,8 تريليون دولار والناتج الكلي للعالم - 54,3 تريليون دولار. إن ديون "المقترضين للسكن" الأمريكيين - قروش ضئيلة مقارنة بالمبلغ الضخم الذي باعه الماليون الأمريكيون بعضهم لبعض، وأخذوا يجذبون بقية العالم إلى هذا المجال بهدوء.

وهذا فقط "فقاعة" انتفخت في إقراض السكن الأمريكي. لم تؤخذ في الحسبان هنا قيمة بقية الفعاليات الوهمية والأسهم، التي يتاجر بها يومياً المشاركون في الكازينو الكوني. كل هذه المبالغ الهائلة استندت إلى الارتفاع المستمر لأسعار العقارات. وهذا بدوره تثبت على نسبة الفائدة المنخفضة على النقود المستدانة، التي أبقاها نظام الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي. كان الخيط فائق الدقة، كما يقال، ميكرونياً. لتنظيم الأزمة بقي فقط قطع هذا الخيط، يجعل الأموال المستدانة أغلى. والاحتياطي الفيدرالي بدأ برفع نسبة الفائدة وانهارت مع القروض السكنية الأوراق المشتقة المغطاة بالرهون السكنية. بدأ هذا الانهيار بشكل غير ملحوظ شيئاً فشيئاً. تذكرون العناوين المتواضعة نهاية 2007 - بداية

[1] المصدر نفسه ص 355-356.

[2] http://www.computerra.ru/vision/382540.

2008؟ الموضوع الرئيس - تنسيق (إزالة) البنوك الأمريكية لفعالياتها. ما الذي كانوا ينسقوه ولماذا لم يشرحوا لنا. لم يتكلم أحد عن CDS. ولماذا يخيفون المواطن البسيط بأن السادة الأذكياء المظهر بربطات العنق والأردية الأنيقة باعوا بعضهم بعضاً ديوناً أكثر مما تجنيه البشرية كلها!.

بما أن كل المشاركين في السوق المالي تبادلوا بيع أوراقهم، فقد تبادلوا المشاكل، وبدأت التنسيقات لدى الجميع دفعة واحدة. بدأ الاضطراب المحموم، ولكن ذلك لم يصبح أزمة بعد. يمكن إطالة أمده بالطريقة المعتادة التي عالج الماليون مشاكلهم بها دائماً: بأخذ قرض. ولكن الاحتياطي الفيدرالي "أغلق" في هذه اللحظة بالذات خط الإنتاج، الذي كان يقدم كماً هائلاً من الدولارات الطازجة. كيف؟ ببساطة شديدة. الاحتياطي الفيدرالي يعطي قروضاً (أي يخلق نقوداً من لا شيء) عبر ما يسمى "نافذة التنزيلات"[1]. علماً بأن الاحتياطي الفيدرالي بالذات هو من يقرر لمن يعطي النقود ومن لا يعطيه. البنوك التابعة له كانت تحصل على النقود، وبقية البنوك يُرفض منحها.

من جديد، كما في السنوات القديمة الطيبة للكساد الكبير، حصلت الحالة، حيث لم يوجد من يُقترض منه، وتوجب دفع الديون. ولم يتوفر في حساب البنوك نقود. لماذا؟ لأن ما يجري خلف المخططات البيانية الجميلة لأخبار البورصة هو التالي توجب على بائعي CDS عند حصول حالة "التقصير في دفع التأمين" أن يدفعوا لمشتري CDS كامل قيمة السندات المالية "المؤمنة". وحصلوا مقابل ذلك على وثائق قرض سكني فاقدة القيمة. هذا هو التنسيق الذي تحدثوا عنه في الأخبار. نسقوا الفرق.

لماذا كانوا ينسقون؟ لأنهم لا يملكون خياراً آخر - لم يكن لديهم الحق. سوف تضحكون (وربما تحزنون)، ولكن في لحظة بروز حالة التقصير عن التسديد في المؤسسات المالية الأمريكية تغيرت قواعد اللعبة في أمريكا! لحظة اشتعال الفتيل وضعوا بعناية جانبه الصاعق والديناميت. منظمة صغيرة - مجلس

---

[1] "نافذة التنزيلات" - آلية، تتيح للبنوك التجارية والشركات المساهمة استدانة الأموال مباشرة من الاحتياطي الفيدرالي. http://www.rbc.ru/rbcfreenews/20081031044543.shtml .

معـايير الحسـاب المـالي [1] (Financial Accounting Standards Board FASB)- في أيلـول 2006 أصدرت هذه المنظمة لائحة قلَّ من أعارهـا اهتمامـاً FAS No 157. وقـد كانـت بمثابـة الصاعق. سابقاً كانت البنوك تدخل في ميزانيتها الفعاليات حسب القيمة التي اشترتها بها 1000 دولار، مثلاً. حسب هذا المعيار القانوني الجديد يجب على البنـوك منـذ الآن أن تـدخلها حسـب قيمتها في السوق! أي 10 دولارات بدلاً من 100 دولار. 90 دولاراً ببساطة على الفور- تتبخر.

اخترعوا لها التفصيل الذي كان ينقصهم (FAS No 157) للانهيار المالي تسـمية جميلـة، بروح الصدقية السياسية والحرية: "القياس بالقيمة العادلة". مـن يعـارض العـدل؟ مـن يعـارض القيمة العادلة؟ من يعارض أن تقدر القيمة بشـكل عـادل؟ الجميـع "مؤيـدون"! ودسـوا خلـف التسمية الجميلة مؤقت آلية التفجير. لم يكن أحد يفهم مغزى اللائحة الجديـدة حتـى اللحظـة الأخيرة. عندما فهموها - فات الأوان.

وفق دراسة أجرتهـا حـديثاً وكالـة: Deloitte Financial Advisory Services LLp أن 6% فقط من الشركات الأمريكية تملك تصوراً دقيقاً، عن التأثير الذي تحدثه FAS No 157 على نظام تقييم فعالياتهـا والتزاماتهـا "القيـاس بالقيمـة العادلـة" "نـذكر بـأن المعيـار الـذي أطلقـه المجلس الأمريكي لمعايير الحساب المالي في أيلول 2006، حتمي الاستعمال بالنسـبة لكـل مراحـل الحساب (الجرد) التي تبدأ في 15 كانون الأول 2007"[2].

وضعوا اللغم مسبقاً "يفترض أن ينفجر في الربع الأول من عـام 2008، وهـذا مـا حـدث: حسابات البنوك الربعية بدءاً من الربع الأول 2008 تدهورت بشكل حاد.

هل سمعتم يوماً باللائحة (FAS No 157) "القياس بالقيمـة العادلـة"؟ هـل روى لكـم أحد من المحللين لماذا جثت البنوك على ركبتيها دفعة واحدة[3]؟

---

[1] (FASB)- مؤسسة مستقلة تضع معايير سارية المفعول في إطار المبادئ العامة للحسابات؛ وهو يمثل جميعـة تضم واضعي ومستثمري الحسابات المالية. وكذلك المفتشين (أنشئ عام 1973).
http://ekat.ru/keywords/answer.php?id=1098&letter=%f1&py=8.

[2] http://www.appraiser.ru/default.aspx?sectiold=83&Id=1255&Contld=301

[3] للإنصاف أقول أن الوحيد الذي عبر عن أفكار صحيحة حول آلية تنظيم الأزمة كان السيد غولوبيتسكي، الذي لديه شرح دقيق وواضح للحالة بمجملها. ولكن حتى هو يبدو أنه لم يفهم حتى النهاية - مـن ولمـاذا أثـار كـل ذلك.

الكل كان بحاجة للأموال لسد الثغرات التي ظهرت في الحسابات. من أين يأتون بها؟

فقط ببيع السندات المالية المتوفرة لدى البنوك ولاعبي السوق الآخرين.

أدى ذلك إلى بيع سريع وجماعي للأسهم: أي - إلى فقدانها لقيمتها.

الوضع يذكر بالعام 1929 في أمريكا. إلا أنه هذه المرة أسرعت بنوك عملاقة تبيع كل ما لديها من فعاليات وليس المساهمون الأفراد.

هل يمكن أن تخلق الدولة الأمريكية وضعاً يهدد بانهيار اقتصادها؟

ليس للدولة الأمريكية شأن هنا. أنشئ في أمريكا نظام فريد: تشكل فيه الدولة مجرد مراقب، وليست مشاركاً في اللعبة البتة. لقد "خصخصت" الدولة منذ زمن بعيد. وهي تسلك سلوكاً جيداً، لا يعيق أحداً من أصحاب أمريكا الحقيقيين.

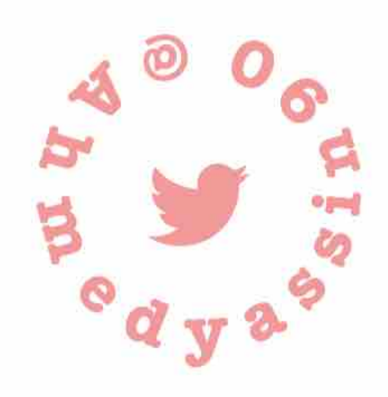
فالنظام الاحتياطي الفيدرالي - منظمة مستقلة عن الحكومة.

مجلس معايير الحساب المالي - مؤسسة مستقلة أيضاً.

والدولة، والرؤساء الأمريكيون، الشيوخ وأعضاء الكونغرس لا يلاحظون ذلك..

أما زلتم تصدقون أن الأزمة حدثت تلقائياً؟

حان الوقت لنتكلم عن: لماذا افتعلوا الأزمة هذه المرة.


@Ahmedyassin90

الفصل التاسع

لماذا تغرق "طابعة النقود" بالديون

أو لماذا تصنع الأزمة؟

بنـــوك التمـــويل المساهمة فخــر- وول
ســتريــت- لـم تعد موجودة اليوم عـمـلياً.
خـــلال سنة تكبدت خسائر تفوق أرباحها
علـــى مدى الربع القرن الأخير.
هــذا الـمثـال وحـده يـعكـس واقـع الـحال
أفضـــل من أي نقد.

بوتين

دافوس، سويسرا، 2009/1/28

تصوروا أن الحظ حالفكم بقوة في الحياة: نتيجة مجموعة مـن الجـرائم المخيفـة. أصـبح لديكم في المطبخ طابعة نقود، تعطي أي كمية تطلبها من النقود. ولكن باعتبار "حظكم" - ليس نتيجة صدفة عشوائية. بل نهاية عمـل جميـل ومخـادع، فقـد تسـنى لكـم أن تنجـزوا الأهـم - الجميع من حولكم مستعدون لاعتبار أوراق النقد التي تطبعونها أكثر النقود حقيقيـة. أي أنهـا الأفضل والأوثق... البوليس، والإدعاء العام، والمدافعون عن الحقوق والعاملون في التجـارة كلهـم مستعدون لقبول أوراقكم كوسيلة للدفع، لا أحد من حولكم يعترض على ذلك. مثل هذه الحالة تناسب الجميع.

في هذه الحالة سوف تطبعون النقود ليلاً ونهـاراً. ومسـتوى معيشـتكم يبـدأ بالارتفاع بوتائر ضخمة. سوية معكم يبدأ بالثراء والعيش أفضـل أهلكـم وأقـاربكم وماذا بعد؟ تبدأ موجة الرفاه بالاتساع لتشمل الأصدقاء والجيران. سـوف تتمكنـون من توظيـف أشـخاص، سـائقين، حـراس، محاسـبين - مسـتوى حيـاتهم أيضـاً يبـدأ بالارتفاع فطابعة النقود لديكم تغطي أية مصاريف، وأنتم لا تفعلـون شـيئاً لكـبح

شهيتكم. لا تحتاجون أن تمتلكوا سبائك ذهبية تطابق كمية الأوراق التي طبعتموها. ولا حاجة لأية "احتياطات نقد ذهبي". فالنقود التي تطبعونها هي عملة صعبة من الدرجة الأولى. يمكن أن تشتروا بها الذهب في أية لحظة. فلماذا تخزنون في المنزل أوراقكم المطبوعة الخاصة؟ والتقدم يتابع مسيرته - أصبحتم تصدرون نقوداً إلكترونية، بطاقات ائتمان، حسابات مصرفية، - وفي هذا الشكل الوهمي - غير النقدي. منتجكم مطلوب ومقبول في كل مكان. فلماذا تخزنونها في البيت؟ عند اللزوم - تفتحون الكومبيوتر وترسمون ما تشاؤون.

ماذا تفعلون أيضاً؟ تخضعون البشر الآخرين لسلطتكم. ترشونهم، تقرضونهم فالنقود بالنسبة لكم لا أهمية لها بالعكس، مهمتكم إعطاء النقود بحيث لا يردونها. فخسارتكم في هذه الحال صفر عملياً: ثمن الورق والألوان أو الكهرباء لعمل الآلة. بالمقابل المدين المهمل يدين لكم بمبلغ من المال. وبما أنه لا يدفعه، فإنكم تأخذون ممتلكاته وتخضعونه لإرادتكم. هكذا بالضبط تتصرف الولايات المتحدة. في القيادة يوضع السياسي "الصحيح"، يضع على أراضي دولة القواعد العسكرية "الصحيحة". وهكذا من دولة إلى أخرى.

يمكنكم فعل كل شيء. أمر واحد لا يمكنكم فعله. لا يمكن أن تكونوا مدينين.

لماذا إذن تكون الولايات المتحدة الأمريكية صاحبة أكبر دين دولة في العالم؟ كيف يمكن أن تكون طابعة النقود واقعة في الدين؟

هذا غير معقول! عجيبة العجائب.

سوف نتكلم عن أسباب هذه العجائب في النصف الثاني من هذا الفصل. لنبتعد الآن قليلاً عن آلية تنظيم الأزمة ذاتها ولنتكلم عن أمر لا يقل أهمية - عن أهدافها. لماذا يحتاج منظمو الأزمة لها؟ لماذا خلقوا المشاكل لكل سكان كوكبنا؟

بالنسبة للذين درسوا جيداً تاريخ ظهور الكساد الكبير وعواقبه الاقتصادية لا يشكل الجواب على هذا السؤال صعوبة.

المسألة المهمة الأولى هي الشراء المبتذل لأهم الفعاليات العالمية.

وبالدرجة الأولى أين؟ في روسيا؟ كلا. في أمريكا. خلال أزمة واحدة وإن كانت بحجم الكساد الكبير، لم يتسن "شراء" الكل. في قلعة الديمقراطية العالمية ذاتها بقيت (وتكاثر غيرها) واحات من الرخاء المالي المستقل. الحقيقة. لم تعد هذه الهياكل تحاول انتزاع طابعة النقود من المصرفيين - مالكي الاحتياطي الفيدرالي. إلا أن وجودها بذاته أدخل إزعاجات معينة في الإخضاع الانسيابي لكوكبنا الأزرق.

من لحظة انتهاء الحرب العالمية الثانية تعلمت الولايات المتحدة درساً مريراً بالنسبة لها: لم تتمكن بالقوة المسلحة أن تعالج مسألة جيوسياسية واحدة- كوريا، فييتنام، كمبوديا، كوبا- يمكن الاستمرار بجدول هزائم "الإمبريالية" أكثر. هذا ليس مدهشاً، المدهش حقاً أمر مختلف كل الاختلاف: إن أمريكا بدأت بنفسها عصراً جديداً في حياة الإنسانية، بفك ارتباط الحياة الاقتصادية والمالية "بقيود المعيار الذهبي" في التكوين العالمي الجديد أصبحت النقود سلاحاً رئيسياً وليس فقط سلعة رئيسية. بعد أن أدرك الأمريكيون خطأهم. أخذوا يستخدمون الدولار في الصراع ضد الاتحاد السوفيتي وفي النتيجة الدولار بالذات هو الذي هزمنا.

السلاح الاقتصادي- قوة مرعبة. خفية. غير مرئية. عشرات البنوك. مختلف الأسماء. مختلف الواجهات. وفجأة تبدأ، كلها وكأن إيعازاً قد صدر، بفعل الشيء ذاته. على سبيل المثال، إخراج رؤوس أموالها من إحدى الدول. فقد أجريت هناك "انتخابات غير ديمقراطية"، ما يعني بالترجمة إلى اللغة الإنسانية. أن قيادة هذا البلد رفضت الرقص على الناي الأمريكي. لم تشأ أن تعطي ثرواتها الباطنية. للشركات العابرة للقوميات. تجرأت أن تدافع عن مصالحها. وليس عن المصالح "الإنسانية الشاملة".

لكي تنهار اقتصادات كاملة ويفلس بلد بكامله لا بد من أن تكون كل الواردات النقدية، وليس فقط بعضها، تحت السيطرة. لا بد من أن تستتر خلف واجهات كل البنوك الكبرى الهيكلية المالية ذاتها. كما تستتر خلف قناع الأحزاب السياسية الأمريكية، منذ زمن طويل مجموعة المصرفيين - أصحاب الاحتياطي

الأمريكي ذاتها. لقد تغير العالم - ليست المصانع اليوم بل البنوك هي الأهداف الرئيسية للمتصارعين من أجل السلطة. لا البرق ولا الهاتف. لا الجسور ولا البريد، وإنما البنوك!

أين تتركز موارد العالم المالية الأساسية؟ ليس سراً أنها في أمريكا. هناك بالذات تعد عمليات الشراء الرئيسية. والأدق، أنها أبرمت كلها تقريباً هناك. شراء البنوك الأمريكية أو ما قام به منظمو الأزمة. ولكن الأزمة المستشرية ضربت القطاع المصرفي في المقام الأول؟ البنوك بالذات هي التي عانت كثيراً على وجه الخصوص؟ هذا صحيح لا يحسد المصرفيون الآن. ولكن أثناء الكساد الكبير لم يفلس كل المساهمون، بل أفلس فقط من لم يكن يعرف متى يبدأ الانهيار. وكثير من الهياكل المصرفية بإلحاح غير مفهوم. في قلب الأزمة أخذت تشتري منافسيها.

في أيام الرخاء قبل الأزمة كانت أضخم البنوك المساهمة في أمريكا هي: "بير ستيرنز" (Bear Stearns). "ليمان براذرز" (Lehman Brothers)، "ميريل لينتش" (Merrill Lynch). "مورغان ستينلي" (Morgan Stanly). "غولدمان ساكس" (Goldman Sachs) أسماء هؤلاء العمالقة متداولة، يذكرون يومياً في كل وسائل الإعلام الجماهيرية لا بد أنكم سمعتم بهم إن لم تكونوا تعرفونهم.

ولكن هل تعرفون ماذا حصل لهم جميعاً؟

لنبدأ بتأكيد أمر بديهي. إذا تداعى بيت كثير الشقق. فسوف يطمر كل قاطنيه على السواء. ستتخرب شقق الجميع. إذا كانت البنوك تلعب في كازينو الأسهم. وكلها تبيع بعضها بعضاً ديريفاتيف وCDS. وتضعها لائحة FAS No 157 تحت تصنيف واحد "القياس بالقيمة العادلة"، فإن أوضاع الجميع يجب أن تكون متشابهة إلى حد كبير.

أما في الحياة فإننا نرى أمراً مذهلاً - بنوك تسرع لشراء "حطام" البنوك الأخرى! المهم هنا أن نميز من الذي يباع، ولا يقل عنه أهمية - من يشتري. متى بدأ الشراء يمكننا تخمين ذلك بسهولة: في الربع الأول من عام 2008، عندما جعل "القياس بالقيمة العادلة" أقوى الحيتان المالية تهوي إلى القاع وكأنه الطوربيد.

"أقر النظام الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي شراء أحد أضخم البنوك

المساهمة الأمريكية "بير ستيزنز" الذي وقع في أزمة من قبل شركة "جي مورغان"[1] المالية.

يقوم بالشراء بنك "جي بي مورغان". مؤسس الاحتياطي الفيدرالي، منظم الكساد الكبير. إنه تطابق "مدهش"؟!. لكن الآتي أعظم.

"أعلن بنك "جي بي مورغان" أنه سيشتري "بير ستيرنز" بسعر زهيد دولارين للسهم. لكن في يوم الجمعة الماضي كانت قيمة السهم الواحد في وول ستريت للبنك ذاته "بير ستيرنز" تبلغ 30 دولاراً"[2].

تلكم هي الأزمة يشترون منافساً كبيراً بسعر أرخص بـ 15 مرة. خلال أسبوع واحد انكمش "بير ستيرنز" لهذه الدرجة. تفاصيل الصفقة ليست أقل غرابة، كل السلطات المالية الأمريكية "لسبب ما" تحابي بنك مورغان.

"في نهاية الأسبوع الفائت "بير ستيرنز" أقر بأنه يعاني من أزمة في السيولة بعد ذلك وافق الاحتياطي الفيدرالي على تقديم مساعدة مالية مباشرة للبنك المتعثر، مما أثار ردة فعل ملتبسة لدى الأخصائيين. دفاعاً عن قرار الاحتياطي الفيدرالي تكلم وزير المالية الأمريكي هنري بولسون على عدد من محطات التلفزة"[3].

"سوف يدعم الاحتياطي الفيدرالي الصفقة وهو يضمن الفعاليات العائدة لبنك "بير ستيرنز" بمبلغ 30 مليار دولار. نذكر بأن بنك "بير ستيرنز" كان على حافة الإفلاس في منتصف آذار، إذ امتنع المقرضون من تقديم الأموال له بسبب مخاوف من أن حجم الديون التي اشتراها البنك أكبر من المألوف بكثير. عندئذٍ عرض "جي بي مورغان" شراء أسهمه بدعم من الاحتياطي الفيدرالي"[4].

"في شهر آذار تجنب "بير ستيرنز" الإفلاس بشق الأنفس وبتلقيه قرض بمبلغ 29 مليار دولار. بيع بسعر رمزي لـ "جي بي مورغان""[5].

في البداية يعاني "بير ستيرنز" مصاعب، بعدها يقدم له الاحتياطي الفيدرالي المغيث الطيب مساعدة. يمنحه قرضاً؟ كلا مطلقاً. نتيجة المساعدة يصبح انخفاض

---

[1] http://www.newsru.com/world/17mar2008/jpmorgan html.

[2] المرجع ذاته.

[3] المرجع ذاته.

[4] http://www.lenta.ru/news/2008/03/24/jpmorgan/.

[5] http://www.ceo.az/commentary/exclusive/17951.htm/?PAGEN_2=3.

قيمة السهم 15 مرة. لم يعطوا البنك المحتضر نقوداً. وإنما ساعدوه بالنصيحة- أن يبيع نفسه للناس "الصح". وكان العرض مقنعاً بحيث باع المالكون البنك مقابل سنتات زهيدة. فقط بعد ذلك يعطي الاحتياطي الفيدرالي لـ "بير ستيرنز" قرضاً بمبلغ 29 مليار دولار. بالذات بعد البيع وليس قبله! وإلا لما باع البنك نفسه بعد حصوله على القرض الداعم. وهكذا لم يدعم الاحتياطي الفيدرالي المالكين القدامى بل الجدد. التابعين له. أي أنه دعم نفسه. يلعب دوراً مهماً في هذه القصة وزير المالية أيضاً. أنه، بالطبع، موافق تماماً على قرار الاحتياطي الفيدرالي. وكيف يكون الأمر بغير ذلك؟ فهم فريق واحد - يقومون بعمل واحد.

سيقوم بالعمل ذاته فريق واشنطن الجديد. في القيادة يصبح باراك أوباما بدلاً من هنري بولسون في عهد بوش يصبح تيموثي غايتنر. "في الحديث الذي أدلى به أوباما في مؤتمر صحفي في شيكاغو قال أوباما أن أمريكا واجهت أزمة اقتصادية بتناسب تاريخي". وغايتنر المتميز بتجربة كبيرة "يملك إمكانية إصابة الأزمة الاقتصادية العالمية في القلب" إذا وافق مجلس النواب على ترشيح غايتنر سيصبح الشخص الرئيسي في إدارة أوباما، المسؤول عن مكافحة الأزمة الاقتصادية العالمية"[1].

وافقوا على الترشيح. قبل ذلك عمل تيموثي غايتنر رئيساً لبنك نيويورك الاحتياطي الفيدرالي (حتى عام 2003) أي أنه كان أحد قادة الاحتياطي الفيدرالي. والآن هو- وزير المالية - لاحظوا أن مسؤولاً رفيعاً في الاحتياطي الفيدرالي يصبح وزيراً للمالية. وليس العكس. هذا عطفاً على سؤال من يسيطر على من.

عطفاً على سؤال هل سيكافح أوباما الأزمة. أريد أن أضيف، إن تغيير الديكور في البيت الأبيض لا يغير شيئاً. إن تيموثي غايتنر في منصبه السابق في الاحتياطي الفيدرالي لم يكتف مع زملائه برفع نسبة الفائدة في اللحظة المناسبة. واستفز الأزمة في أمريكا، بل ساهم في إفلاس عملاق آخر في المنظومة المالية الأمريكية - بنك ليمان براذرز "Lehman Brothers" رفض الاحتياطي الفيدرالي ممثلاً بشخص السيد غايتنر ذاته تقديم مساعدة له[2].

---

[1] http://top.rbc.ru/politics/24/11/2008/263077. shtml.

[2] مجلة نيوزويك، 2009، العدد 4 (226)، ص. 30.

"السلطات الأمريكية التي أظهرت سخاءً لا نظير له عند إنقاذ شركات أخرى (خصصت 152 مليار دولار للشركة الرائدة على مستوى العالم بسوق التأمين AIG). لم تمد يد العون لبنك ليمان براذرز"[1].

"صباح الإثنين الباكر 15 أيلول 2008 قدم ليمان براذرز إلى القضاء إعلان إفلاسه ورجائه الحماية من الدائنين. وتفلس شركة هولدينغ. التي بلغت ديونها 613 مليار دولار"[2].

تفصيل لافت: من بين كل البنوك الضخمة في أمريكا أفلس ليمان براذرز وحده. لماذا هو بالذات؟ لأن مالكوه رفضوا بيعه بالقروش. رغم أنه تلقى عرضاً. ومن الشباب أنفسهم: "ممثلو ثلاثة بنوك ضخمة - "سيتي غروب". بنك أوف أمريكا"، "جي بي مورغان تشيس" - ناقشوا طرائق إنقاذ ليمان براذرز"[3].

ناقشوا - يعني عرضوا بيع العمل. البيع بسعر بخس كما فعل: مالكو الضحية الأولى لعملية البيع الشاملة - بنك "بير سيترنز".

"منذ بعض الوقت اشترى "جي بي مورغان" أحد البنوك المساهمة المفلسة وهو بنك "بير سيترنز". ولكن في هذه الصفقة أيضاً ساهمت أموال وزارة المالية الأمريكية... في حالة ليمان براذرز رفض وزير المالية هنري بولسون إعطاء أية ضمانات"[4].

يلعب الاحتياطي الفيدرالي مع وزارة المال في أمريكا ذات اللعبة. إذا كنت تبيع البنك - فإليك أموال وزارة المال ودعم الاحتياطي الفيدرالي. وإن كنت لا تريد البيع - ليس لك أية ضمانات لا من هذه ولا من ذاك. النتيجة - الإفلاس.

مؤسسو ليمان براذرز، كالمدافعين عن قلعة برست، فضلوا الموت على ذل الأسر. أفلس بنكهم، وهذا ليس سيئاً بالنسبة لمنظمي الأزمة: كلما كان الوضع أسوأ كانت الفعاليات أرخص ومالكوها ألين عريكة. وها نحن نقرأ النبأ التالي:

"أضخم بنك لبيع المفرق في أمريكا "بنك أوف أمريكا" يرفض خيار شراء

---

1 http://www.rbcdaily.ru/index5.shtm/.

2 http://www.ma-journal.ru/monitor/187301/.

3 htpp://www.myoffshoreacconts.com/russian/archivelehman-bros-central-bank-act.

4 نفس المصدر.

بنك ليمان براذرز الواقف على حافة الإفلاس ولفت انتباهه إلى الشركة الرائدة في وول ستريت - ميريل لينتش"[1].

كل شيء حسب الخطة. البنك الثالث من الخمسة وضع في حالة صعبة. أمام مالكيه خياران: إما أن يبيعوا طائعين أو أن يفلسوا مرغمين. وكما هو الحال دائماً يساعد في الاختيار الصحيح الاحتياطي الفيدرالي ووزارة المال.

"كما تخبر مصادر مقربة، يصر ممثلو الاحتياطي الأمريكي على انضمام بنك أوف أمريكا وميريل لينتش. تتخوف السلطات المالية الأمريكية أن يعقب الإفلاس المحتمل لبنك ليمان براذرز هلع جماعي للمساهمين ويطال ذلك ميريل لينتش بالذات، التي تبدو اسهمها الأكثر ضعفاً..."[2].

يختار أصحاب البنك التسليم المشرف وليس المقاومة البطولية: 15 أيلول 2008 جرى تأكيد الصفقة.

"جرت أكبر صفقة في عالم المال. بنك أوف أمريكا[3] اشترى بنك ميريل لينتش. في النتيجة أنقذ ميريل لينتش من الإفلاس، وأصبح المشتري أكثر بنك مساهم نفوذاً في العالم"[4].

وهاكم الجواب على سؤال. ما لزوم هذا كله.

أثناء ابتلاع أضخم البنوك المساهمة وضع مفتعلو الأزمة يدهم على أضخم وكالات الإقراض السكني.

" نذكر، 7 أيلول 2008 أعلن وزير المالية الأمريكي عن تأميم الوسيطين فاني ماي وفريدي ماك[5]... توجد عدة سيناريوهات لمصيرهما. أحدها سيُحرم العملاقان من الدعم المباشر وغير المباشر من الدولة وتجزأان وتباعان إلى القطاع

---

[1] http://top.rbc.ru/economics/15/09/2008/243973.shtml.

[2] المصدر ذاته

[3] عندما وردت الأنباء عن هذه الصفقة تكلم بعض المعلقين الجهلاء عن التأميم. أربكتهم تسمية "بنك أو أمريكا". الشبيهة جداً بتسمية البنك المركزي لأمريكا. ولكن لا يوجد في أمريكا بنوك للدولة. وفي الحق، لا لزوم لها، إذا كانت بنوك أخرى أصبحت هي الدولة؟

[4] http://www.rian.ru/video/20080917/1513459.html.

[5] خلف التسميات الملتبسة "فاني ماي وفريدي ماك" تستتر الجمعية الوطنية الفيدرالية للإقراض السكني (فاني ماي) والشركة الفيدرالية للإقراض السكني (فريدي ماك). اللتان أنشئتا في عام 1938 وفي عام 1970 في إطار برنامج حكومي لدعم المقترضين للسكن.

الخاص... الخيار الآخر المحتمل استبدال العملاقين بشركة خاصة واحدة أو اثنتين سوف تشتريان وتضمنان القروض السكنية مع ضمانات قروض من حكومة الولايات المتحدة. هذه الشركات سوف تدار كقطاع خاص وتحتفظ الدولة بحق تعديل مستوى الربح النهائي"[1].

كنت دائماً أعتقد أن التأميم- عندما ينتقل شيء ما إلى ملكية الدولة. بالنظر إلى الأحداث الجارية في "قلعة الديمقراطية". كنت مخطئاً إلى حد بعيد. التأميم - عندما تشتري الدولة شركة خاصة و... تبيعها للقطاع الخاص. أو تشتريها. ومن ثم تقيم بدلاً منها "شركة خاصة أو اثنتين" تزاولان ذات العمل الذي كانت فاني ماي وفريدي ماك تزاولانه. فيما مضى من عهود الاستبداد. إذا سرق أحدهم لنفسه شركة على حساب الدولة. كان هذا يسمى "إساءة استخدام المنصب" ويعاقب عليها القانون بشدة. أما الآن - "تأميم".

حقاً. نضطر للتعلم من الحركة. أما الآن فما زال الشباب من الاحتياطي الفيدرالي، إذ يحتكرون اقتصادات بمالها وليس المصطلحات فحسب، يتابعون عمليات الشراء.

أيلول 2008

"أغلقت السلطات الأمريكية أحد أكبر البنوك في أمريكا - Washington Mutual (WaMu). موجة من سحب الإيداعات أعقبها خفض التصنيف أدت إلى انهياره. الذي أصبح أكبر انهيار في تاريخ النظام المصرفي الأمريكي، تذيع "رويترز". في اليوم نفسه اشترى البنك الأمريكي جي بي مورغان جزءاً من الفعاليات المتحركة للمصرف المنهار (WaMu). أبرمت الصفقة بعد الحصول على موافقة الجهات الفيدرالية المنظِّمة..."[2].

السيناريو ذاته: لا تساعد السلطات البنك المتعثر بل تغلقه - المشتري معروف أيضاً - بنك J.P Morgan Chase. ها هو الجواب على سؤال لماذا: "ستسمح هذه الصفقة بأن يصبح جي بي مورغان الأضخم من حيث حجم الودائع والثاني من حيث حجم الفعاليات في أمريكا"[3].

---

[1] http://top.rb/economics/24101/2009/276093.shtml.

[2] http://top.rbc.ru/economics/26/06/2008/248361.shtm/.

[3] http://top.rbc.ru/economics/26/06/2008/248361.shtm/.

حساب بسيط - بنوكهم تحتل المرتبة الأولى (بنك أوف أمريكا) والثانية من حيث حجم الفعاليات (جي بي مورغان. يمكن التوقف عن طرح الأسئلة المحرجة. ما سبب كون هذه البنوك بالذات سليمة معافاة، في حين تتداعى كل المنظومة المصرفية. في زمن الأزمة يشعر منظموها فقط بالارتياح إلى جانب عدد من أصحاب الحظ الحسن بالصدفة. من هم إذن؟... تعالوا نتذكر قائمة البنوك الثلاثة، التي "ناقشت طرائق إنقاذ" ليمان براذرز. أي حاولوا شراءه هؤلاء هم سيتي غروب، بنك أوف أمريكا، جي بي مورغان.

هؤلاء "الجبارون الثلاثة" هم البنية المصرفية لمنظمي الأزمة.

لقد ابتلع الثاني والثالث بعض البنوك والمؤسسات حان وقت بنكهم الثالث.

تبين أن سيتي غروب... هو الثالث في أمريكا من حيث حجم الفعاليات[1]!

سنتحدث عن قصة مشتريات "سيتي غروب" لاحقاً. إنها لا توضح لوحة مشتريات أصحاب الاحتياطي الفيدرالي لبقايا البنى المصرفية "الغريبة" فحسب. ولكن، يا للغرابة! تمنحنا الأمل بأن ما يخططون له لن يتم.

لننظر إلى "الخماسي الرائع". من ظل عائماً من البنوك المساهمة المستقلة الخمسة الأكبر في أمريكا؟ اثنان: مورغان ستانلي وغولدمان ساكس. كيف أخضعا البقية؟ بتنا نعرف اسم البنك الأول يضم اسم مورغان وذلك يدل على جذور هذه الهيكلية. هذا أيضاً أحد فروع إمبراطورية جون بيربونت مورغان الضخمة. ولبنك "غولدمان ساكس" تشابك لافت. تبين أن وزير المالية الأمريكي الذي "كافح الأزمة بنشاط" في أواخر عهد جورج بوش.. قبل ذلك كان مديراً عاماً لغولدمان ساكس وهو بولسون الذي أصبح وزيراً في حزيران 2006"[2].

مسائل الكوادر في المجال المالي الحساس- هي مسائل مفتاحية في هذا العالم المتوجه مالياً. الذي نعيش فيه جميعاً. لا يعينون أياً كان في هذا المنصب. مثلاً، زعيم الاحتياطي الفيدرالي السابق آلان غرينسبين، الذي يسميه كثيرون أبا الأزمة الحالية. قبل تعيينه في الاحتياطي الفيدرالي عمل في بنك جي بي مورغان. من

---

[1] http://offline.business-magazine.ru/2008/153/908008

[2] http://www.vedomosti.ru/newspaper/article.shtml?2008/07/12/155558.

صاحب هذا البنك؟ لا داعي للتكرار كذلك هنري بولسون جاء إلى منصبه من "غولدمان ساكس" وهذا يعتبر ورقة الكاشف. كل الخيول التي تجر أمريكا والعالم كلـه إلى مسـتنقع الأزمـة جـاءت من إسطبل واحد، فهل هذا صدفة.

ما هو البنك المساهم؟ واضح مـن التسـمية - هـو بنيـة تـودع نقـوداً بشيء مـا. حسـب التعريف الكلاسيكي "الوظيفة الأساسية للبنك المساهم في أمريكـا هـي وظيفـة الإصـدار- إجـراء المحادثات مع الشركات التجارية- الصناعية حول إصدار الأسهم والسندات والإعداد الفني لهـذه الإصدارات، وتأخذ على عاتقهـا الالتـزام بوضـع الأوراق الماليـة في السـوق وشراء الجـزء الـذي لا يوضع في السوق، تحت التوقيع"[1].

"غولدمان ساكس ومورغان ستانلي قريباً سوف يغيران التسمية مـن بنـوك مسـاهمة إلى تجارية وينتقلان إلى تنظيم الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي. أمس قدم كلا المصرفين طلب الموافقة. وتمت الموافقة في اليوم ذاته على الطلبين من الاحتياطي الفيدرالي"[2]. الفرق في أمريكا بين البنك المساهم والبنك التجاري. هو أن البنك التجاري يملك الحـق بالطلـب مـن الاحتيـاطي الفيـدرالي والحصول على قرض نقدي. وليس للبنك المساهم هذا الحق - إنه حر في نشاطاته[3].

"وول ستريت التي نعرفها، ستتوقف عن الوجود" - يقتبس بلومبيرغ عن الرئيس السابق للشركة الفيدرالية لتأمين الودائع ويليام إيزاك[4].

معه حق. فبنك التمويل المساهم - بوابة البيزنس إلى الاقتصاد الكبير. هو يساهم بالنقود، مـن خلاله تجري عملية إصدار أسهم جديدة وسـندات في البورصـة. مـن خـلال البنـوك المسـاهمة تجـري عملية وضع أي بي أو (IPO)[5]. البنوك المساهمة الكبيرة كانت خمسة. أحدها لم يعد موجـوداً. اثنـان اشتراهما منظمو الأزمة. الاثنان المتبقيان يملكهما ذات المنظمين. لمـاذا هـذا العـدد الكبـير مـن البنـوك

1 http://www.b.bliotekar.ru/biznes-21/52.htm.

2 http://www.barral.ru/news/2008/09/23/news-4html.

3 http://www.ingos.ru/ru/news/smilindex.php?formal4=1&id4=3849.

4 http://www.barral.ru/news/2008/09/23/news-4html.

5- ipo (Initial Public offering). - الإدخال الأولي للأسهم، العرض الأولي للأسهم في البورصة

المتشابهة؟ وها هما اثنان مساهمان "يغيران عملهما" إلى تجاريين[1]. لكي يتصلا مباشرة بطابعة النقود: نشاطهما سيكون منذ الآن تحت رقابة صارمة من الدوائر الحكومية، ولكنهما خلال ذلك يحصلان على مدخل أوسع إلى الأموال التي يقدمها النظام الاحتياطي الفيدرالي"[2].

ما هي عناصر المنظومة المالية الأخرى، عدا البنوك التي يجب شراؤها لتثبيت السيطرة الكاملة على سوق المال؟

شركات التأمين. "يساعدونها" أيضاً.

في أيلول - تشرين أول 2008 تجري في أمريكا عملية "إنقاذ" أخرى. هذه المرة السلطات "تنجد" عملاق التأمين American International Group (AIG). مساعدة غريبة جداً. "في رسالته إلى لجنة الأوراق المالية والبورصات قال موريس غرينبرغ رئيس AIG، لم يفت الأوان تماماً لتغيير شروط القرض الذي أعطته السلطات الأمريكية بملبغ 122.8 مليار دولار، لتجنب إفلاس عملاق التأمين لاحقاً"[3].

موريس غرينبرغ صرح بعقلانية أن "خطة الإنقاذ" بشكلها الحالي سيحمل للميزانية وAIG الخسائر فقط. لأن الحكومة الأمريكية مقابل تقديم القرض تشتري 80% من أسهم عملاق التأمين بسعر رخيص، رجل التأمين المجرب (عمره 82 سنة) يبدو أنه لم يكن يفهم ما الذي يجري ولماذا. ولذلك فهو يفاقم صعوبات شركته بتصريحه غير المناسب. "برأي غرينبرغ يجب أن يكون لشركة AIG شروط القرض ذاتها التي هي لبقية المؤسسات المالية"[4]. ولكن بدلاً من ذلك يعرض عليه الاحتياطي الفيدرالي قرضاً لمدة سنتين بنسبة فائدة مرتفعة جداً. وبالتزامن مع ذلك، تلقى AIG وموظفوها اهتماماً غير مبرر من النائب العام أندرو كومو. الذي يبدأ فوراً التحقيق في "المصاريف الزائدة، غير المبررة للشركة. الفضول الغريب بخصوص رجال تأمين مسالمين بدأ يؤرق مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI):

---

[1] بعد أن جعلوا مورغان ستانلي بنكاً تجارياً. باعوا جزءاً (21%) منه للعملاق المصرفي الياباني Mitsubishi UFJ Financial Group.

[2]-http://news.bbc.co.4k/hi/russian/business/newsid.7628000/76 2860m.stm.

[3] مجلة إكسبرت عدد 41، 20-26 تشرين الأول 2008 ص. 12.

[4] نفس المصدر.

"إف بي أي بدأ تحقيقاً بخصوص شركات أمريكية ضخمة من بينها فاني ماي، فريدي ماك، ليمان براذرز وAIG" [1].

لم يتعلم الحكمة رغم تقدمه بالسن فلو أن رئيس AIG أعطى شركته بهدوء، بشكل عائلي- لتقاعد بهدوء. ولم يكن عليه أن يقلق بشأن أحفاده ومساعديه ونوابه. أما الآن فالنائب العام لنيويورك ينتقد على الملأ حسومات مدراء الشركة. أما وسائل الإعلام المستقلة "فجأة" تنشر أنباءً عن المؤتمرات التي تنظم بشكل فاره غير مبرر في الفنادق الضخمة، وكذلك رحلات الصيد الفارهة التي تقام للزبائن والوسطاء في بريطانيا. هكذا قد يصلون إلى الفضائح العائلية وصولاً إلى فقدان الاحترام والسمعة.

كل أجزاء هذه الآلة الضخمة تعمل بتناغم نادر.

النظام الاحتياطي الفيدرالي، المؤسسات الحكومية، هياكل القوة ووسائل الإعلام المستقلة تخرج من جلدها ليشتري منظمو الأزمة كل ما خططوا له في الوقت المناسب وبثمن زهيد.

العدالة في أمريكا - نموذج يحتذى في العالم كله. هذا ما يقوله كثيراً متغربونا. في هذه الحالة أنا متفق معهم. فعالية الإجراءات واضحة، السرعة النتائج. لديهم ما نتعلمه. انقضى شهران فقط وعلى أشرطة وكالات الأنباء جاء في 28 كانون الثاني 2009 الجزء التالي:

"نائب الرئيس السابق لأكبر شركة تأمين في أمريكا AIG كريستيان ميلتون حكم عليه بأربع سنوات سجن لإخفائه معطيات وتضليل المساهمين"[2].

هذا العارف بالقوانين ذو الاثنين وثمانين عاماً يوافق على بيع شركته.

"شركة التأمين أميريكان إنترناشيونال غروب أنقذت من الإفلاس من قبل حكومة الولايات المتحدة. ستبيع فعاليات بمبلغ 40 مليار دولار. المشتري هو رصيد مايدن لاين II، الذي أنشأه بنك نيويورك الاحتياطي الفيدرالي. أنشئ هذا البنك

---

[1] http://www.vedomosti.ru/newsline/index.shtml?2008/09/24/658370.

نرى في هذه القائمة التي اهتم الـ (FBI) بها كل من لم يرد البيع بالحسنى.

[2] http://www.bfm.ru/news/2009/01/28/byrshij-viceprezident-aig-poluchil-4-goda-tjurmy.html.

لتنظيف ميزانية AIG من سندات الدين المغطاة بقروض سكنية. تضيف AIG أيضاً إلى الرصيد 5 مليار دولار نقداً. صفقة AIG ومايدن لاين II، هي جزء من حملة ضرورية لتخليص AIG من التزاماتها بالرهون. جرى في الواقع تأميم الدولة للشركة بالحصول على قرض من الاحتياطي الفيدرالي في منتصف أيلول 2008 مقداره /85/ مليار"[1].

جرى في الواقع تأميم الدولة لـ AIG؟ كلا لا وجود لأي تأميم. الدكان الخاص للاحتياطي الفيدرالي - جزء مكون له هو بنك نيويورك للاحتياطي الفيدرالي أنشأ الرصيد الذي اشترى شركة التأمين. فما شأن التأميم هنا؟ الدولة تتحايل ببساطة، ولكنها لا تحصل على شيء. يقولون ببساطة للنائب العام أين ومتى يجب أن يعمل. إلى من وإلام يجب أن يدقق النظر.

أكبر "المودعين" في الكوكب يدخلون الآن في إطار واحد. وسيذهب المودعون الكبار المستقلون إلى الماضي. سيودعون النقود حيث يأمر الاحتياطي الفيدرالي. أو بالعكس- لا يودعون حتى إذا بدا ذلك مربحاً جداً. بنفس الطريقة أصبحت عملية إصدار الأسهم محتكرة إلى أبعد الحدود. في النهاية كل نقود العالم تتركز في أيدي جهة واحدة- سوف تستمر في الوجود "ثغرة" واحدة في عالم المال الساحر هذا.

هذا ما خطط له منظمو الأزمة. ويبدو أن الخطة لا تنجح كما يأملون. لا يجري كل شيء بسهولة ونعومة. ما زال في الولايات المتحدة جزر صغيرة لمؤسسات مالية مستقلة. هب أنها صغيرة بالمقارنة مع الإمبراطورية المتجمعة لدى أصحاب الاحتياطي الفيدرالي. إلا أنها رغم كل شيئ ما زالت صامدة. آن أوان النظر بتمعن إلى قصة شراء من مشتريات "سيتي غروب". إنها قصة بينت لنا من جديد أن الأزمة ضرورية جداً لمن نظمها! لأن المناهضين لهم والذين يعملون ضدهم ما زالوا موجودين في أمريكا حتى الآن. تحت ضوضاء الأزمة أراد "سيتي بانك"، الذي يشغل المرتبة الثالثة من حيث الحجم. أن يبتلع الرابع من حيث الحجم بنك واكوفيا (Wachovia) قصة بيع- شراء هذا البنك ذات إثارة كبيرة. وهي تستحق النظر فيها بالتفصيل

---

[1] http://www.lenta.ru/news/2008/12/16/aig/.

لأنها تبين مرة أخرى بشكل واضح كيف يعمل الاحتياطي الفيدرالي مع وزارة المال كفريق واحد. ويحاولان بكل قواهما أن تشتري البنوك اللازمة ما يلزم شراؤه لتأمين الاحتكار النهائي لأسواق المال.

هاكم جوهر ما حدث. اهتز بنك واكوفيا، إذ عانى من مصاعب، حسب سيناريو منظمي الأزمة يجب أن تشتريه سيتي غروب (Citigroup). إلا أن بنكاً آخر لا يتبع لهم... حاول شراءه أيضاً.

"ويلس فارغو... عبر عن استعداده لشراء البنك بسعر إغلاق تعاملات البورصة في يوم الجمعة (10 دولارات للسهم). لكنه طلب مهلة عدة أيام لتقييم الوضع نهائياً. وهنا حصل ما لا يصدق: رفض الاحتياطي الفيدرالي عرض "ويلس فارغو" للشراء، بحجة الوضع المتأزم لبنك "واكوفيا" - كما لو أنه لن يصمد حتى الاثنين! لماذا - غير مفهوم لأن 10 دولارات للسهم بعيد عن الحالة التراجيدية، أما القروض السكنية ذات النوعية الرديئة فبقي لها أن تذهب إلى العجز. إضافة إلى أنه لم يكن معلوماً متى يحدث ذلك والأهم بأي حجم. حسب التقييمات الأولية، في محفظة قروض "واكوفيا" البالغة 312 مليار دولار. يخضع منها 42 مليارا للعجز - هذه الأرقام بالذات هي التي حاول تدقيقها "ويلس فارغو".

بعد أن رفض الاحتياطي الفيدرالي التأجيل، تنحى "ويلس فارغو" عن المحادثات وفي الحال قفز إلى المسرح "سيتي غروب"... وعرض دولاراً واحداً للسهم! عندما سمع روبرت ستيل مدير عام "واكوفيا"، ذلك العرض المهين في البداية فقد القدرة على الكلام. ثم حاول التعبير عن رفضه بالإيماء. وعلى الفور أتاه دلو من الماء البارد من مسؤولي الدولة: إذا لم يقبل "واكوفيا" بشروط "سيتي غروب" سيتم الحجز على كل فعاليات البنك من قبل الشركة الفيدرالية لتأمين الودائع بحجة أن "واكوفيا" يكون "مجازفة دائمة" للاقتصاد القومي!.

التهديد بحد ذاته غير مسبوق. ولكن عندما تعرف تفاصيل الصفقة ينتصب الشعر: تحصل "سيتي غروب" على "واكوفيا" بسعر أقل من ثمن العقارات الموجودة في ميزانية البنك، وتحيل أيضاً... للدولة، وفي نهاية المطاف لدافعي الضرائب الجزء الأكبر من المجازفة في التقصير القادم عن سداد قروض "واكوفيا" السكنية! من

محفظة قدرها 312 مليار دولار يتكرم "سيتي غروب" بأن يأخذ على عاتقه 42 مليار دولار من الخسائر المحتملة في حين تتكفل شركة تأمين الودائع بتغطية الباقي.."[1].

ماذا عن السلطات الأمريكية؟ إنها - تؤيد حل المشكلة! "عقدت الاتفاقية بالاتفاق مع... النظام الاحتياطي الفيدرالي ووزير المالية الأمريكي"[2].

مفهوم تصرف سيتي غروب، الوقح والمجازف - وراءه يقف وزير المالية والاحتياطي الفيدرالي معاً. أي الدولة التي خصخصها المصرفيون. في هذه الحالة يمكن شراء أقل الفعاليات وثوقية - الخسارة مستحيلة. لم نفهم شيئاً بصورة خاطئة كل شيء هكذا كان: "في حالة التنسيق بهذه المحفظة يأخذ "سيتي غروب" على عاتقه 42 مليار دولار من الخسائر، أما إذا كانت الخسائر أكبر، فتأخذها السلطات الأمريكية على عاتقها"[3]. إذا كانت "آلة الطباعة" تلعب إلى جانبك وهي أيضاً تتأبط الدولة تحتها - فالخسارة غير محتملة، مستحيلة.

"لو عرفت الورقة المستورة - لعشت في سوتشي" - هكذا قال المقامرون بالورق "الشدة" في المرحلة السوفيتية. من يخمن الورقة المستورة. يعيش في سوتشي. أما الذين يحددونها، فيقطنون في أماكن مغايرة تماماً.

استمر الاحتلال الخاطف لبنك "واكوفيا" بكل قوانين الأسلوب.

"في الإثنين 29 أيلول كما يجب أن نتوقع بعد إعلان الصفقة، أسهم "واكوفيا" افتتحت بسعر دولاراً واحداً و26 سنتاً. وخلال عمليات البيع والشراء انخفضت حتى سنتاً واحداً للسهم! لكي نتصور كل هذا الكابوس في الوجوه لنضع أنفسنا مكان مساهم في "واكوفيا" - ليس تاجر البورصة، وإنما عامل الإحصاء البسيط. الذي عمل في البنك طوال حياته وادخر لشيخوخته، لنقل، مليون دولاراً. ليس نقداً، بالطبع، بل أسهماً في البنك الذي أحبه وعمل فيه. وفي يوم واحد هذا المليون يتحول إلى... ألف!.

---

[1] القصة مأخوذة من مقالة سيرغي غولوبينسكي في مجلة "بيزنس ماغازين"
http://pda.business-magazine.ru/index.php?action=article&id=308008.

[2] http://www.vedomosti.ru/newsline/index,shtml?2008/09/29/660574.

[3] http://pda.business-magazine.ru/index.pbp?action=article&id=308008.

وراء الأحاديث عن النبل (بإنقاذ) واكوفيا (أخذ المصرف النيويوركي "سيتي غروب" يطبل ويزمر في كل زاوية لتضحيته وعدم مصلحيته، إذ زعم أنه مد يد العون لشركة (تحتضر) ونسي الجميع بشكل ما السبب الذي أعطى مبرراً للاحتياطي الفيدرالي لرفض طلب التأجيل من قبل "ويلس فارغو" لصياغة طلب شراء البنك بـ 10 دولارات للسهم: زعموا أن البنك لا يملك مالاً حراً يكفي حتى لفتح أبواب مكاتبه يوم الإثنين. بينما، وبعد اختصار الرسملة عشر مرات تابع "واكوفيا" العمل بشكل رائع. الأحداث اللاحقة تطورت كما في فيلم بوليسي من الطراز الأول. الاتفاقية النهائية بين "واكوفيا" و"سيتي غروب" خططوا لتوقيعها يوم الجمعة 3 تشرين الأول، وفجأة- مساء الخميس، بعد إغلاق جلسة البورصة- انتشر في العالم نبأ لافت جداً ومثير: عاد "ويلس فارغو" إلى طاولة المفاوضات بعرض مدهش: شراء "واكوفيا" بـ 7 دولارات للسهم، المحافظة على وحدة الشركة، رفض مساعدة الدولة! الأهم في عرض "ويلس فارغو" - ليس كسر سعر "سيتي غروب" بسبعة أضعافه، بمقدار ما هو الالتزام الطوعي بكل ديون "واكوفيا" من القروض السكنية قبل "واكوفيا" على الفور شروط "ويلس فارغو" وفي نفس اليوم- الخميس- وقع اتفاقية نهائية بالبيع- شبيهة بتلك التي خطط لتوقيعها الجمعية مع "سيتي غروب". يبدو أن العدالة انتصرت. يعني- زفرات الارتياح في السوق والسجال في البورصة على موجة من التفاؤل الوطني: ما زال الفرسان البيض موجودين رغم كل شيء، في المملكة المتهالكة! ولكن يوم الجمعة هز "سيتي غروب" الآفاق بعويله المضني عن الخرق الخياني لما يدعوه "اتفاق النوايا" الذي يحفظ "لسيتي غروب" الحق الحصري بعقد الاتفاق وهدد كلاً من "واكوفيا" و"ويلس فارغو" بعقاب أهل السموات القاسي، إلا أنه حسب التقاليد الأمريكية الطيبة. على شكل تحقيق قضائي"[1].

من الذي يجب أن يدعمه النظام الاحتياطي الفيدرالي إذا كان مهتماً فعلاً باستقرار السوق المالي لمصلحة الدولة؟ هل تدعم "سيتي غروب" التي اشترت جزءاً من البنك بثمن بخس وعلقت الخسائر المحتملة على الدولة أم "ويلس فارغو" الذي

---

[1] http://pda.business-magazine.ru/index.php?action=article&id=308008.

اشترى البنك بسبعة أضعاف السعر وأخذ على عاتقه كل الخسائر؟ سوف يبدو قرار الاحتياطي الفيدرالي غير معقول إذا لم نفهم البطانة الخفية لما يجري: "رغم أن الاتفاقية الرسمية بين "سيتي غروب" و"واكوفيا" لم توقع، يبدو أن السلطات تفضل هذه الصفقة بالذات. شركة تأمين الودائع الفيدرالية "تدعم الاتفاقية الأولى". أعلن رئيس هذه الشركة شيلابير"[1].

"ظاهراً فقط يبدو هذا الموقف عبثاً مرعباً: الحكومة لا توافق على بيع "واكوفيا" بسبع دولارات، بالمقابل تدعم الصفقة بدولار واحد وزيادة على ذلك أنها على حساب دافع الضريبة. في الحقيقة تبين أن الحبكة أكثر دقة بكثير. يوم السبت سحب محامو "سيتي غروب" القاضي النيويوركي تشارلز راموس من فراشه، الذي منع مؤقتاً الصفقة بين "واكوفيا" و"ويلس فارغو" حتى الانجلاء النهائي للظروف، المتعلقة ببند الحصرية في اتفاق النوايا الموقعة من "سيتي غروب". يوم الأحد جاءت الضربة الجوابية: قاضي المستوى الأعلى ألغى قرار راموس. أما في كارولينا الشمالية ونيويورك سُجلت شكايتان معاً ضد سيتي غروب من قبل قضاة فيدراليين"[2].

ويتكلمون عن "العدالة التترية" في روسيا! بالنظر إلى هذه القصة، نحن بهذا لا نتخلف عن كل "الإنسانية المتحضرة".

"رغم أن كل الأسبوع الماضي انقضى في محادثات شكلية بين "ويلس فارغو" و"سيتي غروب" حاولا فيها الوصول إلى حل وسط (مثل تقاسم فعاليات واكوفيا: 20% - سيتي غروب. 80% - ويلس فارغو) كان واضحاً أن بنك نيويورك سيتراجع، لأن بعد الفضح الإعلامي على الملأ، بدت صفقته على حقيقتها- خدعة تحت السجادة. وضعت نقطة النهاية في هذه القصة "البوليسية المثيرة" يوم الخميس 9 تشرين الأول: تنازل سيتي غروب عن الصفقة رسمياً ووعد ألا يسبب صعوبات لبنك "ويلس فارغو". للحفاظ على ماء الوجه توعد "سيتي غروب" أن ينتزع في المستقبل عبر القضاء من الخائنين تعويضاً معنوياً بمبلغ 60 مليار دولار"[3].

---

[1] http://pda.business-magazine.ru/index.php?action=article&id=308008.

[2] http://pda.businss-magazine.ru/index.php?action=article&id=308008.

[3] http://offline.business-magazin.ru/2008/153/308008.

هذه القصة- هدية للمتفـائلين لا يـتمكن منظمـو الأزمـة مـن شراء الجميـع وكـل شيء. وعلى ما يبدو لن يتمكنوا. لذلك لنكن متفائلين. والأحداث على السـاحة العالميـة تزيـدنا تفـاؤلاً إذا ما فهمناها بشكل صحيح.

آن الأوان لكي نعود إلى "العجائب" الأمريكية. فأمريكا تطبع الدولارات بسرعـة متزايـدة فالطلب عليها ازداد ويزداد: تكاليف مستوى الحياة المرتفع لسكان كفـوا عـن العمـل، تكـاليف تحسين حياة دول أخرى اختارت الديمقراطية أي أن لها موقعاً إستراتيجياً هاماً، أو تملـك ثـروات طبيعية أو تجاور بلداناً تملك ما أشرنا إليه من خصائص. ليس سراً كون أمريكا تتميز بـأكبر ديـن دولة في العالم. حتى هذا اليوم يبلغ- 10.5 تريليون دولار. دين الدولة- هو عندما تكون الدولـة مدينة لأحد ما. والدولة الأمريكية مدينـة أكـثر مـن سـواها. إنهـا باسـتمرار تسـتدين وتسـتدين بمقاييس متزايدة.

"أعلنت الخزينة أنها سوف تستدين في هذا الربع مبلغاً ضخماً- 493 مليار دولار. شركـة الدراسات Wrightson ICAP تتوقع في هذا العام أن تصدر الخزينة سـندات ماليـة بمبلـغ 1.8 تريليونـاً تشـكل مـع سـندات العـام المـاضي مبلغـاً يفـوق اسـتدانته أمريكـا خـلال الأعـوام 27 الأخيرة"[1].

أمامنا تناقض- طابعة نقود تغرق... في الديون!

كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ كلما كان حجم ديونك لدى الآخرين أكـبر كـان أفضـل لـك. هذا بديهي. فمن أين يأتي دين أمريكا ذاتها؟ فإذا كان بإمكانك أن تطبع النقـود. هـل يمكـن أن تستدين من الآخرين نقوداً طبعتها أنت ذاتك؟

تبـين أن أمريكـا تسـتدين! بـدلاً مـن أن تطبـع دولارات... تسـتدين أمريكـا الـدولارات الأمريكية ذاتها! كل سندات دين الدولة الأمريكية تصـدر بالـدولار تحديـداً (سـندات الخزينـة، Treasuries) وأمريكا تستدين من الصين وروسيا واليابان. هذه البلدان بالتحديد هي المشـتري الأساسي لتواقيع دين الدولة الأمريكية، التي تشكل دين الدولة. لتمام العبث - لا تـدفع أمريكـا نسبة فائدة لكل مالكي سنداتها.

---

[1] الحديث عن الربع الأول 2009. .http://magazine.rbc.ru/economist/27/02/2009/283440.shtml

هل هذا فصام من نوع ما، تخريف؟ للأسف هو حساب عقلاني. تنفتح أمامنا آلية تأمين بصيغة استدانة عبثية لأوراقها الخاصة. مطفئ النار، سلم إطفاء الحريق صمام يحول دون الانفجار. إذا علمنا متى بدأت أمريكا بزيادة حجم دينها، يمكننا أن نفهم بدقة، متى شغلت أمريكا طابعتها بكامل استطاعتها. لأنه، وإن كان هذا يبدو غريباً على السمع، زيادة حجم دين الدولة الأمريكية لا يعني خفض إصدار الدولارات بل زيادته. كلما ارتفع حجم دين الدولة كانت الدولارات المطبوعة من قبل الاحتياطي الفيدرالي أكثر. والأدق بالعكس كلما ازداد عدد دورات آلة الطباعة يصبح بعد بعض الوقت دين الدولة الأمريكي أكبر.

إذا كان لديك طابعة نقود في المطبخ، لا تشكل طباعة النقود مشكلة. المشكلة في أمر آخر- أن لا تطبع أكثر من اللزوم. لا بد من المحافظة على التوازن بطريقة سحرية ما. أي أنه لا يجوز السماح بزيادة إنتاج النقود. ماذا تعني زيادة إنتاج النقود؟ انخفاض قيمة النقود، هي العجز بذاته. بالطبع لا يمكنك أن تتخلص منه بالكامل. المهم - لجم العجز. إذا كنت تطبع النقود فقط فالعجز مفيد. تزداد الأسعار وتزداد الحاجة للنقود. ألم تفكر ملياً أبداً لماذا يخاف الاقتصاديون المرموقون من العملية المعاكسة- التقويم؟ أي خفض مستوى الأسعار غلاء النقود؟ لأنه في هذه الحالة لا حاجة لنقود جديدة. يعني لا لزوم لكل ذلك الهرم المصرفي الذي بني في الكوكب بدءاً من عام 1913.

المسألة ليست سهلة. يجب طبع النقود والحصول على الموارد العالمية بدون ثمن وفي الوقت ذاته عدم إنتاج النقود أكثر من اللزوم. لقد وجد الحل، حل بسيط وعبقري.

تجب استدانة النقود المنتجة بنسبة فائدة. ولكن لا بد من موافقة أولئك الذين حصلوا على النقود التي طبعتها هل يوافقون على إعطائك الدين؟

"يشتري الأوراق المالية الأمريكية مساهمون أفراد، أرصدة المتقاعدين، بنوك شركات. ولكن بشكل أساسي دول أخرى. أمريكا مدينة بأكبر الديون للصين واليابان لهما أكثر من تريليون. البلدان الآسيوية تبيع بضاعتها بالدولار تقليدياً. ويحتفظون بالاحتياطات الضخمة من المدفوعات بالدولار. بما في ذلك في الديون

الأمريكية. كذلك من بين البلدان - إنكلترا، البرازيـل والبلـدان المصـدرة للـنفط. روسـيا في المركـز الثامن. حسب المعلومات الرسمية لنظام الاحتياطي الفيدرالي للولايات المتحدة، في تشرين الأول أبقت الحكومة الروسية في السندات الأمريكية أكثر من 80 مليار $"[1].

"وفق المعطيات التي نشرها البنك الشعبي الصيني، نهاية أيلول الاحتياطـات النقديـة في البلاد تجاوزت حد 1.9 تريليون دولار أمريكي، بلغت 1.905 تريليون دولار"[2].

" منـذ نهايـة 2001 حتـى آذار 2007 ادخـرت الصـين واليابـان معـاً 1.5 تريليـون دولار بالعملة الأجنبية الصعبة منها 5/4 ائتمانات بالدولار أي سندات الخزينة الأمريكية..."[3].

تبين أنهم موافقون أن يعطوا ديوناً. انظروا إلى قائمـة دائنـي أمريكـا: اليابـان هزمـت في الحرب العالمية الثانية - روسيا - الحرب الباردة. الصـين إذ بـدأت صـداقة مـع أمريكـا في 1973. احتفلت في 2008 بالذكرى الثلاثين للإصلاحات الاقتصـادية. هـذه الإصـلاحات نقلـت إلى الصـين حصة الأسد من الإنتاج العالمي. يضع الصينيون الجزء الأكبر من النقود التي يجنونها من أمريكـا ومن الغرب عموماً في السندات الأمريكية، لأن هذا كان أحد الشروط لتحول أمريكـا في العلاقـة مع الصين. مـن بقـي إنكلـترا - شـقيق تـوأم لأمريكـا أو مصـدرو الـنفط مـن العـرب فالقواعـد الأمريكية موجودة على أراضيهم.

حصل على الساحة العالمية ما حصل في أمريكا بعد انتزاع الذهب من السـكان، الـذي قـام بـه روزفلت. عند ذاك أصبح الأمريكيون يدخرون مجـرد ورق. أمـا الآن فـدول بحالهـا تفعـل الشيء ذاتـه، وهذه الدول تملك احتياطات "عملة ذهبية" في الكلام فقط. في واقـع الأمـر يشـكل الـذهب 11% مـن احتياطات روسيا وكل الباقي- احتياطات بالعملة الصعبة. لكن ذلك ليس أكداساً مـن أوراق البنكنـوت

---

[1] news.mail.ru/politics/2271724/.

[2] http://russian.people.com.cn/31518/6515561.html.

[3] غرينسبين ا. عصر الاضطرابات، موسكو: البينا بيزنس بوكس، 2008 ص. 460.

البتة، وحتى ليس عملة صعبة، بل سندات في أغلبيتها- أمريكية وليست ورقية. إنما كومبيوترية إلكرتونية. عندما تحتاج دولتنا للعملة الصعبة، تحدث عملية عكسية: تباع السندات للدولة الأمريكية، فيحصل على الدولارات، ومن ثم تنقل إلى روسيا.

بالحصول على ثروات العالم مجاناً وبدفع مقابلها ورقاً. يقوم الأمريكان بخدعة حاذقة، إنهم يلمون الورق الأخضر، المسمى دولارات وبدلاً منها يعطون ورقاً من لون آخر يسمى سندات خزينة الدولة الأمريكية. ولكن في القرن الحادي والعشرين أصبحت العملة الورقية شكلاً قديماً تجاوزه الزمن. يعني بدلاً من الأرقام الحالية سوف ترسم أرقاماً على شاشة الكمبيوتر. وسوف تحسب على أساسها أيضاً نسب الفائدة الافتراضية.

في النتيجة تم الحصول على الثروات. وجزء من الدولارات التي أصدرها الاحتياطي الفيدرالي أصبح معقماً. غير مؤذ ويتكوم جثة هامدة. دون أن يجلب لمالكيه أية فائدة. ونسبة الفائدة؟ حتى هذا لا يُضحك.؟ أي فرق على أي مبلغ تكتب الأصفار في الكمبيوتر الأمريكي الحكومي قبالة سطر "الصين" أو "روسيا"؟ عندما يجري الحديث عن المليارات والتريليونات، فالملايين الإضافية من الفائدة لا تلعب أي دور. ودين الدولة الأمريكية ارتفع بما يساوي مجموع الدولارات "المنزوعة الأذى".

هذا جميل وأنيق. المشكلة فقط في أن مقدار هذا الدين ارتفع إلى أرقام فلكية. يمكن لأمريكا أن تطبع نقوداً ما شاءت. يُظهر ازدياد دينها بشكل غير مباشر مقدار النقود التي طبعتها. لماذا بشكل غير مباشر؟ لأن ازدياد دين الدولة. السندات- هو فقط إحدى أدوات نزع الأذى من الدولارات. الأدوات الأخرى المعروفة: العقارات وسوق الأسهم. إليها بالذات تخرج النقود المطبوعة. وتخرج طواعية. المصرفيون يعرفون جيداً الطبيعة الإنسانية. ماذا سيفعل صاحب النقود: يفتتح عملاً، يبني بها مصنعاً، وينتج سلعة ما أو ببساطة يشتري أسهماً، ويحصل في النتيجة، دون أن يعمل شيئاً، على دخل يكاد يكون كبيراً؟ تختار الغالبية الساحقة من البشر الخيار السهل. وبعد فترة من الزمن تفقد نقودها!.

ماذا يحتاج مالك "الآلة الطابعة"، لكي يطلقها من جديد على كامل الاستطاعة؟ حرق، إزالة الكتلة النقدية التي أُنتجت سابقاً. وكلما كان المبلغ المزال (المحروق) أكبر كان الوضع أفضل. النقود التي طبعها الاحتياطي الفيدرالي وبعثرها في الكون، أصبحت ملكاً لشخص ما آخر. هذا الآخر لم يحصل عليها مجاناً، وإنما باع شيئاً في السوق. أودع النقود الحاصلة في البنك واشترى منزلاً. كان لديه مليون دولار: وضع نصفه في أسهم. والنصف الآخر في المنزل. تبدأ الأزمة: الأسهم الآن لا تساوي 500 ألف دولار وإنما 50 ألف دولار، والمنزل لا يساوي 500 ألف... بل 250 ألف دولار.

النتيجة: بدلاً من مليون دولار بقي 300 ألف. الـ700 ألف المتبقية تبخرت ببساطة.

والآن تصوروا ذلك "التجفيف والنفض" للنقود بمقياس الكوكب كله. كم يحترق من نقود؟ كم يختفي؟ عشرات ومئات تريليونات الدولارات والجنيهات واليورو. يستحيل إحصاؤها بدقة. ولكننا نقرأ في الصحف أو الإنترنت:

"خسائر وكالتي الإقراض السكني (فريدي ماك وفاني ماي) تقدر في هذا العالم بمبلغ 14 مليار دولار"[1].

"أضخم بنك في ألمانيا Deutshe Bank تكبد في الربع الرابع 2008 خسائر بمقدار 4.8 مليار يورو. في الفترة ذاتها من 2007 ربحت الشركة مليار يورو"[2].

"خسائر Royal Bank of Scotland خلال عام 2008 قد تبلغ 28 مليار جنيه"[3].

"أضخم بنك أمريكي Citigroup أبلغ عن خسائر صافية بمقدار 5.11 مليار دولار خلال الربع الأول من عام 2008"[4].

---

[1] http://www.financialblog.ru/2008/09/09/famnie-mne-i-freddie-mac-sladkaya-parochko.html.

[2] http://www.insurance.ua/banki-finansy-kredity-nedvizhimost/deutsche-bank poteryal-za-kvavtal.html.

[3] http://www.insurance.ua/banki-sinansy-kredity-nedvi-zhimost/ubytok-royal-bank-scotland-za-2008.html.

[4] http://www.lenta.ru/news/2008/04/18/cit1/.

"أضخم بنك في سويسرا - UBS - أعلن عن خسائر 358 مليون فرنك سويسري (221 مليون يورو أو 329 مليون دولار) في الربع الثاني من 2008 وأبلغ عن التنسيق اللاحق لمبلغ 5.1 مليار دولار في المواقع المتعلقة بالقروض عالية الخطورة"[1].

من النصف الثاني من 2008 لا تنقطع مثل هذه الأنباء.

إذا كان الهدف الأول للأزمة شراء الفعاليات، فإن هدفها الثاني- حرق الكتلة النقدية بطريقة إثارة المصاعب، الإفلاسات والتنسيقات في مجال البنوك.

بالمناسبة إذا لم يتحقق الأول يصبح إنجاز الثاني أصعب. إذا أصبحت كل المؤسسات المالية الأساسية تحت السيطرة، سيكون من السهل البدء بخطة "التعافي". القيام بعملية سحب دم علاجية- للمنظومة المالية العالمية. فيما مضى كانوا يسحبون الدم الفاسد من المرضى واليوم يسحبون النقود الفاسدة من المنظومة المريضة.

نقطة هامة. الجميع يقولون أن زيادة إنتاج الدولار سببت الأزمة أي أن الأزمة- صدفة مؤسفة حصلت نتيجة تطفل أمريكا على بقية البشرية. في الجذور هذا ليس صحيحاً.

في واقع الأمر ليس سبب الأزمة الزيادة في إنتاج الدولارات، وإنما "تعقيمها" في كل مكان. ليس طباعة نقود جديدة سبباً. بل هو عملية فوق سريعة لإزالة النقود المطبوعة في السنوات السابقة.

انفجر البالون ليس لأنهم ضخوا فيه هواء زائداً. بل انفجر لأنهم وخزوه بإبرة، عن وعي. إذ جهزوا الإبرة مسبقاً على هيئة التأمينات المالية سي دي إس. والقانون الجديد بحساب الفعاليات على موازنة FASNE 157 "القياس بالقيمة العادلة".

هذا يعني أن الأزمة بفعل فاعل. ليست صدفة وحتمية! إنها المحاولة الأخيرة للحفاظ على النظام الموجود، إعادة تحميله حمولة زائدة. إحراق النقود جعلها نادرة جداً وإطلاق آلة الطباعة من جديد.

ولكن الأمر لن ينجح. فقد تغير العالم دون رجعة- لن يرجع العالم إلى الخلف، إلى مجتمع الاستهلاك دون كوابح. لقد مات عالم الدولار الذي عرفناه.

---

[1] http://www.bn.ru/news/2008/08/12/35465,html.

فهل سيموت الدولار ذاته؟ سوف نرى ذلك في القريب العاجل. في كل الأحوال لن يكون أبداً ذلك "الثعبان" الأخضر كلي القدرة الذي عرفناه سابقاً.

والآن يمكننا أن نضع الخطوط الأخيرة في لوحة الأزمة العامة ووضع روسيا في العالم المعاصر.

2008/9/22 "الرئيس السابق لهيئة الطاقة الذرية الروسية أناتولي تشوبايس عين رئيساً للشركة الحكومية "الشركة الروسية للنانو تكنولوجيا" (روسنا نوتيخ)... وقد أنشئت بقانون فيدرالي بتاريخ 19 تموز 2007 "لتنفيذ سياسة الدولة في مجال النانو تكنولوجيا، وتطوير البنية التحتية للابتكارات في مجال النانو تكنولوجيا، تنفيذ مشاريع إقامة تقانات نانو "المستقبلية وصناعة النانو".

في 2007 خصصت حكومة روسيا الفيدرالية 130 مليار روبل لأنشطة الشركة"[1].

2008/9/26 "أعلن جي بي مورغان رسمياً عن دخول أناتولي تشوبايس في المجلس العالمي للبنك كما ينص خبر البنك، الرئيس السابق لإدارة هيئة الطاقة الذرية الروسية أصبح أول رئيس لدوائر الأعمال الروسية يدخل في قوام الهيئة الاستشارية الرئيسية لبنك جي بي مورغان. ويميز في الخبر. سوف يستفاد من خبرة تشوبايس للقيام بالتمويل المساهم في روسيا وبلدان وسط أوروبا. سوف يعمل تشوبايس في المجلس دون مقابل"[2].

ماذا يعني كل هذا؟ لماذا تشوبايس بالذات يعين في منصب رئيس بنية حكومية روسية، يتعلق بعملها مستقبل البلد وعلمه، أي كل سكانه أيضاً؟ لماذا هو بالذات ترأس بنية يعول عليها أن تحقق خرقاً في التكنولوجيا وأن تعطي اقتصادنا انطلاقة نوعية جديدة إلى الأمام؟ وأيضاً يبدو غير مفهوم أكثر دخول المحترم تشوبايس فوراً بعد هذا التعيين في المجلس العالمي لبنك أمريكي، وليس بنكاً بسيطاً، بل بنكاً يحمل اسم مؤسس الاحتياطي الفيدرالي جون بيربونت مورغان. أحد البنوك الذين اشتروا بنشاط بثمن بخس بقايا المؤسسات المالية المستقلة، في ماء الأزمة العكر.

---

[1] http:top.rbc.ru/economics/2/09/2008/247374,shtml.

[2] http://credit.rbc.ru/company-news/other/2008/09/26/58557.shtml.

إن كنتم لا تفهمون ذلك؟ تمشّوا في موسكو الجميلة وانظروا إلى أسماء الشوارع. اقرؤوا بانتباه "أوردينكا الكبير". "أوردينكا الصغير". "أوردينكا المسدود". برزت هذه التسميات في القرن الرابع عشر على طول الطريق إلى الأوردا الذهبية. سار فيها أمراء موسكو لينحنوا للقوة المخيفة. ونقلوا عليها الضرائب. في موسكو ذلك الزمن توضعت القرية التتارية. حتى اليوم يوجد في موسكو. شارع تاتاريا زقاق تاتاريا "الكبير والصغير".. بالقرب من القرية التتارية وجدت قرية المترجمين.. حيث قطن المترجمون التتار والروس الذين خدموا في البلاط القيصري. عاشوا جميعاً معاً. وتذكرنا بذلك الأزقة التولموتشونية (الترجمية إن صح التعبير) قرب محطة ميترو "نوفو كوزنيتسكايا".

كل هذا علامات دالة على ما يعرفه الجميع: حملت روسيا عبء النير التتاري المغولي. دفعت النقود. بحثت عن لغة تفاهم مع أقوياء عالم ذلك الزمن. بالمعنى المباشر والمجازي. وكانت الأوردا ترسل لمراقبة أملاكها الواسعة، ممثليها - الباسكاك. لاحقاً أضيفت إلى مهامهم الاقتصادية البحتة (جمع الضرائب) مهام سياسية: تحول الباسكاك إلى سفراء الأوردا الذهبية.

المهزوم يدفع دائماً ضريبة للمنتصر. هكذا كان وكائن وسيكون، لا تدعوا الجمل الجميلة والكلمات الصاخبة تشوشكم. فالواقع دائماً يبدو مختلفاً- كل شيء فيه تقرره المصالح الاقتصادية، أي النقود. وقد اخترعت البشرية السياسة، فقط لتغطية هذه الحقيقة القبيحة الوجه، بواجهة من المفاوضات والاتفاقيات.

لقد خسرنا الحرب الباردة. قائدنا ميخائيل غورباتشوف خاننا كلنا. إنه وبوعي، ربما بسبب أفضل النوايا. خسر الصراع أمام منافسينا الجيوسياسيين[1]. والآن تدفع روسيا، وريثة الاتحاد السوفيتي الضريبة للمنتصرين. ضاقت هذه الضريبة وتحولت من السياسية (الدعم غير المشروط للسياسة الأمريكية) إلى

---

[1] لماذا فعل ذلك. قد لا نعرف أبداً. الواضح أنه ليس من أجل المال. لكنه رغم كل شيء فعل ذلك! لماذا؟ مثلاً، لإنقاذ البشرية من خطر الدمار النووي. من أجل ذلك يجب أن يخسر أحدهم وينزع سلاحه بنفسه. والسؤال الأكثر إثارة للفضول - من، أين ومتى أدخل في رأس غورباتشوف هذه (أو تلك) الحجة الفائقة الأهمية لهدم بلاده الأم؟

الاقتصادية بفضل المناورات المتقنة للقيادة الروسية. هذه نقودنا التي يشتري بها بنك بلادنا المركزي سندات الدولة الأمريكية. في تلك الأوراق المالية "ذات الشعار الذهبي" تودع أموال رصيد التطوير ورصيد الرفاهية (رصيد الاستقرار سابقاً).

كثيراً ما نسمع تعبير "روسيا تنهض من كبوتها". الليبراليون يضحكون منه. لهذا هم ليبراليون، لكي يستهزئوا بأمور هامة للبلاد. ولكن اللهجة ما زالت هكذا: "تنهض" وليس "نهضت".

أحرزنا الاستقلالية الديبلوماسية ولكن ليس الاقتصادية، نحن ملزمون باللعب وفق قواعدهم. ملزمون بشراء أوراقهم الوهمية.

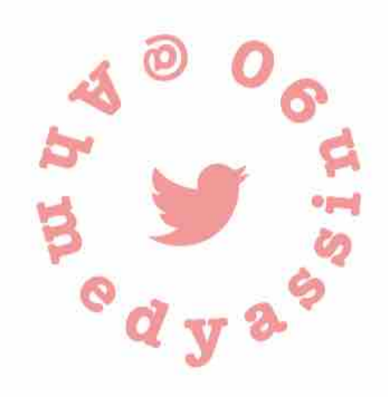
ونحن مضطرون لتعيين تشوبايس في منصب مفتاحي.

سوف يراقب، لكي لا نخترع شيئاً ما، لكي لا تكون انطلاقة روسيا إلى الأمام خطيرة بالنسبة "للآلة الطابعة" الأمريكية.

في أزمنة هيمنة الأوردا سكن الباسكاك في القرى (سلوبودا) "التترية" و"الأوردية". هذه الأيام يمكن أن يسكنوا في أي مكان ويمكن أن يكونوا في أية مناصب. لكن الجوهر لا يتغير. لا يزال الباسكاك عندنا، إنهم بين ظهرانينا. والضريبة ما زالت تدفع حتى الآن.

النواحي الاقتصادية - ليست كل شيء إلى حد بعيد. بواسطة الأزمة يعالج منظموها حتى القضايا السياسية وليس الاقتصادية فحسب.

آن الأوان أن نتكلم عنهم أيضاً.


@Ahmedyassin90

الفصل العاشر

لماذا البنزين في أمريكا أرخص من روسيا

فصل خاص لليبراليين

عـنـدمـا نتحدث عن ظواهر الطـبـيـعـة الـمرئية حـذرنا الـبـروفـيـسور الشـهير ألا ننصـاع للانطباعـات الأولى. لأن الـحـقـيقة الظاهـرة كـثـيـراً مـا تـنـاقـض الحـقيقة. "فـالحـقـيـقـة الـتي لا جـدال فـيها بـالـنـسبة لأي مراقـب مـبـاشـر، أن الشـمس تـدور حـول الأرض. بيـنما الحقيقة التي أدركها العقل البشري الباحث، تنـاقض تلـك الحقيقـة.

ب. أ. ستوليبين

قبل أن أبدأ بشرح الأسباب، أية مسائل تعالج الأزمة الاقتصادية العالمية لمنظميهـا. أريـد بشدة أن أجيب عن سـؤال واحـد. تتناولـه ألسـن صحافتنا بكـل اللـهجات. عـن ذلـك يحـب سياسيونا المعارضون الحديث - علاوة عـلى أنـه الورقـة الرابحـة الرئيسـة. هـو أب وأم الدعايـة المستمرة لتقصير اقتصادنا الروسي - غباء وفساد القيادة الروسية. إنه ورقـة الكاشـف "لتخلفنـا" وخطأ الطريق الذي تسير عليه روسيا.

السؤال يهمك بجلاء أيها القارئ المحترم:

لماذا البنزين في روسيا أغلى من أمريكا؟

في بلد ينتج النفط سعره فيه أغلى من سعره في بلد مسـتهلك. بالفعـل لمـاذا؟ في الاقتصـاد العادي هذا لا يمكن: فالبطيخ في إسترخان التي تزرعـه سـيكون أغـلى دائمـاً في موسـكو المسـتهلكة للخضار والفواكه. والحليب في المزرعة حيث تحلب الأبقار أرخص على الـدوام مـن سـوبر ماركـت المدينة. ونحن نرى صورة غريبة - منتجنا يساوي "عندهم" أرخص مما يساوي عندنا. فما القضية؟

يقول ليبراليون كل القضية في المنافسة. في أمريكا عدد كبير من الشركات يعرض منتجات النفط. ولذلك فالسعر يبقى دائماً سعر السوق. هامش الربح - بالحد الأدنى، وقيمة البنزين تتأثر بدقة بكل ذبذبات قيمة برميل النفط. أما عندنا في روسيا كل شيء خاطئ، كل شيء ليس كما يجب، هاهو البنزين عندنا أغلى من أمريكا.

يحب الحديث بهذا الشأن كثيراً السيد نيمتسوف الذي كان موظفاً رفيعاً ثم نائباً ثم سياسياً مستقلاً. والآن أصبح مجرد المواطن نيمتسوف، ولكن بعض وسائل الإعلام تعطيه فرصة الكلام بسرور. وهو لا يخيب الآمال. فيبدأ دوماً من ورقة الليبراليين الرابحة - أسعار الوقود المرتفعة: "ويحدث ذلك تماماً بسبب كون أساس الرأسمالية الروسية - هو الاحتكار. وفي كل نواحي الحياة - ابتداء من غازبروم وانتهاء باحتكار الاتصالات أو الاحتكارات في سوق منتجات النفط وهلم جراً. نحن - أكبر منتج للنفط في حين أن بنزيننا أغلى مما هو في أمريكا"[1].

على الوتر نفسه يعزف ليونيد غوزمان، أحد أقرب رفاق تشوبايس في العمل وفي السياسة، وفي الطاقة، الشريك في رئاسة الحزب المشكل حديثاً "برافوي ديلو" "القضية المحقة". أجاب على سؤال عن ارتفاع سعر البنزين في روسيا هكذا: "لأن الدولة تسيطر على قطاع النفط. فإذا كفت عن السيطرة - تأتي المنافسة... يوجد منتجون مستقلون بعضهم عن بعض، وهم يتصارعون على المستهلك... عندما يتنافس منتجو البنزين يصبح البنزين أرخص"[2].

أقول الصدق، أن صبري قد نفد. والقضية ليست حتى في كون رئيس حزب يسعى لكامل السلطة في البلاد (وهذا ما تهدف إليه كل الأحزاب السياسية)، يحاكم في الاقتصاد على مستوى طالب مدرسة في الصفوف الأولى. القضية ليست في عدم استحياء نيمتسوف وغوزمان وبقية المناضلين من أجل حريتنا. من التوقيع علناً على جهلهم المطبق وعدم إدراكهم للعناصر الأساسية للتكوين الاقتصادي المعاصر. القضية في أنهم بهرائهم عن السوق، المنافسة، والفعالية يضللون أبناء وطني ويزرعون الفوضى في عقولهم وقلوبهم.

[1] هواء المحطة الإذاعية "صدى موسكو"، برنامج "لا مخرج" 2008/5/21.

[2] هواء محطة التلفزة ن تي في. برنامج "نحو الحاجز". 2008/10/16.

لذلك أكتب هذا الفصل خصيصاً لكم. أيها الليبراليون الأعزاء. لك يا سيد نيمتسوف ولك يا سيد غوزمان. ولكم أنتم بقية العاشقين "للديمقراطية الأمريكية". أريد بشدة أن آمل أنكم تقرؤون كتباً بالفعل. وليس الشيكات فقط وإذا حصل أنكم لا تقرؤون. فقد يروي لكم أحد القراء وتعرفون في النهاية لماذا البنزين غال في روسيا ورخيص في أمريكا.

في البداية سؤال مقابل: إذا كان الأمر فقط في مردودية الاقتصاد وسوقيته. لماذا البنزين غال في أوروبا لهذه الدرجة؟ لماذا تؤخذ أمريكا مثالاً على الدوام، حيث سعر الوقود قليل فعلاً، ولا يؤخذ السعر في ألمانيا وبلجيكا أو فنلندا؟ الجواب بسيط - لأنه عندئذٍ تسقط كل الحسابات: البنزين في أوروبا أغلى بكثير من روسيا. واقتصاد الاتحاد الأوروبي ليس أقل سوقية من اقتصاد أمريكا. فلماذا هذا الفرق إذن؟

كل القضية في الضرائب، يقول الليبرالي - في أوروبا تفرض على بائعي الوقود ضرائب ورسوم مرتفعة. هذا صحيح. من هنا ننتقل انسيابياً إلى سؤال: ولماذا لا تفرض السلطات في أمريكا ضرائب مشابهة على بائعين مشابهين لوقود مشابه؟ ألا تحتاج أمريكا للنقود؟ كلا تحتاجها كثيراً. مجموع دين الدولة الأمريكي يماثل الأرقام الفلكية يصل إلى 10.5 تريليون دولار ويتزايد على الدوام. هذا يعني أن الدولة أي كل الأمريكيين، مدينة لبلدان أخرى[1]. والمساهمين أفراد وشركات بمبلغ يقارن مع مبلغ الدخل السنوي لتلك الدولة الأمريكية ذاتها.

يحصل أمر مسل جداً - روسيا وأوروبا. غير المدينتين مقارنة بأمريكا تجتهدان لجني النقود بفرض الضرائب على البنزين الذي يحتاجه الجميع، في أمريكا الغارقة في الديون كما في الحرير - لا تفعل. لماذا لا تحتاج حكومة الولايات المتحدة للنقود؟ فإنها لا تبني اشتراكية بوجه إنساني على امتداد أرضها من آلاسكا إلى كاليفورنيا. لماذا لا تجمع أمريكا الأموال، أيعقل أنها لا تنوي تسديد ديونها الهائلة؟

---

[1] تدين الولايات المتحدة في الوقت الحالي لروسيا بمبلغ 74.4 مليار دولار. ارتفع هذا الدين في السنوات السبع الأخيرة 7 أضعاف. هذا ما أخبر به المدير التنفيذي "لمشروع واشنطن للأمن القومي" جيمس لودس في تشرين الثاني 2008. http://news.mail.ru/politics/2154593/.

كلا، لا تنوي، بل العكس، تجعل الدين أكبر فأكبر. وهي تستمر في استهلاك ضعفي ما تنتج. تحدثنا عن الديون الأمريكية في الفصل السابق ولذلك لن نكرر الحديث. لننتقل فوراً إلى الجوهر. بم يحتاج مالكو آلة الطباعة النقود؟ ولماذا الضرائب؟ لماذا الرسوم الجمركية المرتفعة؟ فهم ببساطة يستطيعون تشغيل آلة الطباعة ويطبعون من النقود ما يشاؤون وستكون هذه النقود حقيقية للغاية ومطلوبة - إنها دولارات أمريكية. ليس سدى أشعل النظام الاحتياطي الفيدرالي الذي حل محل الولايات المتحدة الأمريكية حربين عالميتين، ليس سدى صارع الاتحاد السوفيتي على مدى 46 عاماً. من عام 1945 إلى 1991 بتصميم ودون كلل. انهار الاتحاد السوفيتي. وقد كان القوة الأخيرة القادرة أن تضع موضع الشك إمكانية طبع البنكنوت الأخضر غير المغطى بشيء. دون حدود ودون كلل. وفي الاتحاد السوفيتي كان سعر البنزين قروش قليلة.

لم يعد الاتحاد السوفيتي موجوداً، واليوم تجري كل التجارة العالمية بأهم الموارد بالدولار فقط. عند كل عملية في سوق الذهب، النفط، الغاز المنتجات الغذائية، المعادن...إلخ يجب في البداية شراء الدولارات وليس السلعة ومن ثم دفع القيمة بالدولارات. وهذا يعني أن طباعة الورق، والأدق، الأصفار في الكمبيوتر. تبيع أمريكا في السوق العالمية بسعر غال. أصبح الدولار ذاته سلعة، يحتاجها الجميع أكثر من النفط أو الغاز.

ما كلفة الورقة من فئة المئة دولار؟ عشر سنتات. ما كمية النفط التي يمكن شراؤها بها؟ برميلان إذا كان السعر 50 دولاراً للبرميل. في واقع الأمر دفعت أمريكا 10 سنتات مقابل النفط، تلك هي كلفة المئة دولار. ما هي كلفة استخراج الذهب الأسود؟ تختلف من مكان لآخر. في السعودية والكويت يمكن نزح النفط بالدلاء. من حفرة حفرت مسبقاً بالرفش. في روسيا لا يحصل الأمر على هذه الصورة. نفطنا بعيد وعميق. إنه في الجليد الدائم، في التايغا. حيث لم يسكن البشر سابقاً قط. يجب استخراجه من أعماق كبيرة ونقله إلى مسافات بعيدة. في السعودية أنابيب قصيرة ويصل الذهب الأسود إلى جوف الناقلات. نحتاج لفعل ذلك إلى أنابيب "أفاعي" بطول آلاف الكيلومترات التي يجب مدها في الأوحال مستحيلة العبور وفي غابات التوندرا والتايغا.

النتيجة بسيطة - نفطنا مكلف. السعر يحدد باختلافات. الكلفة تتأرجح بين مختلف الدراسات لذلك لن نذكر أرقاماً محددة. ببساطة يجب أن ندرك أن الكلفة عالية. إلا أن هذا نصف المصيبة فقط. والمصيبة في كون دولتنا هزمت في الحرب الباردة وتفككت إلى أجزاء. في هذه التراجيديا فقدت مساحات من الأراضي وقتلت مئات آلاف الأرواح ماتوا قبل الأوان أولم يولدوا أساساً من مواطني دولة كانت يوماً ما دولة عظمى.

حتى اصطدام السيارة- هو تراجيديا. فإن قتل بشر- فهي إنسانية، إذا دمرت فقط وسيلة النقل- فهي اقتصادية. أما هنا فقد سقطت وانهارت أكبر دولة في الكوكب. المحللون الذين يحصون كل شيء لسبب ما لا يستعجلون بتحديد الرقم الذي يبين لنا كم دفعنا ثمن "بيريسترويكا" غورباتشوف وتفكيره الجديد"! الخسائر الاقتصادية من انهيار الاتحاد السوفيتي لم يحصها أحد، لأنها ستشكل رقماً مرعباً. الصناعة مدمرة إلى درجة كبيرة، قطاعات بحالها فقدت أو تكاد تفقد، أصابت الفاقة السكان. كيف تكمل الميزانية في مثل هذه الظروف؟ بأية أموال تمد الطرقات، وتبنى المشافي وتصنع الغواصات والمقاتلات من الجيل الخامس؟ المخرج وحيد- فرض الضرائب على كل ما يتعلق بالكربوهيدرات.

تتصرف أوروبا على النحو ذاته. فهناك سيارة لكل مواطن، ويحتاج كل مواطن للبنزين أو المازوت. الضرائب تذهب إلى الميزانية. ما هو الخطأ في ذلك؟ أين الفساد وعدم الفعالية، أو قلة الحكمة؟ لماذا لا يشتم ليبراليونا أو يضحكون من النرويج وهي أحد أكبر مصدري النفط في العالم؟ وفي النرويج ليست وحدها أسعار المشتقات النفطية مرتفعة، هناك كل شيء عموماً أغلى بكثير من ألمانيا أو اليونان. أيعقل أن في النرويج أغبى الحكومات وأقلها فعالية في أوروبا؟ وفي الوقت عينه على مستوى معيشة[1]؟

لا شأن للمنافسة. لا تلعب "السوقية" أو "الفعالية" أي دور.

---

[1] أصبحت النرويج دولة غنية فقط في 1978 عند اكتشاف النفط فيها. الحقيقة لم يصدق أحد تقريباً الجيولوجيين. علق وزير الاقتصاد ساخراً، بأنه سيشرب كل النفط الذي سيعثرون عليه. والآن يمزح أدلاء متحف النفط في ستافانغير: "كان الوزير ليواجه متاعب جمة لو أنه حافظ على وعده".

البنزين رخيص في أمريكا، لأنها تحصل على النفط الذي يصنع منه البنزين مجاناً.

أمـا بالنسـبة لروسـيا والـنرويج هـذا الـنفط يكلـف غاليـاً بسـبب الظـروف الطبيعيـة، وميزانيات البلدان تتشكل في كثير منها على حساب الضرائب على النفط. لا يحتـاج الأمريكيـون هذه الضرائب فميزانيتهم تمتلئ ببساطة على حساب إصدار الدولار.

تصوروا معملين لإنتاج عصير التفاح. أحـدهما يقـع وسـط بسـاتين التفـاح. والآخـر يقـع بعيداً عنها. يجب على المصنع الأول أن يستأجر عمالاً. يجني التفاح، ويغسله، يعصره. بعد ذلـك يجب دفع الضرائب، ضرائب مرتفعة. في النتيجة صندوق العصـير يكلـف المصـنع دولاراً واحـداً، ويبيعه بـدولارين.

قد يبدو أن الظروف أسوأ للمصنع الثاني، لأنه يقع بعيداً عن مصدر التفاح. ولكن هنـاك اختلاف واحد: عند المصنع الثاني ضامنون جبابرة. هم القوات البحرية الأمريكية، القوات الجوية الأمريكية. منهم أقوى وأكبر جيش في العالم. هذا ما حصل بالصدفة طبعاً. أن أمريكا تنفق عـلى التسليح أكثر مما تنفق بقية دول العالم مجتمعة، ويجب عليهـا أن تطعـم وتمـول هـذا الجـيش الهائل. ثم تسقيه - من عصير التفاح ذاك. لذلك تطبع أمريكا النقود بكميات ضخمة، وهي غير مغطاة بشيء في الواقع، سوى القوى الجوية والبحرية. من يرفض هذه النقود، تقصـفه- نسـميه إرهابياً. وشيوعياً وفاشياً. هذا مستمر منذ مئة عام. في النهاية العالم كله- طوعاً أو كرهاً- أصـبح يستخدم النقـود الأمريكيـة في كـل مكـان. لا حاجـة للعنـف بعـد الآن: طالمـا يأخـذون الأوراق الخضراء، يعني أن المتاجرة بها مفيدة. لذلك يشحن المصنع الأول بكامل الاختيار وعصير التفـاح المركز بسعر 1.2 دولاراً. ولا تأخذ أمريكا من مصنعها ضرائب تقريباً. في النهاية يكون لديه سعر الصندوق أرخص من الأول، الذي يقع وسط بساتين التفاح المزدهرة.

لا تملك روسيا ولا النرويج آلة طباعـة. كـذلك لا يوجـد لـدى فرنسـا أو ألمانيـا، وحتى الآن يقع اليـورو في ظـل الـدولار. لـذلك يضـطرون لأخـذ ضرائـب كبـيرة مـن الشركات النفطية ومن المشتري العادي. نحـن نعـيش في روسـيا، في بلادنـا يـدخل في

القيمة النهائية للبنزين ما يلي:

- ضريبة استخراج الثروات الباطنية تعدل نسبتها مرة في الشهر.
- ضريبة القيمة المضافة.
- رسم منتجات مصافي النفط.

في الحساب النهائي يشكل ذلك 53% من ثمن البنزين، الذي تزودون بـه سـياراتكم[1]. في أمريكا الضرائب أقل أو أنها غير موجـودة بتاتـاً. الفـرق في الضرائـب يشـكل الفـرق بـين أسـعار الوقود النهائية في روسيا وأمريكا. لا تندهشوا فأنتم تنظرون في المرآة المنحنية للاقتصـاد العـالمي المعاصر. مثلما يكون الاقتصاد تكون تشوهاته. "معجزاته" كثيرة العدد. على سبيل المثال، يشتري سكان الصين بنشاط في مخازن - الإنترنت الأمريكية الأحذية العالية الجـودة والملابـس. لأنهـا في أمريكا أرخص بعدة مرات. أين أنتجت هذه الأحذية والقمصان؟ في الصين...

خطط الاقتصاد العالمي في العصر الحديث، بحيث تستهلك أمريكا أكثر مما تنـتج بـعشر مرات. يحتمل أن يتغير هذا الوضع. من أجل ذلك يجب أن تباع الهيدروكربونات "بغير الدولار" أنتم ربما لا تعرفون، ولكن كل شيء عملياً يباع في السوق العالمية بالدولار حصراً. الـنفط والغـاز والمعادن والأغذية - كل شيء. الدولار - ليس مجرد مقياس للتقييم. يجري شراء السلع في تجـارة الموارد الأساسية العالمية بالدولار فقط. لا يمكن شراء النفط باليورو أو بـاليون. لابـد مـن تبـديل العملة بالدولار ومن ثم الدفع. بدوره بائع النفط يبدل الدولار بعملته الوطنيـة. وهكـذا ينشـأ طلب مصطنع على الدولارات.

الارتباط بين الأزمة والدولار وثيق: لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر عملياً. إذا لم تعالج المشكلة التي يصنعها النظام الاحتياطي الفيدرالي للعالم بطبعه النقود دون أية قيود، لا تمكـن معالجـة المسـائل المالية الشاملة. في 15 تشرين ثاني 2008 عقد في واشنطن لقاء قـادة الـدول العشريـن الأكـثر تطـوراً في العالم. الهدف المعلن - للقرار المشترك حول طرق تجاوز الأزمة العالمية. النتيجـة؟ صـفر. لم يصـدر عـن لقـاء قـادة العشريـن قـرار معلـن بوضـوح. "أحـد الإنجـازات المفتاحيـة كـان إقـرار مبـادئ معينـة

---

[1] كونسيرفاتور. 2009. No 11

والقيام بأعمال معينة تهدف إلى تكييف أنظمتنا المالية مع حقائق القرن الحادي والعشرين لأن كل البنى المنظمة المتوفرة حالياً هي بنى منظَّمة من القرن العشرين" - قال في نهاية اللقاء الرئيس الأمريكي بوش[1].

لا شيء مفهوم، ضباب كثيف - "أعمال معينة"، "مبادئ معينة" لماذا لم يُقرر شيء؟ لماذا لم يتفقوا؟ كيف يقنعون أصحاب الاحتياطي الفيدرالي بألا يطبعوا نقوداً أكثر؟ هل يمكن إقناع أحد. أياً كان بالحسنى ألا يعيش على حساب غيره؟ لن يكون هذا الوعي عند أي مخلوق هي في الأرض. خصوصاً إذا عاش قبل ذلك عقوداً متطفلاً. لم يتم أي اتفاق. ماذا يتبقى؟

إنه الصراع، الصراع السياسي العادي. الذي لا يتوقف لدقيقة. المعركة تحتدم من أجل مستقبل كل بلد وكل الكوكب. سلاح المتصارعين - العملة الصعبة - النقود. مباشرة بعد لقاء قادة الاقتصادات العشرين الرائدة في العالم. انطلقت قيادة بلدنا بالحديث عن بيع مواردنا بعملتنا الخاصة. هذا ليس شيئاً ضئيل الشأن، كما يمكن أن يبدو من النظرة الأولى. إنه حقاً حدث تاريخي. لا يجوز التقليل من أهميته. نعم يتحدثون؟

تبدأ روسيا ببيع نفطها وغازها بالروبل. حالياً لبيلاروسيا، فييتنام. ويحتمل إلى مولدافيا. ونيكاراغوا يفهم التوجه السياسي لهذه الدولة أو تلك. من العملة التي تتاجر بها مع هذه الدولة. انظروا بأنفسكم: تلقت أوكرانيا "هدية" من أمريكا: فيكتور يوشينكو. وقعت عقود الغاز الروسي بالدولار. أما لوكاشينكو الذي يكن لروسيا حباً كبيراً، يوقع عقود الغاز ذاته: مع بيلاروسيا بالروبل! وكل شيء مفهوم فوراً. فالعملة الصعبة اليوم - ليست مجرد نقود، وليست مجرد سك وطباعة أو وسيلة للدفع. إنها سلاح فائق الأهمية في الصراع مع المتنافسين. فيما مضى كان نفوذ الدولة ينتهي حيث تمكنت دباباتها من الوصول، فالدبابات السوفيتية، مثلاً، وصلت إلى برلين الشرقية- وهناك انتهى نفوذ الاتحاد السوفيتي. تغير العالم بشدة منذ ذلك الحين. عدم فهم الوقائع الجديدة ساهم كثيراً في انهيار الاتحاد السوفيتي. في أيامنا ينتهي نفوذ الدولة حيث وصلت عملتها. هذه القاعدة ليس لها استثناء.

[1] http://www.rian.ru/trend/G20_summit_14112008/.

فالولايات المتحدة لذلك بالذات هي الدولة الرئيسة في زمننا الحالي. لأن دولارها نفذ إلى كل مكان. اليوم تدخل العملة أولاً وعلى إثرها يأتي الجيش. الدبابات تلعب اليوم دوراً بوليسياً. مهمتها - ألا تتيح لدولة أخرى أن تزيح العملة من منطقة ما.

لتأمين هيمنة عملتها في العالم، تملك أمريكا أضخم آلة عسكرية في الكوكب، أي زحف، أي محاولة للاعتداء على "الآلة الطابعة" تجتثها من الجذور، وسوف تحاول أمريكا لاحقاً أن تحافظ على الوضع الحالي، إلا أنه في نهاية 2008 - بداية 2009 ظهرت في الإعلام أنباء كثيرة تقول لنا أن العالم يتغير. على الأقل، يحاول العالم أن ينزع عنه نير الدولار. فجأة تحدث العرب والصينيون عن التجارة بعملتهم.

"في عاصمة قطر، الدوحة عقدت قمة دول مجلس التعاون الخليجي. المسألة الأساسية للقاء أصبحت مسألة اعتماد عملة موحدة على أراضي دول التعاون الخليجي الست - ودينار الخليج. هذه الممالك النفطية مصممة على ذلك - البيان الرسمي الصادر عن القمة ينص عل وضعه في التداول اعتباراً من 2010/1/1".[1]

"سوف تسمح الصين بالتجارة مع بعض دول شرق آسيا. باليوان لكي تدعم مصدريها، تخبر بي بي سي. حسب المخطط المزمع تنفيذه، إذا كان لدى طرفي العمل الاقتصادي الخارجي "يوان" نقداً فلن يكونوا بحاجة، كما في السابق، للذهاب إلى سوق العملات الدولية لتبديلها بأية عملة أخرى"[2].

هذه البيانات حذرة. إنها ليست إنذارات. إنها سبر خجول للتربة.

"إلا أننا مع ذلك نفترض أن الدول لن تتمكن بالكامل من الانتقال إلى العملة الموحدة في 2010. القرارات المتعلقة بالسياسة النقدية يجب أن تكون بالتنسيق المشترك، حتى الآن لا نرى ذلك. على سبيل المثال كانت ردة فعل بلدان الخليج مختلفة على خفض نسبة الفائدة في أمريكا"[3]. تسمع شكوك من شواطئ الخليج "متى يبدأ المخطط العمل، حتى الآن غير معروف"[4]- يكتبون عن التجارة المتوقعة باليوان.

---

1 http://www.rbcdaily.ru/2007/12/06/world/307751.

2 http://www.lenta.ru/news/2008/12/25/yuan/.

3 http://www.rbcdaily.ru/2007/12/06/world/307151.

4 http://www.lenta.ru/news/2008/12/25/yuan/.

تحتدم أمام أعيننا ملحمة حاسمة. المحاربون المعاصرون لا يرتـدون الـدروع والخـوذات، بل البدلات الأنيقة وربطات العنق. ولكن نتائج انتصاراتهم أو هـزائمهم. شـبيهة بنتـائج حـروب أسلافهم البعيدين. وسوف تحدد مستقبل كوكبنا. التناقض يكمن في كون المشاركين في المعركة لا يعرفون أبداً في أي ملحمة "شهيرة" قدر لهـم أن يشـاركوا، فـالجنود، الـذين قـاتلوا في واترلـو أو بورودينو كانوا سعداء لبقائهم أحياء بعد الملحمة الدمويـة قـرب المنطقـة البلجيكيـة أو القريـة الروسية الصغيرة. وفهم أحفادهم فقط عظمة انتصاراتهم. أما اليوم فإن بورودينو وواترلو - هي تقريباً "علامات مسجلة". يحتمل أن تكون الآن تجري أمام أعيننا معركة فاصلة كتلك. ويحـدونا أمل كبير أن هذه لن تكون معركة كتلك التي جرت على نهر كالكا، وإنما كتلك التي جـرت عـلى أرض كوليكوف[1]. في كل الأحوال لن تكون النتيجة واضحة فـوراً. بعـد الانتصـار عـلى ماماي في 1380 ظلت روسيا حوالي مئة عام تدفع الضريبة للأوردا. كم من السنين علينا أن ندفع الضريبـة "للأوردا" الحالية، وأن نقدم ثرواتنـا الطبيعيـة مقابـل دولاراتهـا الورقيـة، التـي توضـع لاحقـاً في سندات خزينة "الأوردا"؟ لا أحد يعرف جواب هذا السؤال. حتى أولئك الذين يقاتلون يومياً من أجل مستقبل بلادهم على طاولة المفاوضات الدبلوماسية أثناء القمم، شتى اللقاءات. يمر الـزمن بسرعة هذه الأيام، ولكننا نحتاج للصبر. فإن فهم من انتصر في الملاحم الدبلوماسـية أمـر معقـد جداً. كل جهة تطبل وتزمر عن انتصارها. العمليات الحربية لها مؤشر واضح وغير قابل للجدل - إذا دخلـت الـدبابات الروسـية إلى بـرلين يعنـي أن روسـيا انـتصرت. لا يوجـد هـذا في السياسـة والدبلوماسية. المثال الصارخ عن ذلك - أزمة الغاز بين روسيا وأوكرانيا. هل خسرت روسـيا، هـل انتصرت أوكرانيا - سوف نتحدث عن ذلك في الفصـول التاليـة، كـما نتحـدث عـن السـؤال لمـاذا احتاجت أمريكا أن تغلق صنبور الغاز بيدي فيكتور يوشينكو.

علينا أن نعي جميعاً، أنه بدون زيادة ثقـل عملتنـا، بـدون توسـيع "نطـاق تواجدها" لن تتمكن روسيا أن تصارع بنجـاح في العـالم المعـاصر القـاسي. ولتأكيـد

[1] في معركة نهر كالكا أبيـدت القـوات الروسـية. التـي واجهـت المغـول لأول مـرة، عـن آخرهـا، أمـا عـلى أرض كوليكونا انتصر الروس على الغزاة.

هذه الحقيقة بالذات كانت التصريحات القريبة لميدفيديف وبوتين عن ضرورة الانتقال من الدولار إلى الروبل في التجارة مع الشركاء الأجانب. إنها نقطة مفتاحية، هذا فائق الأهمية. إذا تمكنت روسيا أن تنتزع وتحمي حق الروبل في أن يصبح أحد العملات الصعبة الإقليمية، سيكون ذلك إنجازاً فائق الأهمية، وعملة إقليمية يعني أن دفع ثمن البضائع في إقليم معين سيكون بهذه العملة حصراً. ومن يحدد حدود هذا الإقليم؟ وأين هي؟ العملة الإقليمية - هي الخطوة الأولى نحو العملة العالمية. قد لا تحدث الخطوة الثانية ولكن إمكانية حدوثها تكون محضرة ومعدة. حتى بقاء الدولار بصفته عملة عالمية احتياطية في حالة ظهور عدة عملات إقليمية سيؤدي إلى إضعاف الثقل السياسي الأمريكي. سوف تظهر مراكز جديدة على خريطة العالم السياسية، التي بواسطة إصدار نقودها الخاصة، ستبدأ حتماً خطوة إثر خطوة تنتزع من أمريكا نفوذها. وبالتالي- القوة الاقتصادية ومستوى المعيشة.

والآن هل فهمتهم أيها الليبراليون الأعزاء لماذا البنزين في روسيا أغلى منه في أمريكا؟ آمل ألا يتكرر مختلف الهراء عن التنافس والاحتكار. وإلا علينا، عفواً، أن نشك في عقلكم- أيعقل أن تحليلاً غير معقد كهذا يصعب عليكم فهمه؟ في هذه الحالة سيكون من الغريب كيف قادت البلاد منظمة الطاقة الذرية في النظام الكهربائي الموحد، كيف اجتمعوا في الحكومة؟ أيعقل ألا يبقى لنا مرة أخرى، سوى أن نشك في أخلاقكم؟

ولكنني واقعي ولذلك أنا مقتنع بأن العويل حول البنزين الغالي والاقتصاد التنافسي سوف يغلق أسماعنا لفترة طويلة. فقد جعله الليبراليون شعاراً وعنواناً ولا يريدون التخلي عنه ببساطة. وسوف يتغنون به بكل النغمات: "كلما أتيحت الفرصة يطرحون على السلطات أسئلة غير مريحة. على سبيل المثال: لماذا سعر البنزين في روسيا أغلى من أمريكا، رغم احتياطات النفط الضخمة؟"[1].

فإذا سمعتم خطيباً يرفع عقيرته بهذا- فاطرحوا عليه سؤال النرويج والأسعار النرويجية. من السهل أن تطرح أسئلة غير مريحة، يصعب عليك أن تجيب عليها

[1] هذا كلام بوريس ينمتسوف:

http://www.voanews.com/russian/archive/2008-07/2008-07-02-voa9.cfm.

بنفسك بجواب واضح ودقيق. والأصعب من ذلك أن تقول الحقيقة- وهذا ما يستحيل عليهم نهائياً. إذن فليتصببوا عرقاً. هذا شأن "السؤال المحرج" يعود مثل البوميرانج[1] على محب الجدال بشأن أسعار البنزين. كما قال هانس كريستيان أندرسن: "لا سلاح أخطر ضد الشيطان من الحبر وكتابة الكتب": فهما سوف يطردانه يوماً من الكون". قال ذلك يوماً كاتب الأساطير العظيم.

نرجو أن يكون ذلك.

---

[1] - Boomerang سلاح صيد خشبي على شكل منجل استخدم في العالم القديم. والبوميرانج الأسترالي فقط يعود إلى الرامي في حال عدم الإصابة.

الفصل الحادي عشر

متى تنتهي الأزمة، وكيف خفض بائعو السلفة أسعار النفط

نظام النمو الاقتصادي الشامل أوجد لنفسه عقبة جدية: حيث يطبع مركز إقليمي النقود بدون حدود وينعم بالخيرات، ومركز آخر ينتج سلعاً رخيصة ويدخر النقود المطبوعة من قبل دول أخرى.

ف. بوتين

دافوس، سويسرا، 2009/1/28

يكون عملنا غير كاف بالنسبة للوطن إن لم نعمل كل شيء.

ماكسيميلبان روبسبير

السؤال الرئيس الذي يقلق الجميع: متى تنتهي الأزمة؟

لكي نفهم هذه الحقيقة. لا بد من إسقاط الأحداث العالمية كثيرة التعقيد على الحياة الإنسانية البسيطة المفهومة للجميع. تبسيط الوضع لا يغير حقيقته، ولكن يساعد على فهمها.

نفرض أشخاصاً غير شرفاء يديرون إحدى القواعد... كانوا يريدون العيش برخاء، ولكنهم لم يعملوا كثيراً لذلك، وحينها اخترع هؤلاء الحاذقون. ماذا وكيف يعملون، إذ لا يمكنهم العيش وفق إمكانياتهم. الطرائق للوصول إلى ذلك كثيرة، ولكنها كلها متشابهة. جوهرها بسيط ولا يحتوي على أشياء خفية - لكي تحصل على أكثر مما تستحق من أجر، يجب أن... تسرق، لم تخترع البشرية طريقة أخرى ولا أظنها ستخترع. وبدأ عاملوا القاعدة بسرقة محتوى المستودع شيئاً فشيئاً. ولكن مع ارتفاع مستوى معيشتهم ارتفعت شهيتهم. بمرور الوقت أصبح

النقص في القاعدة ملموساً إلى حد بعيد. وسينفضح الأمر عند أول تفتيش. ماذا يفعل محبو الحياة الرغيدة؟ راحوا شيئاً فشيئاً ينسقون ما سرقوه. لا يمكن أن يساعد في هذه القضية لا "الجفاف" ولا "الرياح"، ولا "المعارك" ولا "الجرذان" يفعل ذلك الزمن - وحده. زجاجة في اليوم، صندوق في الشهر شيئاً فشيئاً يمكن تنسيق النقص الحاصل، وتغطية الثغرات المالية.

هذا بالضبط ما يمارسه الأمريكان الآن. كمية الخيرات التي جناها سكان هذه البلاد دون عمل (غير المستحقة) تضعها كمية النقود غير المغطاة بشيء، التي طبعها النظام الاحتياطي الفيدرالي. ويقوم الآن أصحاب الاحتياطي الفيدرالي بتنسيق كميات هائلة من الدولارات يوماً بعد يوم من خلال "مصاعب" البنوك، تراجع سوق الأرصدة، هبوط قيمة الموارد الطبيعية. والعقارات والمواد الغذائية. "التفتيش" - انهيار نظام الدولار العالمي. يحتاجون أن يلحقوا تنسيق كل شيء قبل قدومه. عندئذٍ قد لا يلاحظ التفتيش شيئاً، ويغادر إلى البيت. أما شبان المستودع فيمكنهم أن يبدؤوا من جديد بسرقة ما هو ليس ملكهم. يطبعون النقود ويحصلون مقابلها مجاناً على الموارد المادية. يحتاجون للوقت فقط لكي يلحقوا تنسيق ما سرقوه. لذلك بالضبط لا يمكن أن تنتهي الأزمة خلال أسبوع. يجب أن تمتد إلى كثير من عمليات جرد البنوك الربعية، التي ينسقون فيها مليارات الدولارات. يجب أن تنفِّس الأزمة الفقاعات التي نفخوها بأنفسهم.

فهل يمكن إنهاء الأزمة بسرعة؟ صياغة السؤال ليست دقيقة. أي هل يجب أن ينهوها بسرعة؟ حسب الظروف العامة لا يمكن إنهاء الأزمة فضلاً عن أنه لا يجب! فإنهاء ما بدء به فقط بتحقيق كل الأهداف المرجوة. وبما أنهم ليسوا مطلقي الإمكانيات. حتى الخفيون، أصحاب الاحتياطي الفيدرالي "الآلة الطباعة" لن يتمكنوا من تحقيق كل ما أرادوا ولكن عليهم أن يتصببوا عرقاً لكي يكون مردود الأزمة التي نظموها لمصالحهم أعظمياً.

وهم يبذلون ما بوسعهم. يعتمدون خطط إنقاذ الاقتصاد الأمريكي. التي لا يمكنها في المبدأ إنقاذه. إلام تؤول كل هذه الخطط الشهيرة. التي وضعها في البداية وزير مالية إدارة بوش هنري بولسون، والتي تقترحها الآن إدارة أوباما؟

جوهرها بسيط ولا يخفي شيئاً - ضخ النقود في الاقتصاد. الطباعة والضخ تحت مختلف الحجج حسنة المظهر.

لنطرح سؤال "المتعامل بالنقود" التقليدي: كم؟ ما هو حجم المساعدة المالية المخطط لها؟ المبلغ الذي يتحدثون عنه عادة أكثر من 780 مليار دولار. ولكن حتى بأدنى الحسابات التقريبية واضح أنه لا يكفي. لنتذكر أن قفزة التأمينات المالية في أمريكا عام 2008 بلغت 16.4 تريليوناً قيمة سوق الأرصدة الأمريكي، أي مجموع أسعار السوق لكل الأسهم. بلغت 10 تريليون دولار المجموع تقريباً 26 تريليوناً. الأرقام ستصبح أكثر إثارة في العالم كله.

وقد ثقب هذا البالون المالي الهائل بإبرة مصنعة خصيصاً. "حسب معطيات وكالة التصنيف العالمية ستاندارد إندباور فقدت الأسواق المالية في كانون الثاني 5.2 تريليون دولار بسبب أزمة الإقراض السكني في أمريكا ومخاوف المستثمرين من تباطؤ نمو الاقتصاد العالمي[1].

خسائر سوق المال خلال شهر واحد فاقت بثماني مرات ما تخصصه الحكومة الأمريكية لتعافيه!

فكم حجم الهواء الذي "تنفس" من البالون المثقوب من قبل منظمي الأزمة.

"رسملة السوق الكلية لكل شركات العالم تراجعت بمقدار 2297 مليار دولار خلال الشهر الأول من العام (7.15%) وتظهر ديناميكية هابطة بنهاية العام. بالمقارنة مع 31 كانون الثاني عام 2008 هبطت الرسملة العالمية بمقدار 25230 مليار دولار (45.82%) وتستمر في الانخفاض القيمة السوقية الإجمالية لشركات الاقتصاد الرائدة في العالم. وفق نتائج العام الماضي انخفضت رسملة الشركات المقيمة في ساحات بورصات أمريكا، بأكثر من 6796 مليار دولار (41.13%) مستبدلاً المنحني الصاعد في كانون الأول بالهابط في كانون الثاني.

بالمقارنة مع آخر يوم للتعاملات في عام 2008 بلغ انخفاض القيمة السوقية للشركات الأمريكية أكثر من 880 مليار دولار أو (8.3%)[2]. أي أنه خلال عام

[1] http://www.evrodol.ru/fond/fond_22.htm.

[2] http:www.quote.ru/rbc100/2009/01/chapter1.shtml.

2008 كله وكـانون الثـاني 2009 انخفضـت رسـملة سـوق الأرصـدة مـن 16.5 تريليونـاً إلى 5.9 تريليون دولار. احترق أكثر من 10 تريليون دولار. ما هي الخلاصة؟

من يعرف الرياضيات ولو على مستوى المدرسة الثانوية. يخمن بسهولة، أن المليـارات لا تساعد في شيء، عندما تكون الخسائر بالتريليونات!.

هذا سحر الأرقام الكبيرة. فالمليارات تحدث انطباعاً كبيراً لدى الإنسان العادي، بحيـث لا يشك في أن هذه النقود لا تعالج أية مشكلة. هل يمكن أن نعالج فيلاً بهذه المقادير الضئيلة من الدواء. ومليارات أوباما الـ (780) بالنسبة لاقتصاد أمريكا كحبة خردل تضرب فيلاً.

بالطبع لا تكافح أمريكا الأزمة. ولم تفتعل الأزمة لتنتهي بسرعة. دون تحقيق كل النتائج الممكنة. آن لنا أن نكف عن الانـدهاش. لا أحـد في أمريكـا يكـافح الأزمـة العالميـة. الاحتيـاطي الفيدرالي والحكومة الأمريكيـة يتظـاهران فقـط بهـذه المكافحـة، يحـددون الوقـت ويخـادعون الناخبين الأمريكان السذج. من يشعل الحريق لا يشـارك رجـال الإطفـاء في الإطفـاء، والقاتـل لا يبحث مع البوليس عن نفسه. لا يجوز أن ننتظر ممـن نظـم الأزمـة العالميـة خطـوات حاسـمة لتجاوزها. لا يجب أن نكون سذجاً. إنهم يفعلـون مـا يحتاجونـه: لقـد اشـتروا مـا اسـتطاعوا، في الولايات المتحدة يحرقون الدولارات إذ ينسقونها من موازنات بنوكهم كلها. وهم الآن يستعدون لتغيير الأنظمة السياسية التي ما تزال تتجرأ على جدال سلطة النظام الاحتياطي الفيـدرالي التـي تبتلع كل شيء على الخارطة السياسية العالمية.

أيعقل أن باراك أوباما لن يفعل شيئاً لتجاوز الأزمة؟

كلا. لن يفعل قبل أن يتلقى إشارة من منظمي الأزمة. وإذا بدأ بفعل شيء سوف يتلقـى رصاصة قناص. لأنه سيعمل بما يعارض مصالح مالكي الاحتياطي الفيدرالي.

هل يمكن أن يكون منظمو الأزمة قد تمادوا في اللعب. كأطفـال يلهـون بـأعواد الثقـاب. أشعلوا النار ببيتنا المشترك. وهم الآن ببساطة لا يعرفون ماذا يفعلون؟

من يفكر بهذه السذاجة. سيكون ذاته شبيهاً بالرضيع.

المخرج دائماً حيث يكون المدخل. هل المشكلة معاكس لمفاقمتها. منظمو الأزمة لا يعالجون المشاكل بل يفاقمونها. لكي يصغروا بسرعة الأرقام الفلكية من الدولارات المطبوعة. لكي يلحقوا قبل "التفتيش" أن ينسقوا كل محتويات المقطورة المسروقة.

نحل المشكلة ليس بالتعقيد الذي قد يبدو لنا. احكموا بأنفسكم.

فيم يكمن جوهر الأزمة الحالية؟

إنه في عدم توفر النقود في الاقتصاد العالمي، في أزمة السيولة.

كيف حصل ذلك؟

بعد العمليات المقصودة من طرف الاحتياطي الفيدرالي وأعوانه. ظهرت مشاكل في أسواق المال والأرصدة. عند شركات كثيرة. انخفضت بشدة رسملتها أي قيمة مجموع أسهمها الإجمالية. في هذه الظروف أخذت الشركات تبيع كل فعالياتها الخارجية. لتحسين ميزان مدفوعاتها. عند بيع الأسهم في البرازيل. أو أوكرانيا أو روسيا. توجه كل المودعين إلى الدولارات. فالحسابات الأمريكية تجري بالدولار. بدأ ارتفاع سعر الدولار بسبب ارتفاع الطلب عليه. أعقبت الموجة الأولى التي "تخرج" النقود موجة ثانية وثالثة. البشر رغم كونهم وسطاء أو كتبة هم تابعون (غير مستقلين) لدرجة كبيرة. تذكروا: في صيف 2008 لم يشتر أحد الدولار في روسيا بسعر 24 روبلاً. جاء الخريف وبعده الشتاء. واندفع الجميع يشترونه بسعر 30. ثم 32 وبعد ذلك بسعر 35 روبلاً، لم يشتروه عندما كان رخيصاً فلماذا بدؤوا بالشراء عندما أصبح غالياً؟ أين المنطق؟.

المنطق بسيط - يشتري الإنسان دائماً ما ينتظر ارتفاع سعره ولا يشتري ما سوف يهبط سعره. أعطوه اتجاه الحركة وسيفعل كما يجب. ينتظر ارتفاع الدولار 30% ويسرع ليشتريه حتى دون أن يفكر في عبثية هذه الأعمال. رجال المال يتصرفون على هذا النحو. عندما بدأ الدولار بالارتفاع في السوق العالمية، اندفع الجميع لشرائه. كتلة المودعين الهادئين حتى الآن أخذوا يفعلون أشياء بديهية تماماً بالنسبة لهم: يبيعون ما ينخفض سعره (النفط، السهم، المعادن) ويشترون ما يرتفع سعره (الدولار) في النهاية انخفض سعر النفط أكثر. والدولار استمر في الارتفاع.

بعد بيع كل فعالياته وتحويل المبلغ (الغلة) إلى الدولار. أخذ المودع يفكر ملياً بما سيفعله لاحقاً. فالدولار ليس هدفاً نهائياً. بل وسيلة فحسب. فإذا جلس على كيس من الأوراق الخضراء. لن يحصل على نقود أكثر. النقود تتطلب الإيداع والاستثمار.

أين يستثمرها. إذا كان سعر الخامات يتراجع والعقارات تهوي وفي العالم عدم استقرار قوي؟

في شيء ما فائق الوثوقية. فائق الاستقرار. الذهب؟ نعم، فالطلب يرتفع عليه في مرحلة عدم الاستقرار. ولكن يوجد في العالم ما هو أفضل. هذه الوسيلة هي ما أصبحنا نعرفها، إنها السندات المالية الأمريكية. كل المودعين يبدؤون بشرائها. لماذا هي وليس الذهب؟ ليس عبثاً فك النظام الاحتياطي الفيدرالي ارتباط الدولار بالذهب. في النهاية في الاقتصاد المعاصر ليس الذهب الوسيلة الأوثق لاستثمار النقود. فسعره يقفز كالأرنب في الغابة. تشتري اليوم بنقودك، ولا توجد أية ضمانة بأنك سوف تحصل على الربح وليس الخسارة.

من الذي يبيع السندات المالية (تريجيرس) في السوق؟.

إنه النظام الاحتياطي الفيدرالي. فقد أُنشئ لكي ينظم الماكينة المالية الأمريكية. من أجل ذلك لدى الاحتياطي الفيدرالي آليتان: نثر النقود في الاقتصاد عبر "نافذة الفائدة"، أي منح القروض، وشراء - بيع السندات الحكومية الأمريكية.

عندما يبيع الاحتياطي الفيدرالي السندات، هل تصبح النقود في الاقتصاد أكثر أم أقل؟

تباع السندات بالدولار. وبالتالي تسحب النقود من الاقتصاد وبدلاً منها يعطى مالك الدولارات توقيع الولايات المتحدة مع النظام بإعادة المبلغ مع الفائدة بعد فترة محددة من الزمن في النتيجة تصبح النقود في الاقتصاد أقل. كلما ازداد عدد السندات المباعة تصبح النقود الحرة في الاقتصاد أقل. ليس لدى البنوك نقوداً. لا أحد يعطي قروضاً. لا أحد يشتري الأسهم. كل المودعين اشتروا السندات الحكومية الأمريكية. هذا يعني أن بيع السندات. أي عمل الاحتياطي الفيدرالي

يفاقم الأزمة فحسب. بدلاً من وقفها يعمل الاحتياطي الفيدرالي كل شيء لتقويتها. واضح أنه لوقف المشاكل في القطاع المالي يجب أن يفعلوا العكس تماماً. يجب شراء السندات وليس بيعها لضخ النقود في الاقتصاد. لماذا لا يتصرف الاحتياطي الفيدرالي على هذا النحو ولا يشتري السندات الحكومية الأمريكية.

لدى شراء السندات تخرج كمية كبيرة من الدولارات إلى التداول. وتنخفض قيمة الدولار. ويجب أن يكون نقص في الدولارات للحفاظ على قيمته، لذلك يجب أن تسحب من الاقتصاد وتحرق داخل المنظومة التي أصدرتها ذاتها. بين البنوك التابعة لها، بدون مراقبين بدون اضطراب أو ضجة.

تحت مرافقة صاخبة من وسائل الإعلام الحرة حول مكافحة الأزمة لبيع الاحتياطي الفيدرالي السندات[1] يومياً. يزداد حجم الدين الأمريكي. الأزمة تشتد. الاقتصاد الجاف يزداد جفافاً يوماً بعد يوم. فالمكنسة التي شغلها منظمو الأزمة تسحب الأموال من الاقتصاد العالمي كل يوم. عندما نسمع أن المودعين أخرجوا عشرات المليارات من روسيا، علينا أن نفهم أن هذه النقود سحبتها (امتصتها) مكنسة الاحتياطي الفيدرالي، أي أنها أودعت في السندات، على هذا النحو أخرجوا النقود من المكسيك وبوليفيا، إيسلندا وأوكرانيا. لا شأن هنا "لديمقراطيتنا" أو "عدم شفافيتنا". المكنسة لا تسأل النقود عن قوميتها، ولا عن مصدرها. أنها تسحبها كلها.

كيف يمكن تجاوز الأزمة.

بديهي تماماً، إن الخروج من الأزمة يتطلب وقتاً. ولكن أول ما يجب فعله - هو إغلاق الاحتياطي الفيدرالي لأسبوعين تقريباً. فرض عطلة مصرفية شبيهة بالتي نظمها للبنوك الأمريكية في بداية شغله لمنصب فرانكلين روزفلت. يجب أن يتوقف بيع الأسهم الحكومية الأمريكية. إذا كان لا يجوز شراؤها بسبب المخاوف من فقدان قيمة الدولار، على الأقل يجب أن لا تباع السندات، لكي تظل النقود الباقية

---

[1] يقولون أنهم سيشترون السندات. ولكنهم فقط يقولون ولا يشترون: "27 كانون الأول 2009. أشار الاحتياطي الفيدرالي، فقط أشار. إلى أنه يحتفظ بإمكانية شراء سندات الخزينة.

http://magazine.rbc.ru/ecomnomist/27/02/2009/283440.shtml.

في الاقتصاد. وأطرف ما في الأمر، أنه يمكن قراءة هذه الأفكار في كتاب الرئيس السابق للاحتياطي الفيدرالي آلان غرينسبين!

"عندما تنفق الدولة أكثر من اللزوم، فهي مضطرة أن تلجأ للاستدانات. لهذه الغاية تبيع سندات الخزينة، بذلك تسحب الأموال من الاقتصاد، وإلا فستذهب هذه الأموال إلى القطاع الخاص"[1].

تصوروا أن ممولاً مذعوراً حول أمواله إلى الدولار وجاء يشتري سندات الحكومة. والاحتياطي الفيدرالي لا يعمل. تعلق لوحة على "نافذة الفائدة" كالتي كانت تعلق في العهد السوفيتي "ذهبت إلى المستودعات. سأعود ولكن هيهات" ماذا يفعل المرابي المسكين، أقصد الممول. سيذهب ليشتري السندات ممن يملكها. عندئذٍ سيعرض سعراً أعلى من السعر الذي دفعه المالك. وبذلك تقل ريعية السند. لنفرض أن قيمة السند 100$ وريعيته تبلغ 4%. هذا يعني أن المالك سيحصل على 104$ بعد عام، وبالتالي يمكن بيع السند بـ 101، 102، 103$. شراءه بـ 104$ لا معنى له. وبـ 105$ تسبب خسارة مباشرة للمشتري.

هذا يعني أن تداول بيع السندات لن يستمر طويلاً، ومرة أخرى يقف الممول مرة أخرى أمام سؤال ماذا يفعل بكيس الدولارات الذي يجلس عليه أمام الاحتياطي الفيدرالي المغلق للجرد.

الخيارات لن تكون كثيرة:

1 - أن لا يفعل شيئاً. خيار سيئ - يمضي الوقت تذوب النقود بسبب العجز.

2 - أن يشتري أسهمها.

3 - أن يشتري عقارات.

4 - يشتري موارد طبيعية. نفط، معادن، ذهب.

5 - يودع الأموال في البنك بفائدة نسبية.

كما نرى عملياً أي قرار للممول يساعد على تجاوز الأزمة لأنه يضع نقوداً في الاقتصاد ولا يسحب منه. ولكن "لسبب ما" لا أحد يدفع بالأحداث إلى المجرى

---

[1] غرينسبين ا. عصر الاضطرابات. موسكو: البينا بيزنس بوكس، 2007، ص. 120.

اللازم. لماذا؟ لربما تمادى بعض الممـولين في البحـث وقـد يتوصـل إلى أمـور ثوريـة تمامـاً. وينـتج مصنعاً صغيراً في مكان ما من أوكلاهوما. ويبدأ بإنتاج شيء ملموس. يخلق أمكنة عمل.

من أجل تجاوز الأزمة بأسرع ما يمكن يجب إيقاف عمل النظام الاحتياطي الفيدرالي.

وهذا الشرط وحده سيكون كافياً.

ولكنه ما زال يعمل. وزعماؤه يقترحون خططاً جديـدة لمكافحـة الأزمـة. هـذا يعنـي أن الأزمة الحالية لن تنتهي بسرعة وستبرز أزمات جديدة. فلم تنفذ بعد كل المهام.

إحدى أطرف قضايا (العجيبة المعكوسة) للاقتصاد الحالي. يشكل فهم أيـة عصـا سـحرية ساعدت منذ تموز حتى كانون الأول عام 2008 في تدهور سعر النفط بأربع مرات. ففي الصيف كان الممولون يشترون النفط بسعر 147$ للبرميل، و"المحللون" يبشرون بصـوت واحـد أن سـعر البرميل سيصبح 200$ في نهاية العام. وفجأة انحدرت الأسـعار كأنهـا عـلى زلاجـة ثلجيـة. كيـف يمكن ذلك؟ فإذا صـدقنا منظـري اقتصـاد السـوق، يجـب أن يسـبق هـذا الانخفـاض في السـعر انخفاض في استهلاك النفط؟

هل تصدقون أن الاقتصاد العالمي في كـانون الأول 2008. أصـبح يسـتهلك بـرميلاً واحـداً حيث كان يستهلك 4 براميل في تموز؟

كلا، هذا مستحيل. لأن السـبب لا يمكـن أن يـأتي بعـد النتيجـة. مـا هـي النتيجـة في حالتنا؟ هبوط سعر النفط. وما هو السبب؟ الأزمة. ولكـن في البدايـة جـاءت أزمـة الإقـراض السكني في أمريكا. وهل كان مدينو البنوك الأمريكية يشـترون البنـزين بـالقروض السـكنية؟ هل يعيشون في البنزين؟ كلا. عنـدما توقـف الأمريكيـون عـن دفـع النقـود للبنـك وأعطـوه المنزل (ضمانة القرض). فهم أما انتقلوا إلى السكن بالأجـار أو في أسـوأ الحـالات يعيشـون في السيارات. فالسيارة موجودة حتماً عند كل أمريكي قرر أن يشتري منـزلاً. منـزلاً حصراً ولـيس علب ثقاب. لاحظوا أن بداية الأزمة - اللحظة التي لم تكف النقود عنـد الأمـريكي مـن أجـل

البيت وليس من أجل البنزين! وذلك بسبب ارتفاع نسبة الفائدة في الاحتياطي الفيدرالي. فما شأن انخفاض استهلاك مشتقات النفط؟ لماذا يبدأ هذا الأمريكي باستهلاك كمية أقل من البنزين؟

لم تغلق المصانع بعد. ولم ينهار بعد سوق المال، ولم تكن هناك بطالة شاملة، حتى أنها لم تكن ملحوظة في نهاية عام 2008، عندما كانت الأزمة في ذروتها. في بداية 2009 عدد العاطلين عن العمل حوالي 11 مليون شخص[1]. هذا كثير جداً، لا جدال. المسألة في أمر آخر. يقولون لنا على الدوام أن هذه الأزمة قوية بشكل لا يصدق وعميقة ولم تشهد أمريكا والعالم مثيلاً لها منذ الكساد الكبير أي منذ عام 1929. وكمعيار لعمق الأزمة يعرضون هذا العدد الضخم من العاطلين عن العمل. وهل فعلاً لم تشهد أمريكا لها مثيلاً؟

"في نيسان 1980 تراجعت نسب الفائدة الأساسية بمقدار 20%. توقف شراء السيارات، لم يكمل بناء المنازل ملايين الناس فقدوا وظائفهم - في منتصف 1980 ارتفع مستوى البطالة حتى 9% واستمر في الارتفاع حتى نهاية عام 1982 واقترب من 11%"[2].

لم يكتب ذلك غينادي زوغانوف ولا هوغو تشافيز ولا فيدل كاسترو. بل كتب ذلك آلان غرينسبين الرئيس السابق لنظام الاحتياطي الفيدرالي. الذي يصعب الشك في رغبته بالإساءة لوطنه. كانت الأمور هكذا بالضبط. ومستوى البطالة كان في عام 1982 بالضبط كما كان في بداية عام 2009. هل سمعتم يوماً عن أزمة مخيفة في عام 1982؟ كلا، ولم تسمعوا لسببين يلغي كلاً منهما الآخرُ.

1 - كانت أزمة. ولكن الحديث عن ذلك كان ليشوه لمعان صورة تفوق الاقتصاد الأمريكي على اقتصاد الاتحاد السوفيتي. ولم تكن لتبدأ البيريسترويكا في 1985. فتبني في بلدها نموذجاً أفلس وراء المحيط منذ ثلاث سنين. فهذا ليس منطقياً. لذلك لا يتحدث لنا أحد عن أزمة عام 1982.

2 - السبب الثاني مبتذل أكثر- لم تكن أية أزمة في أمريكا عام 1982.

---

[1] هواء راديو "صدى موسكو" برنامج "وجهة نظر خاصة" مع بوزنير.

[2] غرينسبين ا. عصر الاضطرابات موسكو: البينا بيزنس بوكس 2007، ص. 93.

الخلاصة: في كل الأحوال لا تريح رواة الأساطير الليبراليين: فإذا كانت هناك أزمة، يكون غريباً أن تنسى أمرها كل الصحف المستقلة والمجلات المستقلة، والمحللون الأذكياء والسياسيون الشرفاء. فإذا لم تكن آنئذ أزمة، فإن عدد العاطلين عن العمل ليست مقياساً لقوة الأزمة في الاقتصاد الأمريكي. أهون على الاحتياطي الفيدرالي أن يعطي راتباً للعاطل الزنجي عن العمل بطبع القليل من الدولارات من التعب في تأمين عمل له. إضافة إلى أن توزيع النقود على الفقراء يحفز الطلب ويؤدي إلى نمو الاقتصاد. ألم تفكروا أبداً بذلك؟ تذكروا: على الأرجح حدثكم أحد الأقرباء أو المعارف عن الدولة الأمريكية "الطيبة" التي تعطي النقود للفقراء "الطعام" و"اللباس" إلى جانب مساعدة العاطلين عن العمل. كما في روما القديمة: توزيع الخبز ومشاهد مثيرة على هيئة حلبات المصارعة. في أمريكا يعطون الخبز للسكان العاطلين عن العمل والكثير من المشاهد المثيرة.

بكلمات أخرى. لا يوجد سبب واحد يجعل الأمريكي الذي كان يملك منزلاً حتى لو كان عاطلاً عن العمل يفتقر لثمن البنزين!

من أين يمكن أن يأتي تراجع استهلاك النفط إلى الربع في كامل الاقتصاد العالمي. إذا لم يتراجع استهلاكه في الولايات المتحدة؟ فقد علمونا أن المشاكل ظهرت بداية في أمريكا ومن ثم انتقلت إلى باقي العالم. هذا نقض للمنطق، بل غياب للمنطق. هل تشرحون لي. أيها السادة الاقتصاديون كيف يرتبط الإقراض السكني بالبنزين؟ فعدم توفر النقود لملء السيارة بالوقود لا يمكن أن يكون سبباً للأزمة بل هو نتيجتها الواضحة المخيفة! لكن النتيجة لا تأتي قبل السبب. هذا يعني أن العلاقة السببية مختلفة هنا مغايرة تماماً لما يقولون لنا.

لم يتدهور سعر النفط بسبب مقترضي السكن الذين لم يسددوا ما عليهم. ولا بسبب إفلاس وكالتين أو ثلاثة للإقراض السكني. القضية في شيء مختلف تماماً. لقد دهوروا أسعار النفط بشكل متعمد وفظ. فلدى منظمي الأزمة عدة أهداف سياسية عدا الاقتصادية. وكلها مرتبطة مباشرة بالكربوهيدرات. ولتحقيقها يجب أن ينخفض سعر النفط بحدة وسرعة كبيرتين. عندئذٍ يكون التأثير أعظمياً. موازنات الدول، سياسة التمويل المساهم للشركات الكبرى تبنى

انطلاقاً من التوقعات المرتفعة. تؤخذ القروض بناء على ارتفاع الأسعار المنتظر. وفجأة ينقلب كل ذلك بعد نصف سنة إلى هبوط قياسي كما كان الارتفاع قياسياً.

كيف يحتكرون سعر النفط؟.

من أجل ذلك يوجد في ترسانة "الآلة الطابعة" آلية مثيرة. تسمى "فيوتشيرس". وهي اتفاق على شراء أو بيع فعالية ما بكمية محددة وموعد تسليم محدد في المستقبل بسعر يتفق عليه اليوم. أي أن الشركة "A" تلتزم ببيع الشركة "B" النفط بسعر "C" في اليوم "D" فإذا تم تسجيل هذا العقد في البورصة فيدعى فيوتشيرس وإذا لم يسجل فيحمل الاسم المتكبر "فوروارد". أين تكمن الخدعة؟ كما هو متعارف عليه في عالم المجردات المالية المعاصر، عالم الفيوتشيرس والفوروارد افتراضي مثله. القضية في أنه في واقع الأمر... لا أحد يبيع لأحد شيئاً.

تعمل هذه اللعبة المسلية على النحو التالي. صاحبك يريد أن يشتري سيارة. وأنت إذ تعرف هذه الرغبة لديه تعرض عليه شراء السيارة مقابل 100$ في 1 أيلول 2009. تعقد معه فيوتشيرس لتوريد السيارة وتأخذ منه دولاراً واحداً سلفة مسبقاً. ولكنك لا تملك السيارة. التي يرغب بها صاحبك. لذلك تذهب أنت لصديق آخر وتقترح عليه أن يبيعك السيارة مقابل 99$. تعقد معه فيوتشيرس على بيع السيارة، وتعطيه دولاراً واحداً كرهن. وهذا الصديق أيضاً ليس لديه السيارة المطلوبة. ولكن لديه التزام ببيعها في موعد محدد بدقة وبسعر مثبت. بعد ذلك يبحث هو أيضاً عمن يرغب أن يبيعه السيارة في 1 أيلول 2009، ولكن بسعر 98$. ويمكن أن تمتد هذه السلسلة إلى ما لا نهاية. جوهرها واحد على الدوام - في 99% من حالات الفيوتشيرس لا وجود للسلعة ذاتها. إنها مضاربة محضة لا أكثر. يتداولون بيع أوراق تضمن توريد النفط وليس النفط؟ أما النفط فلا أحد ينوي شراءه.

بالعودة إلى مثال السيارة يجب على الأخير في هذه السلسلة من الفيوتشيرس المتداولة أن يجد السيارة في الموعد المحدد أو يجد مضارباً آخر يرغب في لعب هذه اللعبة ومستعد لعقد فيوتشيرس لتوريد السيارة. يأتي 1 أيلول 2009. الفيوتشيرس ملزم بالتنفيذ الأخير، الذي لم يجد السيارة بالسعر المحدد يتلقى الخسارة أو الربح. إذ يأخذ على عاتقه الالتزام بتوريد السيارة بسعر 97$. وإذا لم يجد من يرغب أن

يبيعه فيوتشيرس بهذا السعر. هو ملـزم بشراء السـيارة بالسـعر الحـالي في السـوق في الأول مـن أيلول. فإذا كان سعر السيارة أكثر من 97$ - هو خاسر. وإذا انخفض أكثر مـن ذلـك فهـو رابـح. يبيع الناس السيارات الحقيقية بعضهم لبعض. أما الفيوتشيرس - فهو افتراض متواصـل. لنفـرض أنه يمكن شراء السيارة في 1أيلول بسعر 101$. عندئذٍ تكون خسارة الوسيط من هذا العقد هي الفارق بين سعر الفيوتشيرس والسعر الحقيقي للسلعة أي 101-97 = 4$.

والآن انتبهوا! لا يشتري الوسيط السيارة، بل يدفع لمن وعد أن يبيعه السيارة الفرق بـين سعر الفيوتشيرس والسعر الراهن 4$. ولكن ذلك الشخص لديه أيضاً التـزام موثـق بفيوتشـيرس ببيع السيارة ولكن بسعر 98$ فيدفع للمتعاقد 3$ ويبقى لديه 1$ ربح. وهكذا يجري الأمـر في سلسلة الفيوتشيرس. الكل رابحون وواحد خاسر. السيارة لم تتحرك من مكانهـا وحتـى لم يطلبهـا أحد. أما إذا انخفض سعر السيارة الراهن لأصبح المال معكوساً. لـن يشـتري السـيارة، بـل يـدفع الفرق. ويخسر كل الوسطاء الآخرين.

فيوتشيرس- هي كازينو من نوعها. إنها تفاهة تنتقل فيها النقود دون أن تنـتج أيـة قـيم مادية، يتبدل المالكون ببساطة. لكنه رغم المغامرة والربح السهل. فهي أيضاً مـن أقـوى الأدوات التي يمكنها توجيه الأسعار بالاتجاه المطلـوب. مـن المهـم أن نفهـم أن السـوق يتوجـه حسـب الفيوتشيرس وليس العكس. ليست التجارة الحقيقيـة بـالنفط هـي التـي تشـكل سـعر التجـارة الافتراضية به. بل العكس! فالفيوتشيرس تباع يومياً أكثر بمرات كثيرة من النفط الحقيقي.

إذا أردتم رفع سعر النفط؟ من أجل ذلك يجب أن يبدأ عـدد معـين مـن لاعبـي البورصـة بلحظة واحدة عقد فيوتشيرس حتى مـع بعضـهم بعضـاً، ولـو مـع مشـاركين "شرفـاء" في السـوق، لتوريد الذهب الأسود بسعر أعلى. لكي يبـدأ بقيـة الوسـطاء اللعـب عـلى رفـع السـعر لا بـد مـن أمرين اثنين: خلق خلفية إعلامية والنقود. في بداية 2008 زوَّقـت وكـالات الأنبـاء أخبـاراً تتحـدث عـن زيـادة الطلـب عـلى الـنفط. عـن انخفـاض الاحتيـاطي الأمـريكي. عـن النزاعـات العسـكرية المحتملة، عن الكوارث الطبيعية. قولاً واحداً. عن كل ما يمكنه إنقاص سيول الكربوهيـدرات، التـي

"تصب" في السوق يومياً. "تعقد في بورصة نيويورك عقود لشراء النفط بسعر 200$ للبرميل تسليم نهاية العام. طبعاً يمكن أن يحدث انعطاف كهذا فقط في حالة نزاع جيوسياسي في الشرق الأوسط. ونضيف إلى ذلك احتمال الأعاصير في خليج المكسيك. وحصار النفط من قبل فنزويلا ومجموعة دول أخرى. يتوقع الوسطاء ارتفاعاً ثابتاً للأسعار بعد أن يفوق عدد صفقات شراء النفط بعشر مرات ارتفاع الشهرين السابقين وتبلغ رقماً قياسياً 5533 عقداً. في الأيام الأولى من السنة الجديدة بلغت أسعار النفط في بورصة نيويورك رقماً قياسياً 100.9$ للبرميل"[1].

كيف تتصرف إذا بدؤوا يهاجمون دماغك يومياً بمثل هذه الأنباء؟ قد تصمدون ولا تشترون النفط بسعر 115$. ولكن قربكم الرفاق الوسطاء يعقدون بجرأة فيوتشيرس، تسليم كانون الأول 2008 بسعر 200$ للبرميل وهم أصبحوا كثرة. هل تنافسون مع هذا المزاج؟ ولكن في الصحف يكون مرة أخرى:

"سوف يرتفع الطلب على النفط في عام 2008 بمقدار 2.5%. بهذه الطريقة يحدد ارتفاع الطلب على النفط بشكل أساسي من طرف الدول النامية الأوضاع في سوق النفط. مع أن إمكانيات زيادة الإنتاج محدودة. لهذا السبب يحتمل أن تبقى أسعار النفط على مستوى كاف من الارتفاع"[2].

"أسعار الخامات سوف ترتفع"[3].

"سوف يستمر الارتفاع في أسعار النفط على مدى 25 عاماً، هذا ما يعتقده ممثلو الصناعات النفطية الأمريكية"[4].

وهكذا كل يوم في كل الصحف والإذاعات وقنوات التلفزة. فكل وسائل الإعلام الأساسية مملوكة لأصحاب الاحتياطي الفيدرالي. يعني أنها تبث الأنباء المطلوبة. كل المحللين يشعون تفاؤلاً ويتوقعون ارتفاع أسعار الخامات لسنوات كثيرة. كل ما يساعد في إنشاء مزاج الزيادة سوف ينشر، كل السلبيات- تهمل أو لا تلاحظ. لخلق توتر كبير لا بأس ببعض النزاعات العسكرية المحدودة.

---

[1] http://www.newsforyou.ru/industry/cenam-na-neft-predska-zali-200-za-barrel-k-koncu-goda.html.

[2] http://www.antanta-reserch.ru/article,aspx?articleis=4852&langngeID=1049.

[3] http://www.rb.ru/finance/learn/article/2007/12/14/16/544.html.

[4] http://www.au92.ru/msg/20070717-7071707.html.

ويبدأ الوسطاء بشراء النفط بسعر متزايد.

بالنسبة للإعلام فقد قلنا- سيكون كافياً وملبياً لما يطلبه مالكوه. أما بالنسبة لمكون الفيوتشيرس، والنقود ستكون في أفضل حال. ففي أسوأ الأحوال، إذا لم يتمكنوا من توجيه السعر بالاتجاه المطلوب، ستكون الخسارة هي الفرق بين الفيوتشيرس والسعر الحقيقي. هذا الفرق سيكون ضئيلاً تافهاً وإن بلغ الملايين أو المليارات بالنسبة للطابعة التي تطبعها. خسارة النقود بالنسبة لها- لا شيء، صوت فارغ. تزويد أرصدتها التمويلية، وسطائها لا يشكل للآلة الطابعة أية صعوبة أي لمنظومة الاحتياطي الفيدرالي.

لاحقاً، بعد مرحلة الارتفاع المتمادي للأسعار المفتعل، يبدأ الانخفاض المفتعل شأن الارتفاع. سيكون كل شيء بعكس ما كان: الصحف تصبح متشائمة. ينوح المحللون أمام العدسات، ونشرات البورصة تشبه تقارير صحفية من أرض المعركة. خسائر، خسائر وخسائر.

لخلق التأثير المطلوب تشارك المنظمات بنصيب، مثل وكالة الطاقة الدولية:

"خفضت وكالة الطاقة الدولية توقعاتها للطلب على النفط في عام 2008 بمقدار 390 ألف برميل يومياً- إلى 86.8 مليون برميل يومياً"[1].

"وكالة الطاقة الدولية تتوقع انخفاض الطلب على النفط لأول مرة منذ ربع قرن"[2].

ما هي وكالة الطاقة الدولية- هي منظمة تضم 27 بلداً- أكبر البلدان المستهلكة للنفط. أنشئت في عام 1973. عندما وضع العرب الغرب بوضع معقد للغاية بحظرهم تصدير النفط[3]. ما هي أكبر البلدان المستهلكة للنفط في العالم. أمريكا، الصين، اليابان، الهند وكوريا الجنوبية- تستهلك هذه البلدان 45% من الاستهلاك العالمي. وستكون لها مصلحة في انخفاض سعر النفط طبعاً. وسيوقعون بغبطة على قرار يساعدهم على التوفير كثيراً. سوف يساعد مستهلكو النفط أمريكا لخفض السعر وقد ساعدها المنتجون برفعه.

---

1 http://www.rambler.ru/news/economy/10344/127727635.html.

2 http://www.interfax.ru/business/txt.asp?id=51007.

3 انظر تفاصيل حظر النفط: ستاريكوف ن. شيرشي لانيفت.. لماذا يوجد رصيد استقرارنا هناك؟ СПБ: Питр, 2009.

الأصح، من يرفع ويخفض سعر النفط هم مضاربو البورصة، أرصدة التمويل، ومنظومة الفيوتشيرس الغربية. تتحكم "الآلة الطابعة" بالسعر وتشكل تصريحات أوبك ووكالة الطاقة الدولية الخلفية الإعلامية المطلوبة. منذ نيسان عام 2005 صرح وزير النفط القطري عبد الله العطية "بصدق": لا يجوز إلقاء اللوم على أوبك بالارتفاع الكبير لسعره. فقد فعلت أوبك كل ما في وسعها. هذه الحالة خارج سيطرة المنظمة"[1]. أما محرر قضايا النفط والغاز في الصحيفة البريطانية فايننشال تايمز إدكروكس كان أكثر صراحة: "قوة أوبك تبدو ضئيلة أمام التأثير الذي يمارسه الطقس وأرصدة التمويل العالمية. إضافة إلى مشتقات النفط. تفوق حجوم تجارة النفط اليومية في البورصات العالمية، حجم الإنتاج اليومي للنفط في العالم كله بعشر مرات. فإذا أراد المضاربون أن يهبط سعر النفط، فلا تستطيع أوبك أن توقف ذلك"[2].

هل ما زلتم تصدقون أن سعر النفط هبط تلقائياً؟

تذكروا أن بنوك التمويل الأساسية كلها أصبحت تحت سيطرة بنوك أصحاب النظام الاحتياطي الفيدرالي في أمريكا... في عام 2008 بالذات.

وفي تموز 2008 قررت السعودية، أكبر منتج للنفط أن تزيد إنتاجها اليومي بمقدار 550 ألف برميل - إلى 9.7 مليون برميل دون سبب واضح. لم تبلغ السعودية هذا المستوى من الإنتاج منذ عام 1981.[3] طبعاً يخفض ذلك من سعر النفط فمنذ أيلول 2008 بدأ سعر النفط يتهاوى بسرعة. أيعقل أن السعوديين لا يريدون المال. لماذا يخفضون سعر بضاعتهم؟ إنهم يريدون المال. ولذلك حصراً تحاول السعودية بيع أكبر كمية ممكنة من النفط بالسعر الأعلى لشهر أيلول. لأنها تعرف أن من يحرك سعر النفط ليس ميزان العرض والطلب مطلقاً. سوف تخفض أسعار النفط بشكل سريع جداً بواسطة الفيوتشيرس.

---

[1] http://www.polit.nnov.ru/2008/10/21/oilpecvizov/.

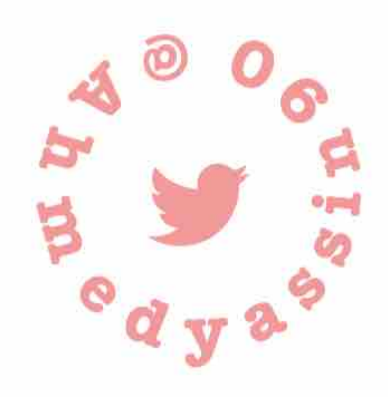
[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه.

الاقتصـاد الحـالي مـريض حقـاً. لا يتـاجر النـاس في البورصـة بـالنفط، بـل بـورق اسـمه الفيوتشيرس. وهم الذين يحددون السعر على الذهب الأسود ولـيس مـالكو حقـول الـنفط. لأن حجوم بيع نفط فيوتشيرس الافتراضي تفوق بمرات عديـدة بيـع الـنفط الحقيقـي. هكـذا يوجـه العالم الافتراضي الواقع في الاتجاه المطلوب.

هذا هو حال سوق النفط اليوم. أما السياسة فتتعامل مع حقائق واقعية. تتبع السياسـة الحقائق. الكربوهيدرات اليوم - مكونها الرئيس.

فتعالوا نقتنع بذلك.


@Ahmedyassin90

الفصل الثاني عشر

لماذا تكره أمريكا فنزويلا وإيران والعراق؟

نحـــب الوطــن ليـس لأنـه عظيـم،

بل لأنه وطننا

سينيكا

هـا أنذا أنظـر إليك وأفكر هل أشرب

بعد أم أنك صرت تعجبينني؟

طرفة

هل يمكن فهم الأهداف السياسية التي يسعى إليها منظمـو الأزمـة الحاليـة؟ مـن أجـل ذلك نحتاج في البداية أن نستوح السياسة التي تتبعها الدولة الأمريكيـة، التـي يصـعب كثـيراً أن نميز بين تضاعيفها أصحاب النظام الاحتياطي الفيدرالي.

للتوضيح ننظر هذا الجدول. احتياطات النفط وفق معطيات 2007.[1]

البلد	الاحتياط المقدر. مليار برميل
السعودية	262
كندا	179
إيران	136
العراق	115
الكويت	102
الإمارات	98
فنزويلا	80
روسيا	60
ليبيا	41.5
نيجيريا	36.2

[1] صحيفة روسيكايا غازيتا 2008/11/21.

الكربوهيدرات- حتى اليوم هي الخام الرئيس في الاقتصاد المعـاصر. إذ يصـنع منهـا كـل شيء. ومكان وجودهـا، مكـان احتياطاتهـا الأساسـية - سـيكون مكـان احتـدام الصراع السـياسي. وتدور زوابع الأنباء السياسية منذ زمن بعيد حول حقول النفط.

السعودية - الحليف الأقرب لأمريكا منذ زمن بعيد: حتى روزفلت التقى في 1945 الملـك عبد العزيز بن سعود على متن طراد أمريكي. الشركة الأمريكية "ستاندارد أوبل" (شيفرون حالياً) هي التي اكتشفت النفط في عام 1938 في رمال السعودية. لاحقاً اكتسبت الصداقة لونـاً نفطيـاً واضحاً. أسست الشركات الغربية شركة (آرامكو) لاستخراج النفط، التي أخـذت تضـخ الـنفط في الناقلات الأمريكية، إلى أن أممها السعوديون عام 1976. ولكنهم إذ قـاموا بـذلك، حـافظوا عـلى خضوع تام لسياسة أمريكا. ولم "يغضب" الأمريكيون من شركائهم. السعوديون بالذات بزيادتهم "المفاجئة" لإنتاج النفط ثلاثة أضعاف جعلوا أسعار النفط تتهـاوى ووضـعوا الاتحـاد السـوفيتي بوضع معقد[1].

توصف تفاصيل تقـارب السـعوديين والأمريكـان بشـكل رائـع في كتـاب جـون بيركيـنس "اعترافات قاتل اقتصادي". استثمر العرب أموال النفط في تطوير بلادهـم. ونفـذت أمريكـا كـل الأعمال في السـعودية. لم تغـادر النقـود الـبلاد التـي طبعتهـا. بـل ذهبـت مبـاشرة للمتعهـدين المطلوبين. بعد إقامة الطرق، وناطحـات السـحاب والبنيـة التحتيـة جـاءت القواعـد العسـكرية الأمريكية، السعودية اليوم تحت السيطرة الأمريكية الوثيقة[2].

---

[1] تفاصيل خنق السعوديين النفطي للاتحاد السوفيتي بإيحاء من الولايات المتحدة انظر: ستاريكوف ن شـيرشي لاينفت. СПБ: Питр, 2009.

[2] مصدر رفاهية العربية السعودية- ليس النفط، بل كميته الضخمة مضافة إلى عدد سكان غير كبير. لديها مـن النفط أكثر من روسيا بخمس مرات. ومن البشر أقل من روسيا بسبع مرات. من هنا تـأتي القفـزة الضـخمة في التطور. في عام 1974 في عاصمة المملكة الرياض، كانت قطعـان المـاعز تنـتشر، وكانـت تشـكل نظـام تنظيـف المدينة الرئيس من الفضلات. لم يكن أحد من السعوديين الذين يحترمـون أنفسـهم يرغـب بتنظيـف أو كـنس القمامـة. والآن أيضـاً لا يرغبـون- في البلـد ملايـين العـمال الوافـدين، الـذين لـن يحصـلوا أبـداً عـلى المواطنـة (الجنسية).

كندا - إنها حالة مثيرة. إمكانية لاختبار اطلاعنا. من هـو رئـيس هـذا البلـد؟ إن كنـتم لا تعرفون فلنسأل بطريقة أخرى: ما هـو النظـام في بلـد ورقـة الـدلب؟ الجـواب الأكـثر شـيوعاً - جمهوري، الجواب خاطئ. أمامكم أعزائي القراء ثمرة احتكار طويل الأمد لوعينا. في الواقـع كنـدا دولة ملكية. الملك حصراً في هذا البلد يعتبر رأس الدولة في الوقت الحالي يشغل هذا المنصـب – ((إليزابيث الثانية ملكة إنكلترا. لقبها الرسـمي "إليزابيـث الثانيـة" بفضـل اللـــه ملكـة المملكـة المتحدة، وكندا وممالك وأراض أخرى، رئيسة الاتحاد حامية العقيدة)). إنها ملكة على كندا منـذ 6 شباط 1952. وريث التاج هو تشارلز أمير ويلز والتالي يـزداد إثـارة. يتبـين أن رئـيس الـوزراء، أحزاب البرلمان، الانتخابات - كل ذلك تمثيل مزيف. يعيبون على روسيا التفكير الإمبراطوري دائماً ويقولـون جملـة طقوسـية - "زمـن الإمبراطوريـات قـد ولى". اصـحوا أيهـا السـادة لم تـذهب الإمبراطورية البريطانية. بل استترت ببساطة موهت نفسها. الإمبراطورية الروسية - فعلاً لم تعـد موجودة. فقد كانت على قدر كبير من التخلف - فيها، يخجل القول، رأس الدولة ملك بالوراثـة. وقد اضطهدت في هذه الإمبراطورية المخيفة قوميات الأطراف. فنلندا مثلاً. القيصر الروسي يعتبر ملكاً لفنلندا. كان على رأس فنلنـدا. في هيلسـينكي كـان رئـيس الـوزراء والبرلمـان. ولكـن الـرأس الرسمي للبلاد هـو نيكـولاي الثـاني. كـان يقـود حكومـة فنلنـدا مبـاشرة دون المـرور بالحكومـة الروسية. لذلك كان لفنلندا جمارك على حدودها مع روسيا ولها عملتها الخاصة.

في الإمبراطورية الروسية "المتخلفة" كان نظام الإدارة مماثلاً للنظـام البريطـاني "المتقـدم" الموجود حتى يومنا هذا! لا فرق بينهما. سوى أننا خسرنا الاشـتباك الجيوسـياسي بسـبب الثـورة ولذلك أصبحنا "متخلفين". أما الأنكلوساكسون فقد نظموا ثورتنا وأصـبحوا شـعلة الحريـة. لقـد فككوا إمبراطوريتهم، وحافظوا مع ذلك على نظام إدارة كالذي كان عندنا قبل عام 1914 الذائع الصيت.

عدا عن بريطانيا، يعتبر الملك البريطاني أيضاً رأساً للدولة في خمس عشرة دولة. أيعقل أن هذا نتيجة العلاقات الاسـتعمارية السـابقة بـين هـذه البلـدان والمسـتعمر؟

أجل إنها كلها مستقلة اليوم ولدى كل بلد نظامه الملكي الخاص، ولكن الملك لدى الجميع... الملك ذاته. هذا طريف كما لو بعد تفكك الاتحاد السوفيتي إلى خمس عشرة دولة مستقلة وصار بوريس يلتسين رئيساً لاثنتي عشرة دولة منها. أوزبكستان، مولدوفا وأوكرانيا كما لو أنها حرة تماماً في اختيار أهداف تطورها، وتجري فيها انتخابات. يتغير فيها رؤساء الوزراء. ولكن رأس الدولة في كل الأحوال هو رئيس روسيا. فكيف تكون سياسة هذه الدول في هذه الحالة؟ هل ستكون موالية لروسيا أم معادية لها؟.

لقد بنى الإنكليز نظاماً مريحاً جداً، بالنسبة للملكيات الأوروبية، إنكلترا بلد ملكي. هنا كل شيء صالح ونبيل... لا يوجد أي جمهوريين مشاغبين، لا يوجد أي ثوار أو متآمرين. بالنسبة لكل العناصر التخريبية تعتبر بريطانيا- بلاد الحريات الفريدة، حيث لا يوجد ظلم ولا إساءة للكرامة الإنسانية. فهل سمعتم يوماً أن ثواراً ناضلوا ضد الملكية البريطانية؟ هل ذموها ولو مرة واحدة؟ وهي لم تكن أفضل في شيء من الملكية الألمانية أو الروسية. كل الأحاديث عن كون الملكة الإنكليزية تملك ولا تحكم. تذهب هباء لدى التعرف على الحقائق والوثائق. إنها تحكم وتُحكم! رأس التاج الإنكليزي حتى الآن في زمننا يملك حق:

- إعلان الحرب، دون التشاور مع البرلمان؛
- تعيين رئيس الوزراء (الذي يشاء، وليس حتماً رئيس الحزب الفائز في الانتخابات)؛
- حل البرلمان؛
- قيادة القوات المسلحة.

وهذا ليس كل شيء. تذكروا، في فيلم "معجزة عادية" كان الملك يتكلم: "كشخص مبجل ومقدس، مبجل كبابا روما في مملكتنا..." هذا ليس مزحة وليس مبالغة إنه الحقيقة خالصة فقد كان الكاتب يفغيني شفارتس يكتب عن بريطانيا العظمى. فالملكة البريطانية هي أيضاً رأس الكنيسة الأنكليكانية. ورأس الكنيسة الكاثوليكية هو بابا روما...

نقطة هامة: كل الصلاحيات الكثيرة المذكورة أعلاه تملكها ملكة بريطانيا أيضاً في كندا وأستراليا وبقية الدول التي هي رأس الدولة فيها[1].

ما رأيكم بهذه الإمبراطورية "المموهة"؟ لماذا لا يستعمل الملك البريطاني هذه الصلاحيات؟ هو ليس بعيداً أبداً عن استعمالها. فقد شاركت كندا وأستراليا في كل الحروب العالمية إلى جانب الإنكليز. فقد أعلن الملك البريطاني الحرب باسمها على ألمانيا، رغم أنه في عام 1914 لم يكن ممكناً لأي قيصر ألماني أن يهدد تلك الأراضي البعيدة ولو نظرياً! كان الوضع مشابهاً في عام 1939: في 1 أيلول أعلنت ألمانيا الحرب على بولونيا. انظروا إلى الخريطة، في هذه الحالة ما الذي يهدد جنوب إفريقيا وكندا؟ أو أستراليا؟ لا شيء. إذا سألنا مواطني هذه الدول: هل يريدون الحرب؟ بالطبع لا، ولكن في الإمبراطورية الأنكلوساكسونية الديمقراطية تقرر الملكة المستبدة كل شيء ، وتقرؤون النتائج في الكتب: 3 أيلول 1939 أعلن الحرب على الرايخ الثالث كل من بريطانيا، أستراليا، الهند، نيوزيلندا، فرنسا؛ 4 أيلول - اتحاد جنوب إفريقيا؛ 7 أيلول كندا[2].

هل يمكن أن تعتبر الدولة مستقلة، إذا كان يقودها رأس دولة أخرى؟

هل يمكن اعتبار البلد مستقلاً إذا كان رأس دولة أخرى يعلن الحرب باسمه؟ وإذا كان رأس دولة أخرى يمكنه في أية لحظة حل برلمانه؟ وإذا كان رأس دولة أخرى يقود جيشه؟

كلا. وهم لا يحبون الحديث عن ذلك ولكن هذا هو الواقع. وحقيقة أن الملكة تعين رئيساً للوزراء رئيس الحزب الفائز في الانتخابات - هو نتيجة تقليد متبع، وليس تحقيقاً للقانون. إذا انتصر فجأة في كندا حزب يرغب "بترك" محافظة كيبيك وبعقد حلف عسكري مع روسيا أو الصين، فالملكة عندئذٍ تحل البرلمان فوراً.

[1] ملكة بريطانيا، عدا عن بريطانيا العظمى! هي رأس خمس عشرة دولة أخرى. هي أستراليا، انتيغوا وباربودا. باهاما، باربادوس، بيليز، غرينادا، كندا. نيوزيلندا، بابوا- غينيا الجديدة. سانت- فينسانت وغرينادينا، سانت - كيتسي ونيفيس، سانت. لويس، جزر سليمان، توفالو، جامايكا.

[2] انظر الحرب العالمية الثانية: وجهنا نظر موسكو: 1995، ص. 341-342.

الدولة الثالثة باحتياطات النفط هي إيران. ولماذا ركـزت أمريكـا ضـغوطها عـلى طهـران حتى الفترة الأخيرة بكل هـذا النشـاط وتقـول مختلـف الأشـياء عـن برنامجهـا النـووي المزعـوم والخطير جداً؟ لماذا هددت بضرب إيران؟ لكي ترغم فـارس[1] عـلى الخـوف وتسـليم احتياطاتهـا الطبيعية لأمريكا. والأدق إعادتها إلى سيطرة الغـرب. القضـية هـي أن الولايـات المتحـدة كانـت تسيطر تماماً على إيران. وخطأ مؤسف فقط - تذمر الشعب الإيراني - سمح لإيران أن تخرج من تحت اليد الأنكلوساكسونية الموضـوعة عـلى ثرواتهـا الطبيعيـة. في عـام 1941 احتلـت القـوات السوفيتية والبريطانية إيران. أهمية هذه القطعة من الأرض الغنية بالنفط كانـت بحيـث أبقـى ستالين في شهور الرعب عام 1941 جيشين على الحدود مع إيران وفقط في الخريـف نقـل جـزءاً من القوات إلى موسكو. كذلك الإنكليز لم يروا إيران أقل أهمية. وضع الحلفـاء عـلى رأس إيـران الشاه محمد رضا بهلوي. سرعان ما عادت قواتنا إلى الوطن بعد نهاية الحرب (عـام 1946)، أمـا الأنكلوساكسونية فقد ظلوا هناك لفترة طويلة، وتركوا كذراع للنفـوذ شركـة الـنفط التـي نشـأت منها لاحقاً "بريتش بيترووليوم". في عام 1951 رئيس الـوزراء الإيـراني المنتخـب ديمقراطيـاً محمـد مصدق أمم كل صناعة البلد النفطية. اغتاظ الأنكلوساكسون أشد الغيظ. فقد علقوا على رئـيس الوزراء الإيراني آمالاً كبيرة- في 1951 سـمته مجلـة تـايمز رجـل العـام[2]. في تشريـن الأول 1952 قطعت حكومة مصدق العلاقات مع إنكلترا. في شباط 1953 اقترح مصدق عـلى الشـاه مغـادرة البلاد معلناً أن الشاه يجب أن يملك ولا يحكم. ولكن الأحداث جرت وفق سيناريو مغـاير. عُـزل مصدق الذي خيب الآمال بنتيجة مظاهرات واضطرابات في الشارع نظمتها المخابرات الأمريكية. وإذا تكلمنا بلغة الـعصر نتيجـة "ثـورة برتقاليـة". يـقضي بقيـة حياتـه تحـت الإقامـة الجبريـة. وانتقلت تمامية السلطة إلى أيدي الشاه. وهو في 19 أيلول 1954 وقع اتفاقية مـع شركـة عالميـة

---

[1] أصبحت فارس تدعى إيران اعتباراً من عام 1935. تذكروا الملحمـة الهوليوديـة (300 إسـبارطي". مـن حـارب اليونانيون؟ حاربوا الفرس أي الإيرانيين الذين يصورهم الفيلم شديدي التشوه (جسدياً وأخلاقياً) عرض الفـيلم على الشاشات بالتزامن مع حملة تحريض على إيران شنتها واشنطن. هل هذا صدفة؟ في هذه الأيام تنتج أفلام حول أن أوكرانيا - ليست روسيا إطلاقاً. المدهش لماذا ينتج "المنتجون المستقلون" مثل هـذه الأفـلام في الوقـت المناسب؟

[2] اللافت أن مجلة تايم أطلقت على هتلر لقب رجل العام. فأية آمال علقت عليه في العام القادم 1939؟

للنفط، وأعاد السيطرة على النفط الإيراني إلى أيدي الاحتكارات الغربية. ذهبت حصة الأسد من بيع النفط الإيراني إلى أمريكا وبريطانيا. في الاتجاه المعاكس جاءت توريدات التكنولوجيا النقدية. إلا أنها ذات خصائص مميزة: في عام 1957 بمساعدة المخابرات المركزية أنشأ البوليس السري سافاك.

لكن ذلك لم يجدِ نفعاً - فقدت أمريكا السيطرة على إيران. في 11 شباط 2009 اكتملت ثلاثون سنة من لحظة حدوث الثورة الإسلامية في إيران، التي أزاحت الشاه، وأرست دعائم الجمهورية الإسلامية على قاعدة المبدأ الديني "ولاية الفقيه" باسم روح الله موسوي خميني[1]عملية نفي الدمية الأمريكية - الشاه - استمرت شهراً تقريباً. التاريخ الرسمي لبداية الثورة الإسلامية في إيران يعتبر 8 كانون الثاني 1987. عندما أطلقت النار على أول مظاهرة معارضة كبيرة في مدينة قم. لاحقاً أدت الاحتجاجات والمظاهرات إلى هروب الشاه إلى الخارج وقدوم آية الله الخميني. تلا ذلك معارك في الشوارع في طهران وحتى توزيع أسلحة على السكان. إلى أن أعلن الجيش الإيراني وقوى الأمن عن حياديتها، ما يعني انتصار الثورة. طالب الإيرانيون أمريكا بتسليم الشاه الفار، واحتلوا السفارة الأمريكية في طهران وأعلنوا أن العاملين فيها رهائن. شاهد العالم كله عجز أمريكا الكامل والعلني. أخفقت العملية الخاصة لتحرير الرهائن، مما كلف، في الجوهر، الرئيس الأمريكي جيمي كارتر سمعته واحترامه. بسخرية من القدر جلب إخفاق الأمريكيين الكامل رونالد ريغان إلى السلطة، الذي دفن لاحقاً الاتحاد السوفيتي- الأمر اللافت: تحرير الرهائن في طهران حدث فوراً بعد إعلان ريغان رئيساً. مدهش؟ كلا، فالاتصالات السرية بين الخصوم في كل النزاعات مستمرة.

أدخلت الثورة الإيرانية تعديلات جدية في سياسة أمريكا في المنطقة. أية مجابهة لخطط "آلة الطباعة" العالمية يجب أن تعاقب. علاوة على أن استحالة ضخ النفط الإيراني فوراً أثرت على الاقتصاد الأمريكي. على امتداد العام 1978 ارتفع العجز في أمريكا من 6.8 إلى 9% وفي كانون الثاني عندما أزيح الشاه أصبحت

---

[1] هذا التاريخ يحمل تسمية رسمية "يوم التعبير عن التضامن مع سياسة قيادة الجمهورية الإسلامية والوفاء لفكر مؤسس جمهورية إيران الإسلامية الإمام الخميني".

تكتب برقمين (12%)[1]. سيطرت الدولة على أسعار البنزين وفي الصيف ظهرت في أمريكا طوابير طويلة على محطات البنزين، التي نعتبرها نحن بسذاجتنا إنجازاً اشتراكياً محضاً.

حدثت الثورة في إيران عام 1979. ولم يطل انتظار الانتقام. لعب دور سيف الغرب الدكتاتوري الشاب الواعد صدام حسين. ما إن وصل إلى السلطة في العام نفسه 1979، هاجم صدام إيران في 1980. استمرت هذه الحرب 10 سنين وكلفت حياة ملايين البشر! شنق الأمريكيون صدام منذ فترة وجيزة لقتله السكان المدنيين. ولكنهم كانوا يثمنون عدوانه على إيران إيجابياً. أصبح ذلك بداية صداقة حميمة بين العراق وأمريكا. قبل ذلك أمم حزب البعث الثوري نفط العراق. وأجاب الأمريكان بقطع العلاقات الدبلوماسية. ما إن بدأت الحرب العراقية- الإيرانية حتى نسيت الأحقاد القديمة دفعة واحدة. في شباط 1982 شطبت بغداد فجأة من القائمة الأمريكية للدول "الداعمة للإرهاب العالمي"، مما أدى إلى بداية توسيع العلاقات- التجارية- الاقتصادية والعسكرية[2]، في كانون الأول 1984 افتتحت في بغداد من جديد سفارة أمريكية، بدأت على الفور تزويد العسكريين العراقيين بمعلومات استخباراتية من أقمار التجسس الاصطناعية. كان العراق بحاجة إلى المال. فتلقى 345 مليون في عام 1984، في العام التالي 1985-675 مليون $ وفي نهاية العام 1987 وعد العراق بأكبر قرض من نوعه لبلد واحد في العالم 1 مليار$[3].

علام أنفق صدام النقود؟ على الحرب مع إيران. من أعطاه القروض؟ أمريكا. هذا يعني أن صدام كان يقتل الإيرانيين بالنقود الأمريكية.

---

[1] غرينسبين ا. عصر الاضطرابات، موسكو البينا بيزنس بوكس، 2007،ص. 90. لا يحب الاقتصاديون الليبراليون قول الحقيقة عن الاقتصاد والتاريخ. لا يتحدثون أبداً عن العجز الهائل في الغرب. لذلك يتكون انطباع، أن هناك كل شيء كان هادئاً وحسناً، وفي الاتحاد السوفيتي كل شيء سيئ وتافه. هذا كذب إليكم عدة أرقام فقط من كتاب غرينسبين: 1970: العجز 5.7%، البطالة 5 مليون؛ 1972: العجز 11%. البطالة 5 مليون؛ تحدثنا عن أزمة عام 1982. في واقع الحال في 1973 أفلس الاقتصاد الأمريكي. بداية التقارب مع الصين وفك ارتباط الدولار نهائياً بالذهب أنقذا الأمريكيين من الانهيار. الاتحاد السوفيتي لم يستغل اللحظة المؤاتية ليقضي على منافسه. ودفع ثمن ذلك. في 1991 لم تكن أمريكا بذلك النبل.

[2] http://www.fictionbook.ru/author/apdayik_ribin_dj/saddam_huseyin/apdayik_saddam-huseyin.html.

[3] المصدر نفسه.

(لماذا توجب في النهاية شنق الرفيق صدام؟ لأنه خرج من تحت السيطرة. قرر الدكتاتور العراقي أن يبدأ لعبته الخاصة. وطرح فكرة متمردة- بيع نفطه بالدينار العراقي وليس بالدولار الأمريكي..)[1].

علاقات إيران مع أمريكا،كما نرى، معقدة جداً. منابع النفط الإيراني الضخمة خارج سيطرة واشنطن. تثبيت هذه السيطرة - إحدى المهام المفتاحية للسياسة الأمريكية المعاصرة. تطلق التهديدات والوعود المعسولة. ومن المناسب كثيراً وجود أمريكا في أفغانستان المجاورة لإيران. منذ بدء وصول الأمريكيين ارتفع إنتاج المخدرات 40 ضعفاً. حركة طالبان اجتثت زراعة الماك المخدر من جذورها، و"المكافحين ضد الإرهاب العالمي" جعلوا من أفغانستان أكبر منتج له. أطنان من المخدرات بطريقة صناعية تذهب إلى أوروبا، والصين وإلى إيران أيضاً وليس فقط إلى روسيا. من أجل قطع طريق المخدرات حفر الإيرانيون في الأرض الصحراوية خندقاً بعمق 5 أمتار وعرض 4 أمتار، وبطول 800 كيلومتر[2] وهناك أيضاً وضع شريط شائك بطول 144 كيلومتراً. لكن هذا لم يجد نفعاً. والمخدرات تقتل الشباب الإيراني، كما تقتل الشباب الروسي والصيني. هل فهمتم، لماذا لا تريد أمريكا الخروج من أفغانستان؟

التالي في جدولنا هو العراق. كل شيء معه واضح. فهو حتى اليوم محتل من قبل أمريكا. استغل الأمريكيون أحداث 11 أيلول 2001 ليضعوا آبار النفط تحت سيطرتهم[3]. بحجة البحث عن السلاح الكيماوي دخل الأمريكيون إلى بلد مستقل. وإذ لم يجدوا شيئاً هم ليسوا متعجلين بالخروج ولا بالاعتذار. يقولون أنهم سوف يخرجون في نهاية عام 2010. ولكن أمريكا أتقنت حتى الكمال فن البقاء

---

[1] وضع الأمريكان لعبة جميلة كثيرة الخطوات... حرضوا صدام لاحتلال الكويت ثم عاقبوه على ذلك وبحجة حماية العرب من النظام العدواني أنشؤوا في المنطقة قواعدهم. بعد عملية "عاصفة الصحراء" على النقيض من كل التوقعات. لم يطح الأمريكيون بصدام. لماذا؟ ليكون لديهم حجة التدخل هناك عندما يشاؤون للتفصيل انظر: ستاريكوف شيرشي لانيغت.

[2] مجلة فيينا الجديدة عدد 2 (958)، 2009.

[3] عن الأمور الغريبة لحادثة 11 أيلول 2001، التي تفسح مجالاً للقول عن تنظيم سلطات الولايات المتحدة للاصطدام انظر: ستاريكوف ن. شيرشي لانيفت.

في المكان الذي "تخرج" منه. خرج العسكر- وبقيت شركات النفط. ذهبت الشركات النفطية- يعود العسكر من جديد، لكي يتمكن عمالقة النفط من العودة بهدوء.

الكويت - هي التالية في الجدول. هنا كما في السعودية (وفي المكسيك) شركات النفط الأجنبية ممنوعة تماماً من إمكانية المساهمة في تمويل استثمار الاحتياطات النفطية والغازية[1]. هل سمعتم يوماً عن شيء سيئ. ما في هذه البلدان؟ عن استحالة العمل؟ عن خنق المبادرة الحرة؟ عن المردودية المخيفة لقطاع النفط. لماذا لا ينتقد منظرو السياسة والاقتصاديون العرب لعدم رغبتهم السماح بدخول عمالقة النفط إليهم؟ لأن الكويت التي تملك احتياطات نفطية ضخمة كانت قد "أُنقذت" من قبل الأمريكان من صدام حسين. وحتى الآن توجد على أراضيها قواعد "المنقذين" العسكرية. فهل حكومة الكويت حرة في أفعالها؟

"على الأرجح لن ترتفع أسعار النفط أكثر من 40 دولاراً للبرميل، حتى إذا خفضت دول أوبك حجم الإنتاج في الاجتماع القادم- هكذا يعتبر ممثل مجلس النفط في الكويت موسى معرافي. وأشار إلى أن سعر "الذهب الأسود" يتأثر بقوة بالاحتياطات المتزايدة للنفط في أمريكا، عدم تنفيذ قرارات الأوبك حول الحصص المسموح بها من قبل مجموعات بلدان- أعضاء في الأوبك والتأثير المستمر من البلدان المنتجة للنفط من غير أعضاء الأوبك. تقول أسوشيتد برس"[2].

"في 2009 سوف يتأرجح سعر النفط بحدود 40-60 دولاراً للبرميل. صرح بهذا الرأي وزير مالية أندونيسيا سري مولياني أندراواتي، كما أشار إلى أن الموازنة سوف ترتكز على سعر النفط البالغ 45 دولاراً للبرميل. تقول رويترز"[3].

هذان الخبران ظهرا في أشرطة وكالات الأنباء بفارق ساعتين. كما ترون الكويت من المتشائمين النادرين، أما أندونيسيا - متفائلة. ما سبب هذه الاختلاف في الفهم. السبب وجود القواعد الأمريكية على أرض الكويت وعدم وجودها

---

[1] غرينسبين ا. عصر الاضطرابات. موسكو: البينا بيزنس بوكس، 2007، ص. 416.

[2] http://www.rbc.ru/rbcfreennews/2009021550100.shtml.

[3] http://www.rbe.ru/rbcfreenews/20090215173655.shtml.

في أندونيسيا. لذلك، الكويت "الحرة" سوياً مع العراق "الحر" والسعودية "كاملة الحرية"، لسبب ما، تحاول بكل الوسائل أن تخفض سعر النفط بإطلاق هذه التصريحات. أما أندونيسيا "الشريفة" كما ينبغي للتاجر الطبيعي ببضاعة، يسعى لرفع سعرها.

إذا تابعنا النظر إلى الجدول- فسوف يبدو كل شيء مشابهاً. الإمارات العربية المتحدة- تتوضع فيها القواعد الأمريكية "الضفرة" و"الفجيرة" وكذلك هي تدخل في "الرزمة المسيطر عليها" للكربوهيدرات العائدة لأمريكا. وبالمناسبة لم تستقل هذه الدولة حتى 1971 حيث خرج منها الإنكليز.

يتلو في اللائحة فنزويلا، روسيا وليبيا ونضيف هنا إيران. وماذا نرى هنا. كل هذه الدول الغنية بالنفط وخارج سيطرة أمريكا، تعتبر "غير ديمقراطية". ما ينتج أن القضية تكمن في احتياطات النفط في سيطرة الأنكلوساكسونيين عليها، ولا شأن هنا للانتخابات وكذلك للديمقراطية.

طرائق فرض الرقابة على احتياطات النفط عند أمريكا وحيدة النموذج دائماً. هي الانتخابات، الانقلابات والتدخل العسكري. لا توجد سوى ثلاثة خيارات. يمكن أن تتقاطع فيما بينها. في هذه الأيام الشائع في الموضة هي الانتخابات (أوكرانيا، جورجيا) في ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين استخدم التدخل العسكري أكثر (باناما، غرينادا، العراق). وقبل ذلك كانت الطريقة القديمة الطيبة: الانقلاب في الدولة.

1903 - عندما اقترح المهندس الفرنسي فرديناند ديليسبس، الذي شق قناة السويس، قرر شق قناة تصل المحيط الأطلنطي بالهادي، اهتم الأمريكيون بسرعة بفكرته. فأزاحوا الفرنسيين بهدوء عن المشروع. وكانت باناما حينذاك محافظة من كولومبيا. حيث يجب أن تشق القناة في أراضيها، أصر الأمريكيون أن تسلم هذه الدولة اللاتينية إدارة القناة للأمريكيين. رفض الكولومبيون، عندئذٍ أرسل الأمريكيون قواتهم، وقامت مجموعة من الكولومبيين بإملاء من أمريكا بإعلان الانفصال عن كولومبيا، وشكلت دولة باناما الجديدة. وأعقب ذلك عقد اتفاقية تنتقل بموجبها منطقة قناة باناما إلى الولايات المتحدة بشكل دائم. وتحصل باناما

على أجر سنوي[1]. في عام 1997 عقد رئيس هـذا البلـد عمـر توريخـوس مـع الولايـات المتحـدة اتفاقيتين بدلاً من الاتفاقيـة السـابقة حـول وضـع قنـاة بانامـا. أصـبحت مدينـة بانامـا عاصـمة جمهورية مستقلة، ومقر إقامة الرئيس والحكومة التي تسيطر على منطقة القناة والقناة ذاتهـا. في 31 تموز 1981 قتل توريخوس بتفجير طائرته. وأصبح الجنرال نورييغا رئيساً للبلاد. وقـد كـان على مدى 20 عاماً عميلاً للمخابرات الأمريكية. إلا أنه لم يتصرف مع معلميه السـابقين بهـوادة. في 20 كانون الأول 1989 أدخلت أمريكـا قواتهـا إلى بانامـا، وأطاحـت بسـلطة نورييغـا، واتهـم بتجارة المخدرات. ألقي القبض على الجنرال، ونقـل إلى أمريكـا وحكـم عليـه بالسـجن 40 عامـاً. وأصبح أول رئيس دولة أجنبية حكم عليه بمخالفة قـوانين الولايـات المتحـدة، وقـد سـبق بـذلك الجدول الحزين حتى ميلوشيفيتش. يتـولى السـلطة حاليـاً في بانامـا ممثلـو الأسر التـي سـبقت توريخوس في الحكم. لم يلغ الاتفاق الذي يعيـد القنـاة لبانامـا، لا يـزال سـاري المفعـول. ولكـن الطرفين لا يلاحظانه".

1914- احتلت أمريكا هاييتي بحجة منع الفوضى، وخرجت فقط في عام 1934.

1933- العسكر الكوبيون بزعامة فولخينسيو باتيستا وبدعم الولايات المتحـدة يطيحـون بالرئيس ماتشادو. واستمر باتيستا بالحكم إلى أن أطاح به فيدل كاسترو.

1954- نظمت المخابرات المركزية انقلابـاً في غـواتيمالا. كـان رئـيس الـبلاد منتخبـاً وهـو الإصـلاحي هـاكوبو أربيـنس. كـان الغـرب يطلـق عـلى غـواتيمالا تسـمية "نمـوذج العمليـة الديمقراطية". لكن أربينس بدأ الإصلاح الزراعي- قبـل ذلـك كـان 70% مـن الأراضي يملكهـا 3% من السكان. وعلى الفور تغيرت النظرة إلى غواتيمالا. قصفت القوات الجوية الأمريكيـة عاصـمة البلاد مدينة غواتيمالا. تولى السلطة العقيد كارلوس كاسـتيللو أرمـاس. ألغـي الإصـلاح الزراعـي، وألغيت الضرائب على الأرباح والفوائد التي تـدفع للممـولين الأجانـب، وألغيـت الانتخابـات[2].

[1] لافت أن هذه الاتفاقية المجحفة لم يوقع عليها أي بانامي. وقع عليها مستشار الأمن القومي الأمـريكي جـون ميلتون والمهندس الفرنسي فيليب- بونو- واريليه.

[2] بيركينس و. اعترفات قاتل اقتصادي. موسكو بريتكست 2005، ص. 262.

أربعة عقود صارع العسكر الذين تولوا السلطة المتمردين اليساريين. النتيجة- 200 ألف قتيل.

1965 - أندونيسيا. المستعمرة الهولندية، أحتلها اليابانيون أثناء الحرب العالمية الثانية. بعد انتهاء الحرب ناضلت أربع سنوات أخرى حتى نالت استقلالها في عام 1949. تولى السلطة في عام 1963 نظام أقام علاقة صداقة مع الاتحاد السوفيتي، وتسلح الجيش بسلاح سوفيتي. لاحقاً تلت أحداث شبيهة بأحداث إزاحة رئيس الوزراء الإيراني مصدق في 1953. استولى العسكر على السلطة، ما حدث بعد ذلك طواه النسيان اليوم. حدث ما يشبه ليل بارثولوميو[1]. قتل حسب تقييمات مختلفة من 300-500 ألف شخص. الحزب الشيوعي الأندونيسي اجتث بكامله. ومعه الصينيون الأصل والفلاحون الذين لا يملكون أرضاً. في بعض مناطق جاوا الشرقية والوسطى. في بالي وآنشيي أبيدت قرى بكاملها. من أوحى للعسكر الأندونيسيين أن يتصرفوا هكذا؟ لماذا لم يلاحظ المدافعون عن الحقوق هذه الجرائم المرعبة؟

1973- تشيلي. وصول بينوتشيت إلى السلطة. قتل عشرات الآلاف خلال 17 عاماً من حكمه. في عام 1964 قدمت المخابرات المركزية 4 ملايين دولار لمرشح الانتخابات الرئاسية في التشيلي إدواردو مونتالفا. الذي كان المنافس الرئيس للمرشح اليساري سيلفادور أليندي. ربح اليندي الانتخابات. عندئذٍ نظمت المخابرات المركزية انقلاب بيتوتشيت.

رحلتنا في متاهة السياسة الأمريكية سطحية جداً. لا يسمح آخر هذا الكتاب أن نتوقف بالتفصيل عند لحظات لافتة "كالأحداث في هنغاريا عام 1956" "ربيع باريس"، "التضامن البولونية".

زمننا غني أيضاً بأمثلة من السياسة الأمريكية، الموجهة نحو فرض السيطرة على البلدان المنتجة للنفط. أحد الأمثلة الأكثر وضوحاً- فنزويلا. في 14 كانون الأول 1922 اندفعت نافورة ضخمة من النفط من تحت الأرض قرب ماراكايبو. في 1930 كانت فنزويلا أكبر مصدر للنفط في العالم. أخذت البلاد بالثراء. إلا أن كل شيء انتهى بشكل محزن. هل ما تسمى "الإبرة النفطية" مُذنِبة؟ نعم ولكن

[1] هو ليل 24 آب 1572، فيه قتل الكاثوليك عدداً كبيراً من البروتستانت في باريس.

الذنب يقع أيضاً وبصورة أشد على المؤسسات المالية الدولية (كصندوق النقد الدولي) وقيادة فنزويلا التي نفذت تعليماتها دون مناقشة. في النتيجة هبط مستوى دخل الفرد منذ عام 1978-2003 بمقدار 40%.[1]

في النهاية انتخب في عام 1998 الضابط المظلي هوغو تشافيز رئيساً. وقد أخذ يتبع سياسة موجهة لإعادة توزيع الدخل من النفط الفنزويلي لفائدة فنزويلا ذاتها وخصوصاً طبقات سكانها الفقيرة، بدأ بإقامة نظام التعليم الشامل والصحة، وفرض رقابة صارمة على الشركة النفطية بتروليوس دي فنزويلا. أخذت الأرباح النفطية تتوجه لبناء المدارس والمشافي، ومكافحة الأمية، وإجراء الإصلاح الزراعي. وحاز بذلك على تأييد الأغلبية الفقيرة من السكان. وبدأ تشافيز بتأميم قطاعات الصناعة الأخرى. أعيد انتخابه في عام 2000 بسبب اعتماد دستور جديد للبلاد. وفي عام 2002 كاد يفقد السلطة، خطة الإطاحة بتشافيز كانت شبيهة "بالميدان" الأوكرايني: إذ راحوا ينقلون "غير المؤيدين" إلى العاصمة كاراكاس بشكل منظم. على خلفية التجمعات والاضطرابات أعدت عملية اعتقال مفاجئة للرئيس المنتخب ديمقراطياً من قبل مجموعة من العسكريين حنثوا بالقسم العسكري. في 11 نيسان 2002 ألقي القبض على تشافيز. ولكن في 14 نيسان عاد إلى منصب الرئاسة بدعم من العسكريين الموالين والأنصار الكثر. لثلاثة أيام كان على رأس الدولة بيدرو كارمونا الذي قاد الثورة "البرتقالية" الفنزويلية ولم يكن له أي حق باحتلال منصب رئيس فنزويلا. ولكن خلال هذه المدة اعترفت الولايات المتحدة بالقيادة الجديدة للبلاد. استعجل معقل الديمقراطية بتقديم الدعم للشخص الذي أطاح بالقوة بالرئيس المنتخب قانونياً، بتأييد الانقلاب "المثمر الأول للديمقراطية الفنزويلية"[2]. أين مبادؤهم التي يتغنون بها؟ ليس لديهم مبادئ ولم يكن لهم أبداً. هذه المبادئ موجودة في محللين فقط: على الورق وفي رؤوس الليبراليين. ولكن ليس في الواقع.

---

1 بيركيتس و. اعترفات قاتل اقتصادي.

2 http://www.lenta.ru/lib/14164274/.

الدمية الأمريكية بيدرو كارمونا. هذا "الديمقراطي العظيم" استطاع خلال ثلاثة أيام من قيادته أن يقوم بخطوات تشرِّف حتى زعيم النازية الألمانية. حل البرلمان وأوقف عمل النائب العام والرقابة الحكومي، وكذلك ألغى التشريع المعتمد في سنوات الرئيس تشافيز، الذي يعيد توزيع جزء من الثروة الوطنية لمصلحة الفقراء. وانتهى كل شيء. عشرات آلاف المناصرين للرئيس المخلوع أقاموا "ميداناً مضاداً" وحرروا تشافيز المعتقل. وفرَّ بيدرو كارمونا إلى الولايات المتحدة، طبعاً. لذلك يكره تشافيز أمريكا. ولذلك يصرح باستمرار بتصريحات تنتقد أمريكا. ولذلك اتهم المخابرات الأمريكية بإعداد الانقلاب ضده ويتهم من جديد السفير الأمريكي بالضلوع في هذا الانقلاب.

إن الإطاحة بتشافيز- إحدى أولويات السياسة الأمريكية. تحول الأموال المعارضة وتنتظر الوقت المناسب. ولافت موقف وسائل الإعلام "المستقلة" في هذه الحالة. "استقال الرئيس الفنزويلي هوغو تشافيز تحت الضغط العسكري بعد مظاهرة حاشدة للمعارضة، انتهت ببحر من الدماء. يقيم تشافيز في قاعدة فورت تيونا الأمريكية في كاراكاس"[1] - رافقت هذه الكتابة صورة التقطها مراسل "أسوشيتد برس" 13 نيسان 2002. بعد يوم واحد، عندما أعاد تشافيز السلطة إليه أي "رجع" عن استقالته! لم تعلق الوكالة ذاتها ولو بكلمة واحدة عن لعبة الرئيس الفنزويلي الغريبة. لم تتحدث أية وكالة أنباء غربية عن انقلاب عسكري. كلها كانت تؤكد على "رحيل" تشافيز واستحالة قيادته بعد سفك دم المتظاهرين.

استمعوا لتشافيز: إنه يمتلك قدرة مدهشة بالنسبة للسياسيين الحاليين على قول الحقيقة بحرية وكأنه محكوم بالإعدام: "في شباط 2008، بعد إعلان استقلال كوسوفو، صرح تشافيز بأنه لن يعترف باستقلال كوسوفو، وأضاف أن هذه الخطوات موجهة لإضعاف روسيا، وتثير الفوضى في المنطقة وتخلق سوابق خطيرة. حسب كلام تشافيز، حرضت أمريكا كذلك على الفوضى في التيبت لكي تشوه صورة الصين على أعتاب الألعاب الأوليمبية"[2].

---

[1] http://faec.narod.ru/outside/associ43.html.

[2] http://www.lenta.ru/lib/14164274/.

بعد الانقلاب. نصحت سكرتيرة الأمن القومي كونداليزا رايس الرئيس الفنزويلي أن يستخلص العبر من الأحداث الأخيرة. لكن هوغو تشافيز فهم كسياسي ذكي، أنه لن يستطيع الاستمرار في السلطة بدون حلفاء أقوياء، في دولة غنية بالنفط. تهتم بها أمريكا بشدة. إن مجابهة الولايات المتحدة تدفعه أوتوماتيكياً إلى الصين وروسيا. لأنه حتى اليوم يوجد ثلاثة لاعبين فقط على الخارطة السياسية العالمية. هم: الغرب المتوحد برئاسة الولايات المتحدة، الصين، وروسيا. كل الباقين، أرجو ألا يغضبوا، ليسو لاعبين، وإنما مشتركين في العملية. اللافت أن التقارب مع بكين وموسكو يزيد من ضرورة إزاحة تشافيز بأسرع ما يمكن من السلطة، بالنسبة لأمريكا. هذه دائرة سياسية مغلقة.

ما الذي يقرب بين فنزويلا والصين؟ إنه النفط. تجهد الصين لتضمن لنفسها ما أمكن من المصادر الموثوقة للكربوهيدرات، لكي تؤمن اقتصادها المتنامي. في ظروف سيطرة الغرب على غالبية البلدان المنتجة للنفط، هذا هام جداً.

"فنزويلا مستعدة لتصدير النفط إلى الصين خلال 200 عام قادمة. قطع هذا الوعد رئيس الدولة الأمريكية- اللاتينية في لقائه مع ممثل الدولة الآسيوية سي زينبين. ينتظر أن توقع بين الصين وفنزويلا جملة اتفاقيات. ذكر تشافيز أن فنزويلا ستصدر إلى الصين 330 ألف برميل نفط يومياً وتخطط لرفع الكمية في 2010 حتى 1 مليون برميل، تقول وكالة أسوشيتدبرس"[1].

تتطور العلاقات الصينية- الفنزويلية منذ عام 2001. والعلاقات الروسية- الفنزويلية- تقريباً منذ ذلك الوقت. بالنسبة لروسيا فنزويلا حليف مهم كذلك في المجال النفطي. ولكن ليست الصادرات مهمة، وإنما تنسيق الأعمال، التي لا تسمح بخفض الأسعار من قبل الأمريكان. حتى الآن هذا لا يعطي نتائج كبيرة. هذا ما يبدو لمراقب خارجي. أسعار النفط تنخفض. ولكن من يعلم كيف كانت الأسعار لو أن أمريكا استطاعت أن تأخذ فنزويلا تحت سيطرتها. بالإطاحة بهوغو تشافيز؟

فنزويلا- حليف مفتاحي لروسيا في الأوبك. تشافيز الجريء والحاسم يحشد مباشرة أعضاء المنظمة، ويعارض اللوبي العربي في هذه المنظمة، الخاضع لسيطرة

---

[1] http://www.rbc.ru/rbcfreenews/20090218084439.shtml.

الولايات المتحدة. الإطاحة بتشافيز لو حصلت، لكانت ضربة جدية لموازنتنا، يعني لدخل الجزء الأعظم من سكان روسيا. لا يجوز السماح بذلك. وتتخذ القيادة الروسية بعض الإجراءات.

تذكرون ماراثون الخريف للأسطول الروسي الذي توجه إلى سواحل أمريكا الجنوبية ليقوم بتدريبات عسكرية بالاشتراك مع فنزويلا؟ ألم تفكروا لماذا في هذا الوقت بالذات توجهت السفن الحربية الروسية إلى هناك؟

23 تشرين الثاني 2008 كان من المفروض أن تجري في فنزويلا انتخابات محلية. هذا شيء تافه؟ كلا ليس تافهاً. بل الدرجة الأولى لإمكانية إسقاط الرئيس الفنزويلي.

"يعتبر تشافيز، أن المعارضة ستحاول أن تربح الانتخابات القادمة في الولايات الرئيسة والمدن، لتنحيته لاحقاً عن السلطة "إذا تمكنوا (المعارضة) من تحقيق فوز في هذه الانتخابات، فسوف يحاولون العام القادم عزل تشافيز ولكنني لن أسمح لهم بذلك - صرح الزعيم الفنزويلي"[1].

25 تشرين الثاني 2008 وصل أسطولنا بعد الانتخابات، وليس قبلها. لعدم إتاحة الفرصة للحديث، عن تدخل. ولكن لا بد من إظهار التصميم للحيلولة دون تطوير للأحداث غير مرغوب فيه. لتقديم الدعم للرئيس الفنزويلي بحضوره ومنع حصول "ثورة برتقالية" أخرى في حال الضرورة.

أدت نتيجة الانتخابات إلى انتصار أنصار تشافيز في 17 محافظة، المعارضة- في خمس. ولم تحدث أية فوضى، جرت الانتخابات بهدوء وسلام. لم يثر الأمريكيون مشاكل، رغم كل شيء يبقى لديهم ما يعتمدون عليه في المستقبل: لقد انتصرت المعارضة في العاصمة. ومعلوم أن الثورة كلها تصنع في العواصم. ولكن ليس في تشرين الثاني 2008 وليس في كاراكاس. ربما جرت الأمور على هذا النحو مصادفة أم أن هناك نقصاً في شيء ما. وربما أيضاً بسبب وصول الأسطول الروسي الذي لعب دوره.

---

[1] http://www.nr2.ru/inworld/195201.html.

هل تعرفون من كان على متن الأسطول وماذا كان في حاوياتها؟ من تنـزه في الشـوارع في البذلة البحرية العسكرية.

أنا لا أعلم. ولكن الحقائق أشياء عنيدة. والوقائع تقول لنا أنه فوراً بعد الانتخابات وصل الرئيس الروسي إلى العاصمة الفنزويلية. لتهنئة هوغـو تشـافيز؟ ولكـن مـا هـو أهـم بكثير هـو الاتفاق على تنسيق الجهود، على الإجراءات المطلوبة لإيقاف تدهور أسـعار الـنفط. أمـر بغايـة البساطة- سقوط نظام هوغو تشافيز سـيؤدي حـتماً إلى تـدهور كـارثي في سـعر الـنفط. تقاعـد الكهول في قرية سبيرية بعيدة وراتب الجندي- المتعاقد في الألوية الجبلية الجديدة في داغسـتان يرتبطان بنتائج انتخابات فنزويلا. ترتبط بشكل مباشر! إلا أن السياسيين لا يقولون ذلك مبـاشرة في الثقافة السياسية المعاصرة، عندنا وعندهم. لذلك كان الهدف المعلن للإبحـار المفـاجئ الـذي استمر شهرين لأسطولنا. هو القيام بتدريبات عسـكرية في الميـاه الإقليميـة الفنزويليـة. لم يـذكر تاريخ دقيق لبداية ونهاية هذه التدريبات في وسائل الإعلام- كتبت الصحف "في تشريـن الثـاني" هذا يعني، في حالة تصعيد الموقف يمكن للأسطول أن يسرع.

كيف كانت ردة فعل أمريكا؟ إذ لا يمكـن منـع إبحـار الأسـطول الـروسي. يتبقـى إنشـاء الخلفية الإعلامية المطلوبة. السخرية من روسيا. الاستهزاء بأسطولها. فالسخرية في هذه الحالـة- هي الملاذ الأخير بسبب العجز- يجب أن يفهم ذلك بالشكل الصحيح.

"في واشنطن أجابوا بسخرية على الأنباء عن التدريبات المقبلة للأسطول الحـربي الـروسي مع القوات الفنزويلية عند سواحل أمريكا، بالشك في إمكانيـات الأسـطول البحـري الـروسي، قـد يتمكن عدد قليل من السفن تجاوز هذه المسافة الكبيرة"- أعلن الممثل الرسمي لمجلس النـواب الأمريكي شون ماكروماك".

بعد أصحاب الشأن بدأ الخدم من ليبراليينا الهزء من الإبحار. هذا رأيهم ويمكنهم التعبير عنه بحرية؟ لا شك في ذلك. ولكن يجب أن تفهم، عزيزي القارئ، أن هذا ليس رأياً - بل عملاً!

((بالأمس وفي إطار الاحتفال بالذكرى 60 للإعلان العالمي عن حقوق الإنسان منحت كونداليزا رايس، مستشارة الأمن القومي الأمريكي، جائزة مجلس النواب "المدافع عن الحرية""، للصحفية الروسية "يوليا لاتينينا". جائزة المدافع عن الحرية، تمنح سنوياً لصحفي أجنبي أو لمنظمة غير تجارية تميزا بالشجاعة وأصبحا من رواد الكفاح من أجل حقوق الإنسان))[1].

منحوها الجائزة في كانون الأول 2008. من أجل ماذا؟

"يوليا لاتينينا- صحفية مستقلة، كاتبة ومقدمة برامج إذاعية من روسيا- هكذا قدمتها كونداليزا رايس- كشفت في أبحاثها وتعليقاتها القاسية حالات فساد وإساءة استخدام السلطة لدى مسؤولين حكوميين. وكذلك حالات صارخة من مخالفة حقوق الإنسان من قبل السلطة وأشخاص مفردين في شمال القوقاز بشكل أساسي. أظهرت شجاعة كبيرة، إذ دافعت علناً عن رفاقها الصحفيين الذين وقعوا في مصيبة في أزمنة الرقابة الذاتية المشددة أو الصمت الإجباري"[2].

إذا كانت الصحفية "المستقلة" تتلقى المكافأة والنقود من أيدي القيادات العليا في أمريكا. فهل هي مستقلة في الواقع؟ في الحالات المماثلة ليس ذلك! إلا عمل مرتفع الأجر. وكما في كل خدمة راقية يترتب دفع جائزة في حال نوعية التنفيذ ممتازة.

تخيلوا، أثناء بطولة روسيا لكرة القدم. يدفع نادي سيسكا جائزة باسمه لحكم معروف. لنزاهته وشجاعته وعدالته. يعتبر النادي أن هذا الحكم بالذات أكفأ الحكام في البطولة الروسية. إنه يمنع بصرامة اللعب غير النظيف، لا يتسامح مع المخالفين. فهل يملك النادي الحق أن يعتبره كذلك؟ له الحق. وبعد أسبوع وبشكل مستقل تماماً عن الجائزة طبعاً يعطي هذا الحكم ضربتي جزاء في مرمى "سبارتاك" و"زينيت". وأمن بذلك انتصار سيسكا في مبارتين متتاليتين. ما رأيكم، ماذا يحصل بدفع النقود للحكم من قبل النادي؟ وماذا ينتج إذا أخذ الحكم الجائزة. سوف يعزل الحكم من المباريات بشكل مؤكد ودائم. وصحفيونا

---

[1] http://www.echo.msk.ru/blog/n_asadova/558457-echo.html?page=3.

[2] المصدر ذاته.

الليبراليون منغمسون من الرأس حتى أخمص القدم في الجوائز والمنح والتدريبات والمحاضرات. ولكنهم جميعاً مستقلون ولا ينقادون للإغراء. أما زلتم مندهشين أن يوليا لاتينينا إبان الحرب في أوسيتيا الجنوبية دعت الجنود الروس على هواء الإذاعة "بالقوات المعادية"؟

عندما أبحر الأسطول الروسي كانت مهمة الليبراليين مختلفة. وقد أغشي على يوليا ورفاقها من الضحك عندما كانوا يتحدثون عن رحلة الأسطول الروسي. السفن أكلها الصدأ. يستعرضون العضلات عند أنف أمريكا في أمريكا اللاتينية. محاولة مضحكة لتهديد أمريكا. كل التعليقات اللاذعة بمناسبة إبحار أسطولنا كانت على هذه الشاكلة تقريباً. في الواقع لم يزمع أحد استعراض عضلاته، ولم تكن لدى أحد الرغبة بالضغط على أمريكا، التي تنتظر الانتخابات الرئاسية في 4 تشرين الثاني 2008. لقد دافعت روسيا عن مصلحتها البسيطة والمفهومة. ناضلت روسيا لكي لا يخفض أصحاب الاحتياطي الفيدرالي قيمة ثرواتنا الطبيعية "تحت العتبة". إن العالم رائع ومدهش فقط في روايات الليبراليين. توجد فيه إمبراطورية الخير التي تقود بتربية أبنائها الطائشين المستبدين بحب وأبوية بواسطة القنابل والكوكاكولا في كل الكرة الأرضية. فقط في كلامهم المعسول سيأتي عصر البشرية الذهبي مع انتصار الديمقراطية في كل مكان وهذا ليس ببعيد. آمل أنك، عزيزي القارئ، تفهم الآن بدقة ووضوح أن كل ذلك كذب وقح مقصود. يستعر صراع قاس في الخفاء صراع من أجل الموارد، التي تعطي مفتاح السلطة على العالم. ليست روسيا في حال من الأحوال من تسعى لابتلاع كل ما تبقى من اليابسة ولفرض هيمنتها في كل مكان. أننا ندافع عن أنفسنا. تصارع روسيا من أجل سيادتها، من أجل وحدة أراضيها بكامل مساحتها. من أجل ثرواتها الطبيعية. من أجل مستقبلها. خصوصية هذا الاشتباك في كونه يجري على كامل الكرة الأرضية، لذلك يتعين الدفاع عن النفس حتى خارج دولتنا الخاصة، غالبية مشاهد هذا الاشتباك الخفي لن يصبح أبداً في متناول المجتمع وسيظل على رفوف الأرشيفات تحت خاتم "سري للغاية". والصراع لا يتوقف دقيقة واحدة، حتى الانتخابات في الولايات المتحدة لا توقف هذا الصراع.

"وصل رئيس فنزويلا هوغو تشافيز إلى موسكو. أثناء الزيارة الرسمية سيلتقي الرئيس الروسي دميتري ميدفيديف ورئيس الوزراء فلاديمير بوتين، تخبر وكالة إينار- تاس"[1].

كان ذلك في تموز 2008. في البداية زيارة قبل الانتخابات الفنزويلية والأمريكية، مناقشة واتفاقيات.

"انقضى أكثر من شهرين على اللقاء في موسكو بين ميدفيديف وتشافيز. وزار تشافيز موسكو ثانية"[2] كان ذلك في أيلول 2008. زيارة ثانية، تبدأ الأزمة، بدأ الأمريكيون بتحطيم أسعار النفط، بقي شهران للانتخابات.

"الرئيس ميدفيديف يصل إلى العاصمة الفنزويلية كاراكاس وكان في استقباله القائد تشافيز"[3].

في 27 تشرين الثاني. التهنئة بالفوز في الانتخابات. ومناقشة الأعمال اللاحقة. إذا فهمتم منطق الصراع يمكنكم أن تتنبؤوا بالأحداث المقبلة.

أين هي مصلحة روسيا؟

إنها في استقرار فنزويلا. في بقاء تشافيز في السلطة، الذي لا يمكن "للآلة الطابعة" أن تتفق معه، الذي يكرهها من كل قلبه.

كيف يمكن الإطاحة بتشافيز؟ بالانقلاب العسكري؟

لم يمر هذا الخيار. ولكنه قد يحصل مرة أخرى. إلا أنه طريق معقد. توجد طرائق أبسط. يمكن عدم إعادة انتخابه لفترة رئاسية جديدة. القضية هي أنه في فنزويلا كما في روسيا ينص الدستور على تحديد عدد الفترات الرئاسية الذي يمكن لشخص واحد أن يشغلها. يجب ألا يسمح لتشافيز بتغيير هذا البند في الدستور. وعندئذٍ إما أن يذهب تلقائياً وإما أن يخالف الدستور. وهذا سيكون سبباً ممتازاً لانقلاب عسكري آخر.

يجري الصراع من أجل مستقبل فنزويلا. من أجل ماذا تتصارع أمريكا وروسيا؟ من أجل تشافيز أم ضده؟ كلا، إنهما تتصارعان من أجل السيطرة على

---

[1] http://www.grani.ru/politics/russia/president/m.139043.html.

[2] http://www.kp.ru/daily/24170/382411/.

[3] http://www.aif.ru/politic/article/23008.

النفط، من أجل أسعار النفط. هكذا ترتبت الأمور بحيث تحتاج روسيا لكي يبقى "الصديق هوغو" في منصبه لأطول فترة ممكنة. بينما يريد "شركاؤنا" الأمريكيون العكس. الصين في اللعبة "الفنزويلية" تلعب إلى جانبنا.

إليكم توثيق الأحداث بتواريخها:

1998- انتخاب تشافيز رئيساً	واحد	صفر
2000- إعادة انتخابه لهذا المنصب	اثنان	صفر
2002- الإطاحة بتشافيز واعتقاله	اثنان	واحد
2002- عودته بعد 3أيام	ثلاثة	واحد

2004- تمكن خصوم الرئيس من فرض إجراء استفتاء على الثقة بقيادة البلاد. ولكن غالبية الفنزويليين (59%) يدعمون الرئيس. وقد اشتدت سلطته أربعة واحداً.

2004 - في الاستفتاء حصل مؤيدو خلع الرئيس على 41% وهذا يعطيهم أملاً أربعة اثنين.

2006- انتخب تشافيز للمرة الثانية لمنصب رئاسة فنزويلا (حتى 2012) خمسة اثنين.

2 كانون الأول 2007 لم يؤيد مواطنو فنزويلا مشروع قانون يسمح لرئيس فنزويلا الترشح لمرات غير محدودة للانتخابات الرئاسية. لم يمر تعديل الدستور[1] خمسة، ثلاثة.

تشرين الثاني 2008- فوز تشافيز في الانتخابات المحلية ستة ثلاثة[2] وأخيراً حتى لحظة كتابة هذا الكتاب:

---

[1] عرض على الاستفتاء 19 تعديلاً: إلى جانب إلغاء القيود على عدد الفترات الرئاسية اقترح تحديد الفترة الرئاسية من 6 إلى 7 سنوات، إلغاء استقلالية فنزويلا المركزي (!)، منح حق التصويت لمن أتم السادسة عشرة. وإقرار يوم العمل لست ساعات. حيث بادر تشافيز بوضع 33 تعديلاً. موحدةً في القائمة "A" بقية البنود الـ 36 توحدت في القائمة "B" اقترحها البرلمان. حسب نتائج الاستفتاء، 49.3% أيدوا القائمة الأولى، والثانية - 48.9%. لم تمر التعديلات.

[2] تذكرون أن فنزويلا أبعدت اثنين من مدافعي "هيومن رايت ووتش" عن الحقوق في 19 أيلول 2008؟ قبل الانتخابات قطعوا أطراف تمويل المعارضة وحرموا الغرب من شهود فائقي الحماسة على "خرق النظام الدموي للقوانين".

شباط 2009- فاز هوغو تشافيز في الاستفتاء على إلغاء القيود على إعادة انتخاب الرئيس. ويمكنه الآن أن يترشح في 2012 لفترة رئاسية جديدة تمتد 6 سنوات سبعة، ثلاثة.

انتهت المرحلة الثانية. وتبدأ المرحلة الثالثة فوراً. وستدور أمام أعيننا.

لنلق نظرة أخرى على الجدول الذي بدأنا به هذا الفصل. في المكان التاسع حسب حجم الاحتياطات النفطية ليبيا، وفي العاشر- نيجيريا. لكل من الدولتين خصوصية مميزة. فليبيا فوق ديمقراطية وليست مجرد دولة ديمقراطية فهنا عن الديمقراطية حدث ولا حرج. لقد انتصرت هنا تماماً وفي كل مكان ومنذ زمن طويل. فالسلطة الشعبية في ليبيا حقاً مئة بالمئة. الدولة، والحكومة والحزب ملغاة رسمياً. المؤسسة التشريعية- المؤتمر الشعبي العام. يقوم المجلس الشعبي الأعلى بوظيفة الحكومة. ولكن قائد الثورة الليبية معمر القذافي قرر إلغاءه أيضاً. حتى أن القذافي صرح أن كل ليبي الآن سوف يحصل على حصته من بيع النفط نقداً. حقاً إنها ليست كبيرة- أكثر من ألف دولار بقليل لكل أخ.

ليبيا دولة عانت كثيراً، كانت قبل 1912 تدخل في قوام الإمبراطورية العثمانية، من 1912-1941 كانت مستعمرة إيطالية. أصبحت دولة ملكية مستقلة اعتباراً من عام 1951، بدأت بتصدير النفط في عام 1961 كيفما اتفق. الأموال كلها تقريباً ظلت في الخارج. لأن "الاحتكارات الغربية الفعالة" هي التي كانت تستخرج النفط. في عام 1969 حدثت الثورة وتولى السلطة معمر القذافي الذي أقام أكمل ديمقراطية مع إلغاء لكل مؤسسات الدولة، على الفور أبعد عمالقة النفط. انتقل إنتاج النفط إلى إدارة شركة النفط الوطنية الليبية. مع اختفاء سيل الدولارات النفطية اختفى إعجاب "العالم المتحضر". أمم القذافي دفعة واحدة كل "النفط"، وأصبح بذلك في عداد المارقين ولا يزال حتى الآن.

اسألوا أياً كان، ما هي الدول المصدرة الكبرى للنفط. سيذكرون السعودية، إيران والعراق ولن ينسوا النرويج وروسيا، سيسمون فنزويلا والكويت حتى البحرين والإمارات سيردان في هذه القائمة، أما الدولة التي تشغل المكان السابع في إنتاج الذهب الأسود (والعاشر من حيث الاحتياطات) لن يذكرها أحد

على الأرجح هي المستعمرة البريطانية السابقة جمهورية نيجيريا الفيدرالية. هي أكثر بلدان إفريقيا سكاناً. يقطن فيها حوالي 115 مليون نسمة. هم من المسلمين والمسيحيين من أنصار العقائد التقليدية. سيكون خطأ أن ندعو سكان نيجيريا "نيجيريين". أولاً- لأن هذا ليس دقيقاً سياسياً، وثانياً- لوجود دولة أخرى في إفريقيا هي النيجر ويمكن الخلط بينهما بسهولة.

صورة البلاد الإثنية متعددة الألوان بحق. تسميات الشعوب التي تقطن نيجيريا لا تعبر بدقة، شأن وطنهم، عن انتماء واضح. يعرف الأوروبيون من الكتب والأفلام: البغيما، الماساي، البوشمن والهونو. وهنا- الإيبو (أو الإيغبو)، البوروبا، الهاوسا، الإيدو، الإيبيبيو، التيف وهلم جراً وما إلى ذلك. كل هذه الشعوب والقبائل تعيش على أرض تكتنز في طياتها حسب مختلف التقديرات من 25-35 مليار برميل من النفط. تقوم الشركة النفطية الوطنية النيجيرية باستخراج وتصدير النفط. وهي تسيطر على العملية، وتقيم مصانع مشتركة مع الشركات العالمية العملاقة. تقبض نيجيريا بقوة على ما يسمى "الإبرة النفطية" يقدم استخراج النفط 20% من الناتج القومي الكلي ويؤمن 80% من دخل الميزانية. ولكن أين تذهب الميزانية ذاتها- يصعب القول جداً. القضية في كون نيجيريا ذات خصوصية- تحكمها منذ 1963 ديكتاتوريات عسكرية مع بعض الانقطاعات. 30 سنة من 40 سنة من تطور هذا البلد المستقل انقضت في ظروف أنظمة عسكرية. ولكل ديكتاتور إفريقي محترم لابد من تقاعد.

إذا كانت الحياة في إفريقيا بوجه عام تعني الماء، فإنها في نيجيريا تعني النفط. لا يجري الذهب الأسود النيجيري إلى "السوق العالمية" المجردة، بل إلى بلدان محددة تماماً. هذا يبدو للمراقب الخارجي فقط، أن كل النفط يباع في العالم بشكل فوضوي والكل يشتريه من الكل. في واقع الأمر يرتبط مشترو النفط وبائعوه بشدة ونادراً ما يتغيرون. فنيجيريا أحد أهم مصدري النفط إلى أوروبا الغربية. وخامس مصدر للنفط الخام إلى أمريكا[1]. وتنفذ صادراتها قبل الموعد المحدد. كما كان الكومسومول السوفييت ليقدموا تقريراً حماسياً فخوراً.

[1] تشكل صادرات نيجيريا حوالي 10% من واردات النفط إلى "قلعة الديمقراطية العالمية".

دولتان، تاريخان. بذات البعد عـن "الديمقراطيـة" في نموذجهـا الغـربي (غـير الموجـود في الطبيعة). أي الدولتين تتهم أكثر بذنوب قاتلة؟ عـن أي مـنهما سـمعتم أكثر أشـياء سـلبية؟ أنـا واثق، عن ليبيا، لأنها متهمة بتفجير الطائرة فوق مدينـة لـوكيربي؟ ولكـن مضى عـلى ذلـك زمـن طويل جداً. أما في نيجيريا يقتلون مواطني الدول الغربية بشكل كثيف، كما في أفلام المافيا. يسير بدارجته الآلية أحدهم، يشهر مسدسه ويقتل مدير فرع شركة نفط ضخمة في سـيارته. وكـذلك في نيجيريا يوجد متمردون، مقاتلون. إنهم يخطفون البشر ويطلبون فدية، السـلطات تكـافحهم. ويزداد الرعـب بسـبب ذلـك: "الإعـدام، دون محاكمـة، عنـاصر الشرطـة تقتـل دون تحقيـق أو محاكمة، قتل سياسيون على أعتاب الانتخابات، العنف ضد النساء، قتـل مـدافعون عـن حقـوق الإنسان، ومحررو الصحف"[1].

أما في ليبيا فكل شيء هادئ ومسالم. لا يقتل هناك مدراء شركات نفطيـة غربيـة- لأنهـم غير موجودين هناك تقريباً. إلا أن ليبيا، إذا قرأنا الصحف الغربية، دولـة شـمولية، ودكتاتوريـة، ونيجيريا دولة رائعة[2] ما سـبب هـذا الاخـتلاف في المقاربـة؟ لأن أمريكـا تسـيطر عـلى نيجيريـا ولذلك يقتل هناك رجال النفط الغربيين، ولم تتمكن من السيطرة على ليبيا. من السهل الاقتنـاع بموقف كل من الدولتين. فالبائع الطبيعي مهتم دائمـاً بارتفـاع سـعر سـلعته. البـائع العاقـل لـن يرغب بانخفاض السعر. الذي تؤدي إليه زيادة العرض. البائع الذكي مستعد لخفض العرض لـكي يرفع سعر سلعته، ما الذي تفعلاه ليبيا ونيجيريا وكلاهما عضو في منظمة الأوبك؟

"لا يستثني زعيم الثورة الليبية معمر القذافي إمكانية خفض طرابلس لتصـدير الـنفط أو حتى التوقف نهائياً عن التصدير بالأسعار المنخفضة غـير المقبولـة للـنفط في السـوق العالميـة... صرح القذافي أن طرابلس قد تتوقف عن تصدير النفط بتلك الأسعار المنخفضة التي هبط إليهـا النفط في الأيام الأخيرة"[3].

---

[1] http://www.xenodocuments.org.ua/files/library/amnasty/148-russian-2.country-entries-1pdf.

[2] "في مقر قيادتي أنا أقرر بنفسي من يهودي ومن ليس يهودياً". - أجاب عملاء الفسـتابو الـذين قـرروا القـبض على أحد الضباط اليهود، رئيس لوفتوا في هيرمـان غيرينـغ. وزجـر رجـال الفسـتابو وأبعـدهم دون أن يتعـرض للمساءلة. بشكل مشابه تقرر الولايات المتحدة اليوم من هو مجرم الحرب. ومن الزعيم الديمقراطي. ويتصرف ممثلو محكمة لاهاي بابتسامة يشوبها الانزعاج.

[3] http://www.ng.ru/world/2009-01-23/8_libia.html.

"كما أشارت الصحف. اختلفت البلدان- أعضاء الأوبك حول ضرورة إقـرار تخفـيض آخـر كبير بإنتاج النفط أعلنت نيجيريا أنها لا تريد خفض إنتاجها. لكي لا تحرم من عائدات الـنفط في هذا الزمن المعقد"[1].

كما في حالـة بنـوك التمويـل الأمريكيـة، يفـترض أن تسـاعد الأزمـة أصـحاب الاحتيـاطي الفيدرالي في إخضاع كل مناطق إنتاج النفط دون استثناء لسـيطرتهم ولـيس فقـط الجـزء الأكـبر منها!.

وعندئذٍ تكون هيمنتهم على الكوكب كاملة. فالذهب الأسود الذي يصنع منـه كـل شيء سوف يذهب إلى الجهة التي يسمحون بها. ويمكن إيقاف الصين الصاعدة بأيـة لحظـة. وعمومـاً كل ما يمكنه أن "ينمو" في كوكبنا. أي دولة فوق عظمى يمكن أن تظهر إذا كـان بالإمكـان قطـع الواردات المالية والنفطية؟

من أجل إنشاء هذا الاحتكار المرعب بالذات يجري اليوم الصراع على كوكبنا.

ولكن مشـكلة أخـرى تقـف في وجـه المصرفيـين الأمريكـان. في الأرض يوجـد غـاز أيضـاً. والنفط ليس وحده. ويتوزع الغاز على الخريطة الجغرافية بشكل مختلف كلياً عن النفط. أكـبر احتياطات الغاز الطبيعي موجودة في روسيا.

لنتحدث الآن عن الغاز. ولنبدأ من الأماكن البعيـدة حيـث يبـدو أن الغـاز لا وجـود لـه هناك... ولكن هذا ما يبدو فقط.

---

[1] http://www.newsru.com/finance/21nov2008/opec_paskol.html.

الفصل الثالث عشر

حول الوحدة الحرارية البريطانية

درجة الفيتامينات في الجمعيات الزراعية

وجورج بوش

أنـا أعرف أن الكلاب التي تنبح لا تعض،

ولكنني لست واثقاً أن الكلاب تعرف ذلك.

مكسيم ليتفينوف

كوميسار وزارة الخارجية في الاتحاد السوفيتي

تـابـع طريـقـك، ودع النـاس يقولون ما يشاؤون

وانتي اليغري

البندورة- خضار ممتازة: مفيدة، لذيذة، جميلة. يمكن إعداد الكثير من الأطبـاق الشـهية منها. والعصير والكاتشاب. الطلب متوفر على البندورة. زراعة هذا الخضار مربحة ومحترمة، إلى أن تبدأ مافيا السوق بالسيطرة على أسعارها. عندئذٍ تصبح مسرة العمـل النـاجح، لرؤيـة الـثمار الممتلئة بالعصير غير متناسبة مع الجهود المبذولة. إنـه لأمـر مـزعج. عملـت حرثـت في الحقـول كالعبد- وعصابة من الأوغاد المتآمرين يكسرون سعر ناتج عملك المضني، ولا سبيل لمحاسـبتهم. عنـاصر حفـظ النظـام مرتشـون. ولا يمكـن اللجـوء إلى الصـحف. والسـلطات تهمـل "مشـكلة البندورة". فما العمل؟ حتى إذا أنشئت "جمعية منتجـي البنـدورة" لا تفيـد في شيء. لـيس كـل المزارعين- فارعي الطول، قساة الوجوه. وذوي قبضة حديدية.

يوجد مزارعين قصار الطول ضعاف البنية. إليهم تأتي مافيا السـوق. وهـم في اجتماعـات الجمعية ينظرون بقلق إلى الأرض ويأخذون بالكلام هراءً مفضوحاً عن فضيلة السـعر المـنخفض على البندورة لخير الإنسانية كلها. ويبيعون محصولهم للوسطاء بسعر بخس، ويكسرون الأسـعار ويغرقون بقية المنتجين.

إذا ظننت أننا نتحدث عن السوق الزراعية في مدينتنا، فأنت مخطئ إلى حد بعيد. إننا نتحدث عن الاقتصاد العالمي تجارة الموارد المفتاحية- النفط - مبنية بالذات على تلك الشاكلة. ليس الطلب هو ما يحدد أسعار النفط أبداً. بل الكتلة النقدية غير المغطاة التي تنهال من خلال منظومة الفيوتشيرس الخبيثة. كسيل عرم، كطمي الفيضان فتزيح الأسعار بالاتجاه المطلوب. هذه الكتلة النقدية تحدد اليوم كل شيء في كوكبنا. ولكنها لا تنتج تلقائياً. وإنما يطبعها النظام الاحتياطي الفيدرالي الذي يملكه أشخاص "مرخص لهم" من القطاع الخاص. وهذا يعني أن هؤلاء الأشخاص "الطيبين" هم من صنع الأزمة الحالية. كما صنعوا الأزمات السابقة كلها وسوف يصنعون الأزمات اللاحقة.

لقد تخندق سماسرة البندورة جيداً، بحيث لا يتاح أي منفذ لأي منتج. وهم يستعرضون جبروتهم علناً وبشكل مباشر كما في السيرك. أمام أعينكم، أيها المشاهدون المحترمون، سوف يختفي هذا السعر المرتفع للنفط. ويظهر سعر جديد-منخفض. لنتذكر متى بدأت أسعار النفط تهبط بشدة؟

"تجاوز خام WTI حاجز 120$. وارتفع إلى 120.58$ للبرميل"[1].

هذا النبأ مؤرخ بتاريخ 8 آب 2008. في هذه الليلة بدأت الحرب في أوسيتيا. حتى لحظة بداية الحرب لم تلاحظ أية كارثة كبيرة في سوق النفط. انخفض سعر النفط من أعلى حد 147$ في 15 تموز 2008، إلى 120$ في بداية آب وكان النفط قد بلغ هذا السعر للمرة الأولى في 6 أيار من العام ذاته[2]. تذبذبات السعر ± 15%. وهي حالة عادية بالنسبة لاقتصاد السوق.

نتابع النظر. وضعت خطة (ميدفيديف- ساركوزي) نهاية الحرب في أوسيتيا الجنوبية، واعتمد الخطة في لقاء الرئيسين في موسكو 12 آب 2008. في اليوم التالي استمر الانخفاض في سعر خامات أوبك وهبط دون 109$ للبرميل، هذا ما تنص عليه أنباء المنظمة"[3].

---

[1] http://www.lenta.ru/news/2008/08/08/marketeview/.

[2] http://light.finam.ru/news/article1BD13/defanlt.asp.

[3] http://www.norteks.ru/news/?PAGEN_2=5&PAGEN-1=38.

"المحللون" لم يكونوا مقتنعين دائماً في رواياتهم، أن بداية العمليات الحربية سوف تـؤدي إلى ارتفاع أسعار النفط. عدم انتظام الصادرات، والغموض في السوق. إلا أن في آب 2008 حدث كل شيء بالعكس. ارتفع سعر النفط قبل بدء العمليات الحربية تماماً، وأخـذ في الهبـوط اعتبـاراً من لحظة بدئها.

"متوسط السعر العالمي لنفط أورالس النوع الأساسي في صادرات النفط الروسـية بلـغ في 2008، 94.4$ للبرميل، رغم انخفـاض الأسـعار العالميـة للـنفط. صرح لوكالـة، نوفوسـتي، نائـب رئيس قسم مدفوعات الجمارك في وزارة المالية الروسية الكسندر ساكوفيتش"[1].

بعد ذلك، في 26 آب 2008 اعترفت روسيا باستقلال أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا. وهنا كأن طلقة البداية للسباق قد أطلقت. ولكن الجـري كـان في الاتجـاه المعـاكس. توجـد كلمـة أخـرى يحبها المحللون هي كلمة- "التوجه" وهذا يعني اتجـاه الحركـة أو مجـرد اتجـاه. خيـل لنـا أنـه يوجد اتجاهان فقط: ارتفاع أو انخفاض. في واقع الحال يوجد اتجـاه ثالـث: إلى هنـا- إلى هنـاك أعلى- أسفل، ارتفاع طفيف ثم انخفاض طفيف. لدى هـذه الظـاهرة توجـد أيضـاً كلمـة معـبرة ذكية- "الترنحية". تعني الترنحية العالية أن النفط أو سعر صرف العملة سوف يتمايل كالسكران في اتجاهات مختلفة. وإلى أية جهة سيميل السعر في المرة القادمة لا يمكن أن نعرف بدقـة كـما في حالة الثمل من الكحول. ولكن عندما يبدأ السعر بالهبوط. فهـذا هـو التوجـه الثابـت. مـاذا يفعل كل الوسطاء والسماسرة إذا رأوا أن السلعة تسـتمر في الـرخص؟ يبـدؤون ببيعهـا. ويهـبط السعر أكثر. يعني، من أجـل خفـض الأسـعار عـلى لاعبـي البورصـة "أن يظهـروا التوجـه". وقـد أظهروه في آب 2008.

"كما نرى. منذ بضعة أسابيع تجاوز السعر السحاب[2] وثبت على أقـل مـن ذلـك. هـذه إشارة جدية حدوث انقلاب في التوجه. حتى اللحظة وجد النفط دعماً على مسـتوى 111-115$ للبرميل"[3].

[1] http://www.rian.ru/crisis=news/20090115/159261149.html.

[2] باعتبار البورصة ذات "قاعدة علمية صارمة"، فقد اختيرت المصطلحات بما يوافق ذلك. "السحاب" - شكل من التحليل الفني، يرسمه المخطط البياني.

[3] http://trend-surfer.ru/240/.

مرة أخرى نـرى التطـابق "المصـادف" في التـواريخ. بتـاريخ الاعـتراف باسـتقلال أوسـيتيا وأبخازيا. بتاريخ 26 آب 2008 أصبح مفهوماً أن سعر النفط وصـل ذروتـه، لـذلك لا يستحسـن شراؤه على أمل أن يرتفع البيع أفضل- فسوف يرخص أكثر. كل التعليقات قبل ذلك كانت تـنص بشكل أساسي على أن هذا الانخفاض مؤقـت، وعـما قريـب سـوف يسـتأنف الارتفـاع (اشـتروا- فستبيعون بأغلى عما قريب). وما إلى ذلك... أما في 26 آب فقد أتت إشارة واضـحة- سـينخفض سعر النفط، يجب أن ينخفض.

"بلغ متوسط سعر الـنفط في أيلـول 97$ للبرميـل"[1]. تـدهور الـنفط إلى أسـفل. والأدق دفعه مضاربو الفيوتشيرس. ودفعتهم "الآلة الطابعة". هل يعقل أن تصرّف روسيا هو ما اسـتفز هبوط أسعار النفط؟ نعم ولا. فكما رأينا، كانت الأزمة قد أعدت وأطلقت إلى الحياة في الفصـل الأول من عام 2008. ثقبوا البالون المالي المنفوخ بإبرة كـان بالإمكـان ثقبـه بعنايـة بإخراجـه إلى العلن ببطء. وكان بإمكانهم ألا يخرجوه إلى العلن ويقومون بحرق النقود ببطء. ولكـن بعـد أن وضعت روسيا أمريكا في موضع السخرية العلنية، قام منظمو الأزمة بشق البالون بسكين ولـيس فقط ثقبه بإبرة. أغلق صنبور الإقراض المالي. وعلى الفور بدأ الانهيار الشامل. لم يتمكن أصـحاب الاحتياطي الفيدرالي أن يتصرفوا على نحو مغاير. عندما قامت روسيا علناً بسلخ جزء مـن أقـرب حلفاء أمريكا. ولم تستطع أمريكا أن تساعد في شيء سوى الكلمـة الطيبـة والمسـاعدة الإنسـانية لأصدقائها الجورجيين. كانت سمعة واحترام أمريكا والخوف منها على المحك في العالم كله. وهذا يعني الاستعداد للمضي قدماً دون خوف في استعمال الدولارات غـير المغطـاة بشيء. نصر صـغير بدا غير مهم للجيش الروسي وضع فجأة مسألة الثقة بالقوة فـوق العظمـى الوحيـدة مـن قبـل العالم كله، كان هذا تحدياً. كان جواب أصحاب الاحتياطي الفيدرالي أزمة مالية شاملة.

إذا توفر لديكم في الكرملين ما يكفي من الوقاحة لتسـددوا ضربـة- عنـدما كـان السـعر 12$ للبرميل، فما الذي تقولونه حينما يصبح 20$ للبرميل.

---

[1] http://www.rian.ru/economy/20081001/151773565.html.

وعلى الفور انبرى ليبراليونا- المناضلون ضد النظام الدموي. المدافعون عن حرياتنا وحرياتكم. "انهيار سوق الأرصدة- خلال الفترة المنقضية منذ أيار ووصل إلى 57% - محكوم بطبيعة الأداء الرديء للدولة والاقتصاد الروسيين"[1] - هذا ما يشخصه غاسباروف. من الجيد أن تتهم قوى الظلام عندما لا تتحمل أية مسؤولية. ويصبح فهم الصورة الكلية أعقد رغم أنها في واقع الحال ليست بذلك التعقيد بالنسبة للفهم.

يوجد بيت ذو شقق كثيرة. يعيش فيه ناس مختلفون. تختلف مستويات دخلهم بشدة، كما تختلف العقليات والعادات. فمنهم من أصلح شقته على الطريقة الأوروبية، ومنهم من ينام على الأرض مفضلاً راحة المشروبات الكحولية. ولكن يشترك كل القاطنين بأشياء، تنحصر في أمرين اثنين- أنابيب تأمين الماء وأنابيب الصرف الصحي. مهما كان الإصلاح ومهما كان الإداري بارعاً. لن يمد أنبوب ماء مستقل وأنبوب صرف صحي مستقل إلى بيت متعدد الشقق. أولاً لأن ذلك مكلف جداً وثانياً- لأن البيت غير مجهز لذلك. فيه مكان لأنبوب واحد فقط. لا مكان لأنبوبين أو لثلاثة.

طبعاً هناك مشرف على تأمين الماء إلى البيت. وهذا المشرف قطع الماء عن البيت، البارد والساخن عن المطبخ والحمام. وتخربت أقنية الصرف الصحي- لا يوجد ماء. سوف يطاول الإزعاج جميع القاطنين من مدير المصنع الذي يعيش على النمط الأوروبي إلى مدمن الكحول التعيس يعاني الجميع بذات الدرجة. ولا أحد يمكنه أن يحل المشكلة بمفرده. مهما كان ذكياً وموهوباً وناجحاً. لن يأتي الماء إلى الأنابيب إذا أُغلق من المصدر. وبما يشبه ذلك- البنية الخاصة (الاحتياطي الفيدرالي) التي تطبع كل نقود العالم أغلقت بوابة الإقراض. لن يتمكن الناس في البيت أن يغتسلوا ولا أن يفعلوا شيئاً يحتاج للماء. الشركات، البلدان والناس لم يعد بإمكانهم الحصول على قروض. وزيادة على ذلك المشرف لم يقطع الماء فحسب- وإنما يطالب أيضاً بتسديد الديون المستحقة. ويهدد بإبقاء الماء مقطوعاً حتى يدفع الجميع.

---

[1] http://www.kasparov.ru/material.php?id=48D77DF2C73C9.

لن يتمكن أي قاطن في البيت من إدخال الماء إلى شقته مهما كـان ديمقراطيـاً عظـيماً أو مستبداً طاغية. ولكن الماء ضروري. ما الذي ينبغي أن يفعلـوا؟ أيـن يتفقـوا مـع المشرف. إنهـم يـدفعون الأنظمـة التـي لا تعجـبهم إلى اتفاقيـات كهـذه. في المفهـوم الأمـريكي- التسـليم التـام لمواقعه، ووضع كل ثرواته تحـت سـيطرة أمريكـا والغـرب. لقـد مررنـا "باتفاقيـات" كهـذه مـع غورباتشوف الذي لا ينسى. لقد سلم كل شيء. حلف وارسـو. الحلفـاء في كـل العـالم. خـرج مـن إفريقيا عشية انتصار القوى التي كانت تدعم الاتحاد السوفيتي عقوداً طويلة (نيلسون مانـديلا في جنوب إفريقيا) وسلم كل شيء، بيد الغرب. لقد سمح بالافتراء عـلى تاريخنـا. خـرب جيشـنا، وذروة ذلك كله فكك البلد الذي ائتمنه الـلـه والشعب عليه. ومـا الـذي قدمـه الغـرب أضـحيةً على مذبح السلام في العالم كله. ما الذي قدمته أمريكـا بقلـب منقـبض؟ وفـيم تنازلـت؟ إنهـا لم تتنازل في شيء! وأكثر من ذلك نقضت كل الاتفاقيات وحنثت بوعودها. دخلت في النـاتو بلـدان كانت من قوام الاتحاد السوفيتي وليس فقط البلدان التي كانت عضواً في حلف وارسو. ولا ترى نهاية لهذه العملية، ولن تكون لها نهاية. لن يهدأ الغرب إن صح التعبير، حتى تـدخل في النـاتو محافظة ريازان الديمقراطية المستقلة، إلى جانب ناتارستان الحرة وقضاء ألتاي الأكثر حريـة. كـل "اتفاقياتنا" مع الغرب فصلت وفق نموذج مشوه واحـد: نحـن نعطـي كـل شيء. وهـم- لا شيء. كذلك يمكن تسمية استسلام حامية برلين في أيـار 1945 "اتفاقيـة". كـل المـؤشرات واضـحة عـلى هذه الاتفاقية: أوقفوا إطلاق النار بعد المحادثات، أنقذوا حياة الناس، انتهى النزاع وحل السلام. أما التفاصيل مثل استسلام إحدى الجهتين "المتفقتين" للأسر بكاملها. فيمكن إهمالها.

إذن. هل يمكن الاتفاق مع المشرف؟ الليبراليون يعتقدون أنه يمكن. وضروري حـتماً. هكـذا، اعتقد الهنود الحمر. لقد ظنوا بسذاجتهم، أنهم إذا أعطوا الأنكلوساكسون هذه التلة أو ذلك السهل، فسوف يدعونهم بسلام ويسمحون لهم بصيد الجواميس البرية بهدوء. هل حصل الإتفاق؟ كلا. قتل ملايين الهنود الحمر غالبيـة القبائـل لم تعـد موجـودة. "حسـب المعطيـات الأمريكيـة، عنـد مجـيء الأوروبيين عاش على أراضي 48 ولايـة أمريكيـة 12 مليـون هنـدي. في بدايـة القـرن العشريـن بقـي

من الهنود 250 ألف شخص. 70% مـن الهنـود- لاجئـون في بلـدهم. مطـرودون مـن أراضـيهم. قامت أميركا بتطهير عرقي ليس له مثيل: لقد أبادت 99.6% من الهنود"[1].

يعيش من نجا من الهنود في أماكن معزولة. وهذه الأماكن ليست في حـال مـن الأحـوال منطقة إقامة قبائل الكومانتشي أو السيو. هذه ليسـت محافظـة قوميـة مسـتقلة، كـما كـان في روسيا الفرق هائل. لم يمس أحد عندنا بسوء قبائل الإيغينكا والتشوكشـا. لم يسـلخ أحـد فـروات رؤوسهم. ولم يبع لهم أحد بطانيات ملوثة بالطاعون[2]. وما يزالون حتـى الآن حيـث كـانوا مـن قبل. وفي مناطق عيشهم بالذات نظمت وحدات إدارية قومية مستقلة. أما في أمريكا فقد نقـل الهنود بالقوة إلى أماكن مخصصة لإقامتهم! بشكل يشابه عمليـاً. نفـي سـتالين للشيشـان وتتـار القرم بعد الحرب. عندنا نفوا بعض الشعوب. أما عندهم- الجميـع "لا بـيض" و"لا سـود". وقـد عادوا إلى وطنهم عندنا منذ زمن طويل ويعتبر ما حصل تراجيـديا وجريمـة حقـاً، أمـا في أمريكـا فهو الواقع اليومي. ولا أحد ينوي الاعتذار. عـلى هـذه الأراضي المخصصـة للهنـود تسري قـوانين مغايرة. على سبيل المثال يسمح فيها إنشـاء مؤسسـات القـمار. وهـو ممنـوع في أراضي أمريكـا. لذلك يقيمون الكازينوهات عـلى السـفن أو في المعتـزلات الهنديـة. وهنـاك يوجـد كـازينو لاس فيجاس الشهير.

لا أحـد يقـول الحقيقـة كلهـا. فرائحتهـا غـير مسـتحبة دائمـاً. أصـبح القـرن العشرين في روسيا اختباراً مرعباً للبلد ولشعبه. ولكـن بمـا أن جـزءاً مـن الحقيقـة يخلط ببراعة بمقادير ضخمة من الكذب المتعمد. أخذوا يتحـدثون بـه فقـط عـن بلادنا. فقد تكون انطباع لدى من حولنا ولدينا أنفسنا عـن إعاقـة و"خطـأ"روسـيا.

---

[1] http://www.gzt.ru/world/2008/02/18/220017.html.

[2] القتال بأيدي الآخرين- مبدأ قديم عند الأنكلوساكسون. أثناء حرب السنوات السبع في أوروبـا. قيـدوا فرنسـا بصراع مع بروسيا. وأخذوا يحتلون ممتلكاتهم في أمريكا وبدؤوا بإخضاع الهند. كل شيء سيسير وفق السيناريو الإنكليزي: طالما يصارع الفرنسيون جنود فريدريك الأكبر. واحتلوا كندا بكاملها. ولتسهيل المهمة عـلى أنفسـهم عقد الإنكليز حلفاً مع الهنود الحمر. بـالتزامن مـع بدايـة حـرب السـنوات السـبع في أوروبـا. بـدأت في العـالم الجديد الحرب بين الفرنسيين والهنود الحمر (1755-1763). لا مثيل في التاريخ لوقاحة الحاكمين الجدد للقارة. لقد أهدى الجنرال البريطاني أمهيرست للهنود الموهيكان الـذين قـاتلوا إلى جانـب إنكلـترا بطانيـات غطـوا بهـا قبلهم المرضى بالجدري. كما فعل مع الهنود الهورون الذين حاربوا تحت العلم الفرنسي.

إن شركاءنا في المحادثات المحتملة لا يقولون لسكانهم الحقيقة عن بنية العالم المالية. إنهم "ينسون" لحظات من تاريخهم ليست أقل حساسية. ويبدو من بعيد كل شيء أبيض وجميل. فقط بالصدفة يمكن أن نعرف من منشورات الصحف أموراً مذهلة. على سبيل المثال، في أستراليا حيث رأس الدولة، كما نذكر، هي ملكة إنكلترا، حتى عام 1967 (!) لم يكن لدى الأوباريجين (السكان الأصليين) حقوق مدنية. كانت وزارة "الغطاء النباتي والبيئة" هي التي تهتم بشؤونهم. أما منذ 1915 حتى 1969 (!) فقد كان أطفال الأوباريجين ينتزعون عنوة وعلى نطاق واسع من أسرهم- من أجل "تسريع انصهارهم". ويرسلون إلى أسر للتبني أو إلى ملاجئ[1]. وأصبح ذلك مأساة شخصية لآلاف البشر.

تخيل نفسك- أنك تعيش في أستراليا الهادئة الوادعة. والديمقراطية من حولك الشمس تضيء والمحيط يطبطب بأمواجه. وأتى إلى بيتك من يأخذ أولادك! فقط لمجرد أنك- "غطاء نباتي وبيئة". لأن مئات الأجيال من أسلافك عاشوا على هذه الأرض. إلى أن جاء الأنكلوساكسون وأصبحوا يرسلون مجرميهم للنفي وينتزعون أولادك بالقانون! ولا مكان ولا أحد يستقبل الشكوى. هكذا بالضبط تصرف النازيون في بولونيا المحتلة. تتبعوا الأطفال "من العرق الصافي" وانتزعوهم من أهلهم لجعلهم ألمانيين بالقوة. في النهاية شنق الأوغاد في نيورنبرغ. ماذا بشأن بقية المجرمين؟ لا شيء. اعتذر... رئيس وزراء أستراليا كيفين راد. وهذا كل شيء أغلقت القضية. ورفضوا حتى التعويض المالي للأوباريجين.

لنعد الآن، لقصتنا عن البندورة. يشعر منتجو البندورة بالغبن والمرارة لرؤية ثمار تعبهم تباع بثمن بخس. ولا يتمكنون من مجابهة مافيا السوق حتى الآن. إلا في بعض الحالات. يتمكنون فقط من صد الهجمات وردع محاولات إخضاع منتج آخر لسيطرة المافيا. ولكن لائحة الخضار لا تقتصر على البندورة. ولا يعيش الإنسان بها وحدها. يعيش أيضاً على الخيار. ويأتي إلى السوق منتج للخيار يريد أن يبيع محصوله. وهناك في السوق ذات الأشخاص من المافيا. والحديث مشابه. السعر، يقولون لك أن سعر خيارك مرتبط بسعر البندورة، ولكن الجميع يعلم أن سعر

---

[1] http://www.izvestia.ru/world/article3112759/.

البندورة مسيطر عليه من قبل مافيا السوق، وتكسر سعرها عندما تشاء. فإذا كنت مزارعاً ينـتج الخيار، فهل توافق على أن يكون سعر منتجك مرتبط بشيء لا علاقة لك به البتة؟

لماذا استعملنا كـل هـذه المقارنـة بـالخضراوات؟ لأن كـل شيء في سـوق حوامـل الطاقـة العالمي يجري على هذه الشاكلة بالضبط. فأمريكا تسيطر على الرزمة المقررة من منابع الـنفط. بفضل ذلك يمكنها أن ترفع أو تخفض الأسعار على هواها. وكـذلك الرزمـة المقـررة مـن الأمـوال العالمية وميزاتها في يد أمريكا. ولكن في سوق الغـاز الطبيعـي تتشـكل الأمـور بشـكل مختلـف. 56.4% من احتياطات الغاز العالمية توجد في روسـيا، إيـران وقطـر[1]. الاحتيـاطي الأكـبر عنـدنا وإيران في المكان الثاني. هل تظن أن أمريكا لا تستطيع خفض سعر الغاز؟ أنت لا تقـدر أمريكـا حق قدرها. عندما لا توجد لديها إمكانية السيطرة على احتياطات الغاز العالمية:

- أولاً: تحاول أن تفرض سيطرتها. ومن هنا المحاولات المستمرة للتدخل في إيـران. وهـي ليست أبداً بسبب الاهتمام بـأمن البشريـة مـن البرنـامج النـووي الإيـراني. بـل بسـبب السـعي المحموم من طرف أمريكا لتوجيه ضربة إلى إيران؛

- ثانياً: أنشأت أمريكا نظاماً "سوقياً"يتيح لهـا السـيطرة عـلى سـعر الغـاز، دون المسـاس بحقول إنتاجه.

هل سمعت يوماً بالوحدة الحرارية البريطانية؟ إذا لم تكن عاملاً في مجـال الغـاز. فعـلى الأرجح لم تسمع بها. رغم أنها واحدة قياس لافتة جداً. وهي التي تتيح السيطرة على سعر الغاز دون أن تملك "الرزمة المقررة" لحقول الغاز ذاتها.

ولكن سنعود في البداية إلى سوق الخضار. فقد ذهبت إلى هناك لتشـتري كيلـوغرامين في الخيار والبندورة. نطرح على البائع سؤالاً عادياً: كم يساوي؟ وتسمع جواباً لافتاً جداً.

- كم يساوي الكيلوغرام؟ - يقول البائع - لا أعرف يجب أن نحسب ذلك من المعادلة.

-أية معادلة؟ تستفسر أنت.

[1] http:/prognoz.org/article/khvtit-li-miru-gaza.

- معادلة حساب سعر كيلوغرام الخيار عندنا في السوق- يشرح البائع- تستخدم من أجل ذلك درجة الفيتامين الزراعية.

- ماذا يستخدم؟ - لا تفهم أنت - أية درجة زراعية- أريد أن أشتري خضاراً وليس مقياس حرارة!

- هذا ما أقوله لك يا عزيزي: يجب أن نحسب بالمعادلة. عبر درجة الفيتامين الزراعية. هذه الدرجة تعني، كم يتبقى من الفيتامين في (1) ميليغرام من الخضار إذا سلق في (1) ميليلتر من الماء.

هنا يبدأ صبرك بالنفاد.

- يكفي استهزاءً - تتوتر أعصابك قليلاً - كم يساوي كيلوغرام الخيار.. ودعك من درجة الفيتامين في الحال يبدأ البائع بالتراجع.

- لماذا تغضب يا عزيزي؟ كل شيء عندنا يجري بنزاهة. كل شيء حسب العلم. لا أحد الآن يبيع الخيار هكذا ببساطة. الكل يحسب فقط من خلال درجة الفيتامين الزراعية.

- حسناً - تستسلم أنت- احسب من خلال درجتك وقل لي فقط كم يساوي الكيلوغرام. وإلا فلا شيء مفهوم. وأسرع في الحساب.

- سأفعل حالاً - يجيب التاجر. يتناول الآلة الحاسبة ويبدأ الحساب: - هذا العمل لا يحصل بسرعة. ولكن سأقول كل شيء بنزاهة كيف نقوم بالحساب. ماذا نضيف وماذا نضرب ونحسب هكذا: نأخذ ثمن تذكرة القطار من كراسنودار- إلى موسكو، ونضربه بعامل التصحيح 0.79. ونضيف سعر صرف الغريفن الأوكرايني بالدينار الإيراني مأخوذاً في الربع الأول منذ تسعة أشهر. وكل ذلك نقسمه على سعر البندورة في بورصة نيويورك مساء البارحة. المجموع يساوي مليون درجة فيتامين زراعية.

ماذا كنت لتقول لو أن البائع بدلاً من السعر الواضح أخذ يقوم بهذه الحسابات؟

كذلك من يتاجر بالغاز الطبيعي. لا يحق لهم أن يبتعدوا عن الآلة الحاسبة وطبق الورق. وإلا لن يستطيعوا أن يحسبوا سعر سلعتهم. القضية تكمن في أن سعر

الغاز الطبيعي مرتبط بسعر النفط. في النهاية هذا يعني أن روسيا التي تملك أكبر احتياطات للغاز في العالم لا تستطيع بنفسها تحديد السعر على سلعتها. هذا مسل جداً: لا تستطيع روسيا تحديد سعر النفط لوحدها لأن سوق النفط موجودة، وفيها الفيوتشيرس، وعدد كبير من المنتجين وعدد ضخم من المستهلكين. يعني أن هناك مستويات للأسعار ولا بد من مراعاتها- شئنا أم أبينا. ولا تستطيع روسيا تحديد سعر الغاز لوحدها لأن السوق العالمية لم تتشكل بشكل نهائي وليس لها مستويات أسعار منفصلة خاصة بها. في النهاية يحدد سوق النفط الشهير سعر غازنا وتسيطر أمريكا على سوق النفط.

لنتكلم الآن عن الوحدة الحرارية البريطانية. بما أن سعر الغاز مرتبط بسعر النفط. إذن يجب أن يكون أحدهما قابل للحلول محل الآخر. وهنا تبرز مشكلة: الغاز الطبيعي- غاز، أما النفط - سائل فكيف نقارن بينهما؟ أول ما يتوجب عمله- تحويل أسعار النفط والغاز إلى واحدات قياس متساوية (تحل إحداها محل الأخرى). من أجل ذلك تستخدم الوحدة الحرارية البريطانية في الممارسة العالمية اختصاراً (و، ح، ب). الوحدة الحرارية البريطانية - هي كمية الحرارة اللازمة لتسخين رطل من الماء لدرجة واحدة بمقياس فهرنهايت (11) (و، ح، ب) = 252 حريرة = 1.055 جول). يحتوي البرميل الواحد من النفط 5.825 مليون و ح ب، ويحتوي متر مكعب واحد من الغاز 36.6785 و ح ب.

ها أنتم تشعرون بنفس الرياضيات العالية الخفيف لدى محاولة توضيح مسألة بسيطة. إذا أردت أن تعرف ثمن غازك الطبيعي- الأمر سهل للغاية. سخن رطلاً من الماء لدرجة فهرنهايت واحدة! هذه ليست مزحة وليس استفزازاً. هكذا بالضبط. بني بيع الغاز المعاصر. هكذا بالضبط تحسب قيمته. ألم تسمعوا أبداً بالوحدة الحرارية البريطانية؟ لا بد أن السياسيين والاقتصاديين يحرصون على حالتكم النفسية ويقولون لكم فوراً ما هو سعر المتر المكعب من الغاز بالدولار الأمريكي. وإذا قالوا لكم كل المعادلة التي تستخدم فسوف تفقدون عقلكم بنسبة احتمال كبيرة.

كيف رغم كل شيء يحدد سعر الغاز؟ ألم يلفت انتباهكم أن ثمن المتر المكعب الذي نبيعه يتغير بقفزات كحرارة المريض؟ ألم يتكون لديكم إحساس،بأن هذا السعر المتغير بشدة خلال أيام وحتى خلال ساعات. هو في واقع الحال "بفعل فاعل"؟ هذا يعني أنكم أناس طبيعيون.

القضية في أنه لا توجد أية منهجية موحدة متفق عليها، أو معادلة (صيغة) تحسب بواسطتها سعر الغاز الطبيعي!.

مثل هذه المعادلات كثيرة جداً.

للإنصاف نشير أن سعر الغاز يحدد بالدولار الأمريكي لكل مليون وحدة حرارية بريطانية في الأسواق الأنكلو- أمريكية. هناك تستخدم "معادلتان بسيطتان" لتحديد سعر الغاز وكلاهما انطلاقاً من سعر برميل النفط. بما أن برميل النفط يحتوي على 5.825 مليون و ح ب. فإن السقف الأعلى لسعر مليون و ح ب يعتبر 6/1 من سعر برميل النفط. ولكن بحساب كهذا فإن هذه المعادلة ترفع سعر الغاز. كحد أدنى يستخدم 10/1 سعر برميل النفط وهكذا يتأرجح سعر الغاز في أكثر الأحوال بين 1/1 و6/1 من سعر برميل النفط[1] لكل مليون و ح ب! انتبهوا أن السعر يحسب على "أساس علمي صارم" ويمكن أن يختلف بمقدار 50% تقريباً. فهذا هو الفرق بين 10/1 و6/1.

إذا كان الغاز الطبيعي يباع هكذا، لماذا لا يباع الخيار والبندورة بذات الطريقة؟ لماذا لا يدخل في التداول وحدة الفيتامين الزراعية؟

يتكون شيئاً فشيئاً شعور بالبلادة، وقد تعرفنا إلى معادلة واحدة للحساب. وقد أصبحت في الفترة الأخيرة شائعة جداً. وتسمى أيضاً معادلة "المكافئ الحراري".في أساس هذه المعادلة تقبع "المنافسة الحرارية" بين الغاز ومازوت التدفئة يحسب سعر مليون و ح ب وفق هذه المعادلة على الشكل التالي:

مليون و ح ب = - 0.5 + 0.1511 × سعر برميل النفط.

لا شيء مفهوم. أي خيال مريض وضع هذا المخطط لبيع الغاز؟ لماذا لا يباع ببساطة، مثل بقية البضائع والسلع في الأرض. بثمن واحدة السلعة، وليس بثمن

---

[1] http://gaap.ru/bibio/corfin/evaluation/032.asp.

وحدات حرارية بريطانية غامضة؟ كيف يمكن عندئذٍ أن يسيطر على موارد الطاقة العالمية أولئك الذين يسعون لإخضاع هذا العالم وسحقه؟

فكروا ملياً: سعر السوق - بمعادلة! هذا هراء مثل الكازينو مع ضمان الربح. تنشأ الكازينوهات لكي يخسر (أو يربح) اللاعبون نقودهم. أما السوق الحرة، كما علمونا، توجد كي يتحدد السعر للسلعة انطلاقاً من ميزان العرض والطلب. ولكن لا يعمل أي عرض ولا أي طلب في سوق الغاز لسبب ما.

"تجدر الإشارة إلى أن المعادلة الدقيقة لمعظم العقود لتوريد الغاز في الممارسة العالمية تعتبر سراً تجارياً"[1]. ماذا يعني ذلك؟ يعني أن تكتب معادلة خاصة بكل عقد. أي أن لكل عقد سعر خاص كذلك. وهذا يعني عدم وجود أية آلية سوق لبيع الغاز الطبيعي. في كل مرة يجري بازار سياسي. يحدد السياسيون قيمة الغاز. وبعد ذلك يرسم عاملو الغاز معادلة جميلة للرقم المقرر مسبقاً. هذا يعادل كتابة النظريات الرياضية من نهايتها. في البداية النتيجة. وبعدها الحسابات. في البداية "أربعة" وبعد ذلك "اثنان ضرب اثنين". فإذا تغير السعر أصبح "ثلاثة" وليس "أربعة" نغير المعادلة - وتصبح الآن "ثلاثة ضرب واحد".

ليس صدفة بدأنا النظر في المعادلات التحريضية من سوق أمريكا الشمالية، لكي لا يكون لدى أحد إغراء. كالعادة، لاتهام روسيا في "الغموض" الذي يلف سوق الغاز العالمية. هذه ليست فكرتنا. والوحدة الحرارية- ليست روسية، بل بريطانية!

لن تدرس كل المعادلات الموجودة، حفاظاً على الأعصاب، وليعذرني القارئ لأنني سأورد شكلاً واحداً بعد. كل معادلة تصلح أطروحة لرسالة دكتوراه.

"يمكن الحصول على معادلة أكثر دقة بواسطة التحليل التراجعي مع حسبان العوامل الفصلية... حسب التحليل التراجعي يمكن أن تعبر المعادلة التالية عن سعر الغاز الروسي:

سعر 1 مليوناً و ح ب من الغاز = 1.5762 + 0.1009 × سعر برميل النفط. حسب هذه المعادلة يرتبط سعر الغاز فقط بسعر النفط في المرحلة الجارية. إلا أن

---

[1] www.gazprom.ru.

سعر الغاز سوف يتذبذب مع سعر النفط. إذا استخدمت هذه المعادلة. تقليدياً بحسب سعر الغاز على متوسط قدره 9 أشهر، مما يبطئ تغير سعر الغاز مقارنة مع سعر النفط. للحصول على معادلة مشابهة يجري ضم سعر النفط الجاري ومتوسط سعر النفط خلال 9 أشهر ماضية إلى المعادلة التراجعية. هذه المقاربة تقدم معادلة محافظة أكثر لسعر الغاز: في لحظة ارتفاع أو انخفاض سعر النفط يتغير سعر الغاز بسرعة أبطأ من سعر النفط. تصبح المعادلة بعد التعديل على الشكل التالي:

1 مليوناً و ب ح من الغاز = 0.714 + 0.046 × سعر النفط + 0.0975 × سعر النفط قبل 9 أشهر"[1].

لنقل بصراحة بأنه يمكن انتقاء معادلة لطيفة مقنعة لأي سعر مفروض...

إذن، ماذا على روسيا أن تفعل لتحصل على أكبر فائدة من بيعها لغازها الطبيعي؟ قبل أن نجيب على هذا السؤال. لنتذكر ماذا يمثل هذا الغاز وأين يستخدم. الغازات الطبيعية- غازات، تملأ مسامات وفراغات الصخور والطبقات الأرضية. توجد في القشرة الأرضية بحالة حرة. وتشكل بظروف معينة تجمعات غازية ضخمة، كما توجد على شكل محلول في المياه الجوفية. المكونات الأساسية للغاز الطبيعي- الميثان، الإيتان، البروبان والبونان (مرتبة حسب تناقص المحتوى). لمن لا يعرف الكيمياء جيداً، نقول أنه يمكن الحصول على كمية هائلة من المواد المفيدة من هذا الغاز. في الحقيقة، الغاز - هو خليط غازي من الكربوهيدرات، وبتعبير أبسط. "نفط غازي"! لذلك يمكن ويجب أن يستخدم الغاز كمادة خام للصناعة الكيميائية وليس فقط كوقود رخيص الثمن. وإذا كان استخدام الغاز كوقود بدأ في أواسط القرن التاسع عشر في داغستان، فإن استخدامه كمادة خام بدأ بعد ذلك بمئة عام تقريباً. تشكل الكربوهيدرات التي تدخل في قوام الغاز الطبيعي خاماً لصناعة الفورمالداهيد، والكحول الميتيلي، والأسينيهيد، والأسيتون، وحمض الخل وغيرها من المركبات العضوية بطريقة التحويل بواسطة الأوكسجين أو بخار الماء نحصل من الميتان، المكون الرئيس للغازات الطبيعية، على تركيبة - الغاز (CO+H2) والمستخدمة على نطاق واسع في الصناعات

---

[1] http://gaap.ru/bublio/corfin/evaluation/032.asp.

الكيماوية للحصول على الأمباك، والكحوليات وغيرها من النواتج العضوية. بالحرق اللاهوائي ونزع الماء من الميتان نحصل على الهيدروجين المستخدم بشكل أساسي أثناء تركيب الأمباك وكذلك على الإستيلين وهباب الفحم. نستخدم الغازات الطبيعية كذلك لإنتاج كربوهيدرات من الفئة الأوليفينية وبشكل رئيس الإيتيلين والبروبيلين اللذين يستخدمان في تركيبات عضوية تالية. يحصل منهما على مختلف المواد البلاستيكية. والكاوتشوك الصناعي، والخيوط الصناعية وغيرها. حتى اليوم تستهلك الصناعة 44%، وإنتاج الكهرباء 31% من حجم الغاز الطبيعي. ويذهب الباقي إلى القطاع الاستهلاكي المنزلي ووسائط النقل.

الوحدة الحرارية البريطانية والارتباط الوثيق بسعر برميل النفط يقفان على حراسة مصالح الغرب، قاطعة الطريق على روسيا نحو الاستفادة المطلوبة من بيع ثرواتها. بالطبع تصدير الغاز هذه الأيام مربح أيضاً. ولكن الفرق بين الثمن الحاصل والثمن الممكن يبلغ أضعافاً.

يجب فصل بيع الغاز عن بيع النفط، فك ارتباط سعر الغاز بسعر النفط. هب أن سعر النفط يهبط بفعل الفيوتشيرس- لا يجب أن ينخفض سعر الغاز. ومن أجل ذلك لا بد من توحيد جهود مصدري الغاز. النعمة هنا أن المملكة العربية السعودية لا يمكنها أن تعيق العمل. فنحن باحتياطات الغاز في المركز الأول، الثاني- إيران، التي تدعم بسرور حركتنا وستفعل كل شيء لمجابهة أمريكا المعادية لها. تحركت القضية من النقطة الميتة في عام 2006-2007: "اقترح الزعيم الروحي الإيراني آية اللـه خامنئي على روسيا إنشاء أوبك للغاز[1]".

إذا كنا نفهم اللعبة كلها، لا يصعب التنبؤ بردة فعل "الآلة الطابعة"، التي قد تسحب من أمام أنفها السيطرة على تشكيل أسعار الوقود البديل للنفط. "أمريكا والاتحاد الأوروبي يعتقدان أن إنشاء "أوبك للغاز" يهدد أمن الطاقة في العالم كله ويسمح بالتحكم بالأسعار"[2].

"وقفت اللجنة الأوروبية ضد فكرة إنشاء تجمع منتجي الغاز على غرار

1 http://www.lenta.ru/news/2007/01/29/opec/.

2 http:www.lenta.ru/news/2007/01/29/opec/.

أوبك، بعد أن أعلن أكبر منتجي الغاز- روسيا، إيران وقطر عن تمتين التعاون. إن اللجنة من حيث المبدأ ضد التجمعات من أجل التجارة بالمنتجات، والكربوهيدرات ليست استثناء. نحن نعتبر أن أفضل الظروف لبيع منتجات مثل الغاز - هي السوق الحرة الشفافة"[1].

ولكن في عام 2008 أصبحت أوبك الغاز حقيقة واقعة. الأزمة التي تعيق كل شيء، حركت في هذه الحالة، الجميع نحو أفعال حاسمة. فإن خطورة خنق إيران وروسيا بخفض أسعار النفط قادت بشكل أوتوماتيكي إلى الرغبة ببيع الغاز بسعر أعلى. أما في مملكة الوحدة الحرارية البريطانية الحالية يجب أن ينخفض سعر الغاز في منتصف 2009 ليلحق بأسعار النفط المتردية.

"في 21 تشرين الأول أعلن وزير النفط الإيراني غلام حسين نظاري. أن روسيا، إيران وقطر اتفقوا على شروط إنشاء "أوبك الغاز". أثناء اللقاء اتخذنا قرارات مهمة. توجد حاجة في إنشاء "أوبك الغاز". والآن توصلنا إلى اتفاق حول إقامتها- أعلن نظاري بعد المحادثات الثلاثية التي شارك فيها وزير نفط قطر ورئيس شركة غازبروم اليكسي ميللر"[2].

لا يمكن لأمريكا أن تترك ذلك دون اهتمام. وقد نقلت فترات ومنطق المجابهة خطوات رد واشنطن إلى عهد باراك أوباما. إلا أن جورج بوش بذل كل ما في وسعه.

ظل جورج بوش رئيساً لأمريكا ثماني سنوات بحالها. وقد فعل الكثير خلالها. خلال إدارته بالذات بلغ حجم الدين الأمريكي مقادير فلكية. إن الصراع مع الاتحاد السوفييتي امتص القوى من الولايات المتحدة، كما أفرغ الصراع مع أمريكا خزينة الاتحاد السوفييتي. منذ عهد رونالد ريغان ارتفع الدين الأمريكي من 700 مليار $ إلى 2 تريليون $ في عام 1990.[3] وهذا يظهر للعيان أن الأمريكيين عانوا من ذات الصعوبات التي عانى منها المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي. إلا أن نتيجة نقص الأموال في الاقتصاد الاشتراكي أصبح ندرة في

1 http://top.rbc.ru/economics/22/10/2008/255079.shtml.

2 المرجع نفسه.

3 غرينسبين ا. عصر الاضطرابات موسكو: البينا بيزنيس بوكس 2008، ص. 110.

المنتجات والسلع، أما الأمريكان فقد أطلقوا "آلـتهم الطابعـة" بكامـل طاقتهـا. يمكـن الحـديث طويلاً حول موضوع ماذا جرى في العـالم لـو أن غورباتشـوف الفتـي الحيـوي لم يـترأس الحـزب الشيوعي السوفييتي في عام 1985، وترأسـه غريغـوري رومـانوف الأقـل شـباباً وحيويـة. ولكـن الأرقام- أشياء عنيدة جداً وهي تظهر لنا أن ظرفين ساعدا أمريكـا بـالخروج مـن الأزمـة: "الآلـة الطابعة" و"سقوط الاتحاد السوفيتي". حيث ساعد الثاني في النهايـة بتغطيـة الأول. عـلى الفـور بعد انهيار الاتحاد السوفيتي نفخت الروح ثانية في الاقتصاد الأمريكي. هذه الحقيقة تظهر جلية في كل المعطيات الإحصائية. وتستشف عبر أرقام كل التقارير والمذكرات. "في نهايـة 1993 ارتفـع الناتج القومي الأمريكي بمقدار 8.5% مقارنة مـع عـام الأزمـة 1991. وسـجل وتـيرة نمـو سـنوية بمستوى 5.5%"[1].

استمرت أمريكا بالاستدانة حتى بعد انتصارها على خصمها الجيوسياسي. وإنمـا أصـبحت وتيرة ازدياد حجم الدين أقل من ذي قبل. لدى تولي جـورج بـوش الأب السـلطة مكـان رونالـد ريغان بلغ حجم الدين الأمريكي 3 تريليون $. ولكن لا يحكم عـلى المنـتصر كـما نعلـم. وهنـاك حكمة أخرى رومانية معروفة- ويل للمهزومين.

إذن، بوش الابن بالذات هو من أوصل حجم الدين الأمـريكي إلى رقـم 10.5 تريليـون $. هذا الرقم يخيف أصحاب "الآلة الطابعة" ليس فقط بحجمه الهائل. إنه مخيف بمقارنتـه أيضـاً. فقط منذ عشر سنوات ونيف. في عام 1997. بلغ الناتج القومي الكلي مبلغاً مساوياً تقريباً - 15 تريليون $. هذا يعني أن أمريكا مدينة للعالم كله بمبلغ يعـادل مـا تنتجـه الدولـة كلهـا. النـاتج القومي الأمريكي اليوم أكثر من 10 تريليون دولار.

ولكن هذه الزيادة لم تحصل بسبب تكنولوجيات جديدة متقدمة، وإنما بزيادة الأسعار بكل بساطة. العجز بالذات يزين التقارير الإحصائية الأمريكية، وتسمح للقاطن بالتنفس بهدوء أكثر قليلاً. ولكـن أصـحاب الاحتياطي الفيدرالي لا ينشرونها من أجل تهدئة النفوس بـل لخـداع كـل الآخـرين. هـم أنفسـهم يتصـورون

---

[1] غرينسبين ا. عصر الاضطرابات موسكو: البينا بيزنيس بوكس 2008، ص. 110.

جيداً الصورة الحقيقية، والأزمة - هي الجواب الحاسم ومحاولة تغيير الظروف غير المؤاتية.

ولى جورج بوش. ويتهمونه اليوم بكثير من الخطايا ويلومونه في كثير من الأخطاء. لم ينتبه لأحداث 11 أيلول 2001. أدخل القوات إلى العراق وتدخل في أفغانستان بموافقته جرت مخالفات القانون في غوانتانامو. وسياسة الاحتياطي الفيدرالي قصيرة النظر برئاسة آلان غرينسبين شكلت كل الإرهاصات للهاوية المالية. ولكن لنكن منصفين. خلال ثماني سنوات من إدارته أصبحت أمريكا أضعف وليست أقوى. وهذا هو فضله الكبير. ولكن ليس أمام النخبة الأمريكية السياسية الحاكمة. خلال فترة حكمه بالذات استطاعت بلادنا أن تتوقف عند حافة الهاوية حيث كان يلوح التفكك اللاحق والفوضى العارمة على مساحة واسعة من فلاديفوستوك إلى كالينينغراد. تمكنا من التوقف. ابتعدنا عن خط الخطر. من أجل ذلك علينا أن نشكر ليس قادة روسيا فحسب، بل وكذلك جورج بوش. في الجوهر هو ليس شاباً سيئاً. إنه عم لطيف ألم تروه؟

لقد ولى عنا إلى الأبد. لن تعود تعابيره المجنحة لمرافقة الأحداث العالمية الهامة. لن يزين بعد الآن بشخصه البث التلفزيوني ولن يعطي صبغة مضحكة لكوارث محزنة وحتى مأساوية. لقد ذهب آخذاً معه كجائزة رئيسة، حذاءً مغبراً من قياس اثنين وأربعين وليس جائزة السلام أو "الأوسكار". ولهذا دلالة رمزية كبيرة. لذلك عندما نقرأ كلام رئيس الولايات المتحدة جورج بوش يستحيل أن لا نشك في سلامة عقله وتمام تعليمه. لم يترك سياسي في التاريخ الإنساني حتى الآن مثل هذا الإرث من الحماقات المجنحة والأمثلة العشوائية. وبفضل ذلك سيكون مكان جورج بوش مضموناً في مدونات تاريخ الإنسانية.

وهل جورج بوش اتخذ بنفسه كل هذه القرارات التي يلومونه عليها؟

وهل يمكن لإنسان يتكلم على هذه الشاكلة أن يقود بنفسه بلداً؟

هذا الكتاب يصبح حزيناً. ولكي نتقدم إلى الأمام نحتاج لمزاج جيد. وليساعدنا جورج بوش مرة أخرى. تعالوا نضحك قليلاً. قبل الفصل الأخير حيث لن نجد مجالاً للضحك.

يقول جورج بوش

— أقول بصراحة، المعلمون - المهنة الوحيدة، التي يعلم ممثلوها أطفالنا.

(1995/9/18)

— أفترض أننا نقف على الطريق إلى حرية وديمقراطية أكثر،الذي لا عودة عنه. ولكن كل شيء يمكن أن يتغير.

(1998/5/22)

— أنا واثق أن البشر والأسماك يمكنهم التعايش السلمي.

(ساغينو 200/9/29)

— الغاز الطبيعي - نصف كروي. يعجبني أن أقول أنه نصف كروي في الطبيعة.

(أوستين 200/12/20)

— يجدر أن يُسأل من طرح علي هذا السؤال. لم يكن لدي إمكانية أن أسأل الذي طرح علي السؤال. وعن أي سؤال نتحدث؟

(أوستين، تكساس 2001/1/8)

— أنا أنوي أن أحتفظ بالسلطة التنفيذية لنفسي ولمن كان قبلي.

(واشنطن 2001/1/29)

— إننا جاهزون للعمل مع الجانبين، لكي نخفض مستوى الإرهاب إلى مستوى يقبل به الطرفان.

(واشنطن 2001/10/2)

— رحلتي إلى آسيا تبدأ من اليابان لسبب مهم جداً. إنها تبدأ هنا. لأنه على مدى قرن ونصف أمريكا واليابان تشكلان الحلف الأمتن والأطول من بين أحلاف الزمن الحديث. من هذا الحلف ولدت حقبة السلام في منطقة المحيط الهادي.

(طوكيو 2002/2/18)

— عندكم أيضاً يوجد زنوج؟

(سؤال لرئيس البرازيل فرناندو كاردوزو، ولاية سان باولو، 2002/4/28).

— أنتم أحرار! الحرية رائعة! ولكن، تعرفون، يتطلب الأمر وقتاً لاستعادة الفوضى والنظام- النظام منفصل عن الفوضى. ولكننا سنفعل ذلك!.

(واشنطن 2003/4/13)

— شرف كبير لي أن أصافح بشدة يد مواطن العراق الشجاع، الذي قطع له صدام حسين يديه.

(واشنطن 2004/4/25)

— أريد أن أشكر صديقي، السيناتور بيل فريست، لأنه اليوم معنا. تزوج من فتاة من تكساس، لكي تعلموا. كارين هنا أيضاً. إنها فتاة تكساسية مثلي.

(ناشفيل، ولاية تينيسي 2004/5/27)

— أعداؤنا يملكون تكنولوجيات وثروات. ونحن- كذلك. إنهم لا يتوقفون عن التفكير بإيذاء بلدنا وشعبنا. ونحن- كذلك.

(واشنطن 2004/8/5)

— أطباء كثيرون جداً لا يزاولون عملهم. وكثير جداً من أطباء النسائية والتوليد لا يستطيعون ممارسة الحب مع النساء في كل البلد.

(بوبلار - بلاف، ولاية ميسوري 2004/9/6)

— عدا عن ذلك، أنا والرئيس أكدنا استعدادنا للصراع مع الإرهاب بتصميم، وأن نجتث تجارة المخدرات وأن نقوم بالواجب تجاه من يفسد شبيبتنا.

(عن لقاء مع رئيس التشيلي ريكاردو لاغوس، سانتياغو، 2004/11/21).

— أنا أعتبر، أنه يجب السماح فوراً للعجول أن تتخطى حدودنا.

(أوتارا 2004/11/30)

— عندما نفقد ضحايا بشرية. هي دائماً لحظة حزن وأسى.

(واشنطن 2004/12/21)

— الفكرة عن أن الولايات المتحدة تحضر للهجوم على إيران مضحكة ببساطة. ويمكننا أن أضيف إلى ذلك أمراً واحداً: نحن ندرس كل الخيارات الممكنة.

(بروكسل 2005/2/22)

— سوف نعمل ونحلل بسرور مع الدستور، الذي يأمل أن يهدئ أفكار الإعلام الحر. لكي لا يرفضوا إطلاعكم على الأخبار التي لا يجوز لكم أن تروها.

(واشنطن 2005/4/14)

- من مصلحة بلدنا أن نبحث عن أولئك المستعدين للتسبب بإيذائنا ونرسلهم بعيداً عنا.

(واشنطن 2005/4/28)

- أعتقد أننا وعدنا العمال الشباب- قبل كل شيء العمال الشباب بمساعدة من الحكومة- الوعود قطعت. ولا يمكننا أن ندفع المساعدات. هذه هي الأحوال.

(واشنطن 2005/5/4)

- سأضيع الكثير من الوقت على برنامج التأمين الاجتماعي. يعجبني هذا العمل، يعجبني أن أمارس هذا العمل. أعتقد أن الإحساس الأمومي داخلي يقول ذلك.

(واشنطن 2005/4/14)

- ترون، الاصطدامات لم تسهل تسارع التراجع فحسب، ذكرتنا الاصطدامات بأننا نخوض حرباً.

(واشنطن 2005/6/8)

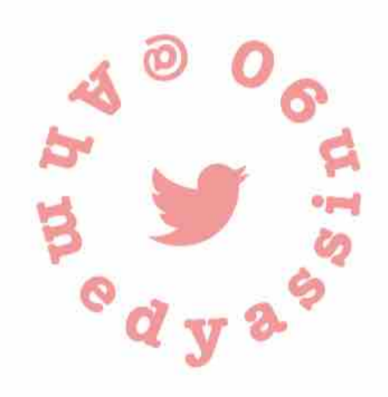
- أردت أن أقول، لا تضع إصبعك في فم هذا الشاب. ولكن هذا على الأرجح لا يبدو جميلاً في الترجمة. هل يمكن أن أقول أنني لن أضع إصبعي في فمك؟

(مخاطباً رئيس وزراء لوكسمبورغ جان كلوديونكر. واشنطن 2008/6/8)

- هذا هو عملي- أن أفكر أبعد من أنفي.

(واشنطن 2005/8/3)

لا أرجح أن أوباما سوف يسرنا بمثل هذه الجواهر. لا فسحة عنده للمرح بسبب الأزمة؟ كلا، الأزمة سوف تنتهي عندما يكون ذلك ضرورياً. بسبب الغاز والنفط - هذا هو الهم الحقيقي لرئيس أمريكا- والغاز في المقام الأول.


@Ahmedyassin90

الفصل الرابع عشر

تايلند، اليونـــان، سفينة "فانيـــا" ونزاع الغاز مع أوكرانيا

يا أصدقائي، لا أصدقاء في الكون

أرسطو

عندما نشاهد التلفزيون أو نقرأ صحيفة، يثير الكثير من الأحداث في العالم دهشتنا بغرابتها أو عدم توقعها. هل كان لديكم هذا الإحساس؟ آمل أنكم بعد قراءة هذا الفصل ستصبح الألغاز غير المفهومة أقل بكثير لديكم. القضية في الغالبية الساحقة من الحالات لا تكون الاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية الجدية مصادفة. إلا أن الصحف والتلفزة لا تروي لنا حقيقة الأحداث ودوافعها. من له عينين وراس يجب أن يتوصل إليها بنفسه.

كان واضحاً منذ فترة طويلة جداً أن روسيا وإيران سوف تحاولان حتماً إنشاء "أوبك الغاز" وتفكان ارتباط بيع الغاز عن بيع النفط. هل ستتمكنان من ذلك أم لا- تلك قضية أخرى، أما المحاولة فإن طهران وموسكو ملزمتان بها بكل بساطة. كلما ازداد عدد حقول النفط في العالم كله التي تسيطر عليها شركات من روسيا وإيران، كانت عملية تكتل "منتجي الغاز" أسهل. هذا يعني أنه لمجابهة إنشاء "أوبك الغاز" يجب على العكس، عدم السماح للروس والإيرانيين بالدخول إلى أية بلدان منتجة للغاز. أي أنه للبداية من الضروري مزاحمة موسكو وطهران وإخراجهما من كل مكان، ألا يُسمح بإبرام شركات من هذين البلدين للعقود. وحصرهما في إطار حدودهما الدولية. هذه هي المرحلة الأولى. المرحلة الثانية- خلق ظروف تجعل تصدير الغاز بشكل مستقل من إيران وروسيا مستحيلاً. المرحلة الثالثة- خلق حالة عدائية بين موسكو وطهران ودق إسفين بينهما وبذلك يتم تخريب منظمة الغاز الموشكة على الولادة.

المرحلة الأولى هي "الأبسط" يجب إمعان النظر، إلى حيث يتردد كبار شخصيات الغاز والنفط الروس، واتخاذ الإجراءات في الوقت المناسب. منذ فترة وجيزة- في خريف 2008- تركزت أنظارنا على الأحداث في تايلند. فما الذي حدث هناك؟ اضطرابات شعبية، إحدى القوى السياسية حاولت إزاحة خصومها السياسيين بواسطة المظاهرات والاحتجاجات واحتلال المطارات. ولكن لماذا في هذا الوقت بالذات ولماذا في تايلند بالذات؟

لتنظر إلى شريط الأنباء.

2003/11/10 "أعلنت شركة شيفرون أوفشور (تايلند). وهي إحدى الشركات المتفرعة عن شركة شيفرون نيكساسكو الكبرى عن اكتشاف مخزونات للنفط والغاز"[1].

"شيفرون"- إحدى أضخم الاحتكارات الغربية النفطية. هذا يعني أن إنتاج النفط في مملكة تايلند ومعالجة الكربوهيدرات تقع تحت سيطرة "الآلة الطابعة". وهنا يدخل إلى مملكة الحرية هذه "غاز بروم" الروسي غير المرغوب به.

2005/11/18 "تأخذ الوثيقة بعين الاعتبار إمكانية التنفيذ المشترك بين "غاز بروم" وشركة الغاز والنفط الوطنية التايلندية[2] بمشاركة البنك الاقتصادي الخارجي للمشاريع الكبرى في قطاع النفط والغاز في تايلند، وروسيا ودول أخرى. سوف يجري التعاون في مجال البحث والتنقيب. ونقل وبيع الغاز الطبيعي والنفط وغيرهما من حوامل الطاقة، ومد أنابيب النقل. ينوي الطرفان التعاون في مجال إقامة منشآت تخزين النفط والغاز وشبكات التوزيع. أحد هذه المشاريع سيكون إنشاء أنبوب لنقل الغاز في تايلند، "الذي يؤمن الحركة الأمثل للغاز على الأراضي التايلندية"[3].

---

[1] http:www.mineral.ru/News/10496.html.

[2] هي شركة PTT (Public Company Limited) التي يعود 52% منها للدولة، وهي أكبر شركة للنفط والغاز في تايلند.

[3] http://www.polpred.com/country/th/free.html?book=1129&country=154&id=3501& act=text.

"إقامة أنابيب النقل"- إنها البداية فقط. إذ لا بد من ضخ شيء في هذه الأنابيب، أي أن بإمكان الروس أن يصدروا نفطهم وغازهم إلى تايلند. أو أن يعالجوا المخزونات المحلية. أيهما أصعب للغرب يصعب التكهن. وخلال ذلك يكتسب التقارب الروسي التايلندي زخماً.

27 كانون الأول 2006 ألغت كل من روسيا وتايلند الفيزا على التنقل بين البلدين. وهذه ليست قضية صغيرة. لماذا لا يمكن إقامة نظام تنقل دون فيزا مع أمريكا، إستونيا أو جورجيا؟ وهل يهدد الروس أمن تبيلسي ولا يهددون أمن بانكوك مطلقاً؟ إلغاء الفيزا- دليل على التقارب بين البلدين. تذكروا هدية أمريكا- إلغاء الفيزا بالنسبة للاتفيا وإستونيا لمشاركتهما في العمليات في أفغانستان.

يوجد ما يوجب الحذر. فالأحداث تتصاعد.

25 آذار 2008. ((عرضت أكبر شركة تايلندية للطاقة على "غاز بروم" إنشاء معمل لتكرير النفط وقاعدة نفطية في تايلند... يتيح مركز تكرير النفط في تايلند للشركة الروسية خفض التكاليف اللوجيستية إلى مقادير منافسة. وبذلك تجتذب مشترين أكثر في المنطقة "تستطيع روسيا أن تستعمل بلادنا كقاعدة لتقوية مواقعها في آسيا في الوقت الحالي لروسيا حصة صغيرة في المنطقة بسبب التكاليف اللوجيستية العالية))[1].

"تقوية مواقعها في آسيا"؟ كلا لا تلزم لأمريكا هذه "الهوكي" في آسيا. خصوصاً على خلفية أن الشركة الأمريكية "شيفرون" أعلنت عن شهيتها بخصوص النفط والغاز التايلندي قبل أسبوعين من الدعوة اللطيفة لـ "غاز بروم".

11 آذار 2008. "بفضل الأرباح غير المسبوقة من بيع النفط جهزت ثاني شركة نفطية في أمريكا 3 مليار $ لمعالجة حقل الغاز في خليج سيام... يتوقع أن يبدأ العمل في 2011. يلاحظ أن الشركة أعلنت في أيلول أنها سوف تستثمر في معالجة الحقل 650 مليون $. ولكن يبدو أنها قررت تعديل خططها لتسريع الاستخراج. يفترض أن معالجة الحقل وتحسين الأعمال المنفذة فيه تسمح بتلبية الطلب المتزايد على الغاز في تايلند"[2].

---

[1] http://www.rbcdaily.ru/2008/03/25/tek/331585.

[2] http://www.rosinvest.com/news/385506/.

لماذا عدل الأمريكيون فجأة خططهم؟ لماذا استعجلوا استثمار مبالغ ضخمة في تايلند؟[1] لأن روسيا تبدأ بالتدريج بإزاحتهم. بقي كثير من الوقت حتى 2011. وقد يبدأ "غاز بروم" العمل في الحقول التايلندية وليس "شيفرون"...

وقيادة تايلند تعطي مبررات متزايدة للمخاوف. يصل الأمر إلى أن بانكوك تشتري الوقود من الروس وليس من أصدقائها القدامى من "شيفرون".

2008/7/15. ((مجلس وزراء تايلند يصادق على خطة لشراء دفعة من وقود الديزل من روسيا- أخبرت "رويترز": نقلاً عن تصريح رئيس وزراء البلد ساماك سونتا رافيت... يفترض أن يأتي إلى تايلند 300 ألف طن من وقود الديزل شهرياً، ما يشكل ربع الاستهلاك الشهري من هذا الوقود في البلاد. لم يذكر ساماك اسم الشركات التي تشارك في الصادرات، وأشار فقط أن الدفعات الأولى من الوقود يمكن أن تصل إلى البلاد خلال شهرين)).

هلا يذكرنا السادة الشكاكون، الذين يصدقون أن "الثورات" تحدث تلقائياً. ولا يعدلها بإحكام، متى بدأت الاضطرابات في تايلند؟ ألا تذكرون؟ لقد بدأت في آب عام 2008. لم ننتظر الشهرين اللذين بنهايتهما تبدأ الصادرات إلى تايلند من المازوت الروسي!

2008/9/2. "لم تمس الاضطرابات سواحنا بسوء في مطارات تايلند، ولكنها أثرت على رغبة البيتربورغبين بزيادة المملكة... لم تستقبل ولم ترسل مطارات المملكة الجنوب- آسيوية طائرات في الأسبوع الماضي فقط من الجمعة، 29 آب، إلى الأحد، 31 آب..."[2].

هذا بالنسبة لنا وإياكم- المخابرات الأمريكية تقف وراء الرغبة في تغيير الحكومة- وهذا مكشوف تماماً. بالنسبة للتايلنديين هو حقيقة بديهية. ويمكننا تأكيد ذلك لأنهم لا يريدون الانصياع للضغط ويتصرفون بتصميم كاف.. دون التعمق في توثيق الاضطرابات في بانكوك يمكننا رؤية ذلك بكل وضوح. يستخدم

---

[1] http://www.polpred.com/country/th/news.html?section=8&id=113494&type =paid & country =154.

[2] http://www.gazeta.spb.ru/70900-0/.

التايلنديون الطريقة القديمة الجزرة والعصا. الجزرة- استقالة رئيس الوزراء ساماك سونتا رافيت في 17 أيلول 2008. والعصا- اعتقال المحرضين على التمرد.

2008/10/5. "اعتقلت الشرطة التايلندية عمدة بانكوك السابق تشاملونغ سريموانغ، الذي نظم في آب عدة أعمال احتجاج ضد الحكومة. كما تقول وكالة آر، تم إلقاء القبض عليه في أحد المراكز الانتخابية لانتخاب عمدة العاصمة. أصدرت سلطات تايلند الأمر بالقبض على سريموانغ وتسعة من ناشطي المعارضة في 27 آب. وجهت تهمة تنظيم تمرد إلى سريموانغ وأنصاره، وهي تعادل تهمة الخيانة العظمى"[1].

لم تهدأ الاضطرابات.

2008/10/8. قتل شخصان وجرح 410 أثناء الاضطرابات الحاشدة في بانكوك"[2]. ولكن الحكومة لم تستسلم. بل بالعكس تظهر تصميمها للولايات المتحدة. تجرأ التايلنديون أن يعتدوا على أشياء مقدسة بالنسبة لأمريكا- على استيراد السلاح!

2008/10/23 "ألغت حكومة تايلند صفقة لإصلاح وتحديث الحوامات الأمريكية الصنع بيل- 212. وبدلاً من ذلك تشتري من روسيا حوامات مي - 17. صممت الحكومة التايلندية على كسر احتكار أمريكا لصادرات السلاح، واشترت حوامات من روسيا. صفقة الحوامات الروسية غير مسبوقة: حتى الآن كانت هذه الدولة وهي إحدى كبريات دول جنوب- شرق آسيا تشتري السلاح حصراً من أمريكا. رئيس حكومة تايلند سومتشاي وونغساوات (وهو ذاته يقوم بمهام وزير الدفاع) صدّق على عقد شراء 3 حوامات مي -17"[3].

لم تشتر تايلند في تاريخها سلاحاً روسياً. كانت تفضل السلاح الأمريكي دائماً. وفجأة في هذه اللحظة المتأزمة توقفت عن الشراء؟ هل لديكم تفسير عقلاني آخر؟

---

1 http://www.lenta.ru/news/2008/10/05/protester/.

2 http://www.oko.by/proishestvia/3484-410-chelovek-postradali-v-tailande-v-massovykh.html.

3 http://www.centrasia.ru/newsA.Php?st=12247.shtml.

لن نخوض في الأحداث اللاحقة التي أدت إلى ليالي قلقة دون نوم في مطارات البلاد عـانى منها سواحنا هناك. وتنتقل إلى النهاية.

2008/12/2. "وافق رئيس وزراء تايلند سومتشاي وونغساوات عـلى أن يسـتقيل تنفيـذاً لقرار المحكمة الدستورية الذي أعلن اليـوم. واعـترف أن حزبـه زور نتـائج الانتخابـات... أقـرت المحكمة الدستورية التايلندية اليوم حل الحـزبين السياسـيين الرئيسـيين، في الـبلاد ومنـع رئـيس الوزراء سومتشاي وونغساوات ومعه 36 عضواً في الحزب الحاكم الرئيس "الإدارة الشـعبية" مـن مزاولة السياسة لخمس سنوات قادمة"[1].

لكي لا تتاح الإمكانية لأي أحد في المستقبل لشراء حوامات روسية وليست أمريكية...

هذا يعني أننا خسرنا في تايلند؟ نعم لأن جهودنا كانت مركز على مسألة أخرى.

في تشرين الثاني 2008 كانت الانتخابات في فنزويلا. وهي أولوية أهم بكثـير. هـل قوانـا قليلة لا تكفي "للجبهتين"؟ أجل. لا تكفي. ولكن قواهم أيضاً لا تكفي فقد خسروا فنزويلا وهي أهم بكثير.

المرحلة الثانية من الصراع ضد "أوبك الغاز"- خلق ظروف تجعل تصدير الغاز مستحيلاً. كيف يمكن عمل ذلك؟ للإجابة على هذا السؤال، علينا أنـت نفهـم كيـف يجـري تصـدير الغـاز بشكل عام. إما أن يضخ في أنابيب النقل. الخيار الثاني- بعد إسـالة الغـاز ينقـل في سـفن النقـل كالنفط. إسالة الغاز تعطي إمكانية نقله أبعد وبتكاليف أرخص. إلا أننا في هذه المسألة نحـن لا نشكل خطراً بالنسبة للأنكلوساكسون. لأنه فقط في 18 شـباط 2009 "أطلـق أول مصـنع لإسـالة الغاز الطبيعي في روسيا"[2].

إذن، يجب إغلاق طرق نقل الوقود الأزرق التقليديـة لخنقنـا. وهـي- أنابيـب النقل. في هذه الأيام تقيم روسيا أنبوبين لنقـل الغـاز هـما: السـيل الجنـوبي والسـيل

---

1 http:top.bc.ru/politics/02/12/2008/264927.shtml.

2 http://www.newsru.com/finance/14apr2008/sstream.html.

الشمالي. أيّ الدول الأوروبية تملك علاقات طيبة مع روسيا؟ إيطاليا، حيث جازف رئيس الوزراء بيرليسكوين حتى بالحديث عن إلغاء نظام الفيزا بين روسيا والاتحاد الأوروبي. وألمانيا، حيث منح فلاديمير بوتين "وسام الشكر الساكسوني". هذا الدفء في العلاقات ناجم عن "التسخين" المتوقع من أنابيب الغاز المخطط إقامتها والتي تقود بصدفة عجيبة إلى هذين البلدين بالذات.

يبدأ السيل الشمالي من فيبورغ. ويمر في قاع بحر البلطيق وينتهي بغرايسفالد الألمانية.

أما السيل الجنوبي فيبدأ من نوفوروسيسك، ويمر بقاع البحر الأسود. إلى ميناء فارنا البلغاري. ومن ثم يتفرع إلى فرعين يمران عبر شبه جزيرة البلقان ليصلا إلى إيطاليا والنمسا. رغم أن مسارهما النهائي لم يؤكد بشكل نهائي. تناقش "غاز بروم" خياراً جديداً لمسار أنبوب غاز السيل الجنوبي من روسيا إلى الاتحادالأوروبي، عبر البحر الأسود- من صربيا إلى سلوفينيا ومن ثم إلى شمال إيطاليا، كما تكتب مجلة "كومير سانت". ولما حصل رئيس غاز بروم على دعم معلن من قادة سلوفينيا أظهر للنمسا التي كانت علاقاتها مع "غاز بروم" سيئة، أن السيل الجنوبي قد يتجاوزها جانباً"[1].

لماذا توترت العلاقات بين النمسا وبين شركة الغاز الروسية الاحتكارية فجأة ولم تتوتر بين النمساويين لجمع اللحوم تشيركيزوف؟ وكذلك الأمر لم تتوتر مع روسيا الاتحادية لماذا "غاز بروم". لأن مجابهة نشيطة تجري للحيلولة دون إنشاء هذا الأنبوب ولم تتمكن من الاتفاق مع النمسا التي كان من المخطط أن ينعطف أنبوب الغاز إليها عبر صربيا وهنغاريا. ولذلك يعتبر الآن أن أنبوب الغاز سوف يذهب من روسيا إلى بلغاريا، صربيا، هنغاريا ومن ثم إلى سلوفينيا وليس إلى النمسا. ومن سلوفينيا إلى شمال إيطاليا.

لماذا أصبحت النمسا على هذا القدر من الصرامة وعدم التنازل؟ لأن أمريكا تبني خطها البديل لنقل الغاز. إنه يحمل اسماً جميلاً "نابوكو" وهو اسم الملك البابلي نبوخذنصر. يبدأ بناء هذا الخط من آهيبوز القريبة من أنقرة. وبعدها يجب

[1] http://www.newsru.com/finance/14apr2008/sstream.html.

أن يصل هذا الخط بين مدينة أرض روم التركية وبومهارتين النمساوية. ومن هنا تأتي عدم المساومة النمساوية المفاجئة. فمهمتها- تعطيل وإعاقة خطنا والمساعدة بكل الإمكانيات في بناء الخط البديل.

كل شيء بمنتهى الوضوح. ولا يكفي الغاز لخطين من الأنابيب يؤديان إلى الاتجاه ذاته. أحدهما يجب أن يخفق الآخر. من الذي سيفوز؟ إنه صراع يجري أمام أعيننا. وقد لا يخطر ببالكم أن المشهد في برنامج الأنباء التلفزيوني (فريميا)- ليس سوى صدى معارك الغاز المحتدمة في الخفاء. قيمة القضية- مداخيل روسيا، يعني كل مواطن فيها. فنحن نرى مع انهيار أسعار النفط تنهار مردودية الأعمال، وأجور وأرباح المصانع. لن نناقش الآن "الإبرة النفطية" وجلوسنا عليها أم عدمه. ولكن الحقيقة تبقى حقيقة- يؤثر النفط والغاز بشكل هائل على دخل كل مواطني روسيا. أو تقريباً كلهم. لذلك فأن انتصار خط أنابيبنا ذو أهمية حياتية لنا جميعاً.

إن "نابوكو" مشروع جيد جداً. حديث ويحافظ على البيئة تسميته جاءت من القصص التوراتية[1]. كل شيء جيد ما عدا شيء واحد هو سيئ- لا يوجد غاز له. حتى الآن وافقت أذربيجان فقط على إمداده بالغاز. بقية المصدرين هم نظريون فقط منهم إيران والعراق"[2].

أين ذهب بقية المصدرين المحتملين؟

في تموز 2008 عقدت غاز بروم اتفاقية مع تركمانيا لشراء كامل حجم الغاز الذي يمكن لهذا البلد أن يعرضه[3]!

وأيضاً أوزبكستان باعتنا كل غازها سلفاً[4]!

وينتج أنه لا شيء يمكن ضخه في هذا المشروع الرائع "نابوكو" حتى الآن سوى الآمال الملونة. لا يكفي الغاز الأذربيجاني لعمله.

---

[1] نبوخذ نصر دمر أورشليم وأخرج اليهود من فلسطين إلى "الأسر البابلي" وهذا ما يجري الحديث عنه كثيراً في العهد القديم.

[2] http://www.gazo.ru/files/upload/1528/ru/gl-25.03.3008.doc.

العراق "الحر" يدعو الشركات الأجنبية لإنتاج الغاز على أراضيه. وزارة النفط العراقية أعلنت عن مسابقة لمعالجة حقل "أكّاز" للغاز. فما رأيكم من أي دولة ستكون الشركة الفائزة؟

[3] http://www.newsru.com/arch/finance/04julz008/miller.html.

[4] http://www.kommersant.ru/doc.aspx?DOCSID=110894new horizons1/2008.c20-23.

لا يتوقف تبادل الضربات لدقيقة واحدة. الجهات المتصارعة تسعى بكل قواها أن توقف مشروع الخصم وتطور مشروعها بفعالية أكبر. يحاول الغرب بكل قواه أن يكبح حتى السيل الشمالي وليس الجنوبي فحسب. طلبت السلطات الفنلندية، بعد أن تلقت الوثائق الضرورية، إزاحة أنبوب السيل الشمالي أقرب إلى الشاطئ الإستوني الأكثر استواءً من حيث التضاريس. ولكن تالين كما يمكنكم أن تخمنوا، ترفض حتى مجرد دراسة قاع المنطقة الاقتصادية الإستوانية!

"كحجة شكلية قدمت الضرر الذي يمكن أن تسببه الدراسات لإستونيا في قطاع استخراج الثروات الباطنية في الجرف القاري". عاد المصممون إلى مياه فنلندا، التي أبدت مرونة إذ صرحت "نقول نعم لأنبوب الغاز" و"لا لتهديد البيئة". ولكن هنا قام البولونيون بمحاول يائسة لوقف إنشاء أنبوب الغاز. تذكر البولونيون... نزاعهم القديم منذ ربع قرن مع الدانمارك بشأن خط الحدود البحرية بين البلدين في منطقة بورنهولم. انحرف خط الأنبوب باتجاه السويد.

عندئذٍ أبدى البرلمانيون السويديون قلقهم مرة واحدة بشأن المشاكل البيئية، التي يمكن أن تجرها إقامة أنبوب الغاز الروسي في قاع البلطيق. وقد أطلق في الاستخدام سلاح الاحتياطي الفيدرالي المفضل- رأي المجتمع، الذي تشكله وسائل الإعلام المستقلة، كما اخترعوا أشياء لا تخطر ببال:

"الأنبوب يلامس بارجة تحمل سلاحاً كيماوياً. أغرقت في الحرب العالمية الثانية".

"أنبوب الغاز يدمر الحياة المائية في البلطيق".

ربما كانت بيئة البلطيق فعلاً تحت تهديد الخطر؟ كلا ليس هذا هو سبب المعارضة. فقد أقر هؤلاء البرلمانيون أنفسهم إقامة 500 كم من أنبوب تحت البحر بين النرويج وشواطئ السويد الشمالية، ولم تكن أية احتجاجات بشأن البيئة[1].

لننظر الآن إلى الأحداث من زاوية أخرى، وكل هذه الجدالات استطاعت فقط أن تؤجل إقامة أنابيب الغاز الروسية، ولكن لم تتمكن من إفشالها. وهنا أطلقت الأسلحة الثقيلة.

---

[1] New Horizons 1/2008.C,20-30.

2007/12/19. "روسيا مستعدة أن تستمر في العمل مع اليونان في إطار مشروع "السيل الجنوبي" حتى عام 2040 مع مضاعفة حجم توريدات الغاز إلى أوروبا مرتين. صرح بذلك الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في 18 كانون الأول، بنهاية المحادثات مع رئيس وزراء اليونان قسطنطين كارماتليس"[1].

وأيضاً في تشرين الأول 2008 وقعت اليونان عقداً لشراء عربات المشاة القتالية الروسية للجيش اليوناني. اليونان- عضو في الناتو. تصوروا عضواً في هذا الحلف يتسلح بعرباتنا القتالية ب م ب. قد يتمادى اللعب حتى الخروج من الناتو. وكذلك لم تدخل قاعدة الغاز الروسي الأولية، المتاحة على الأراضي اليونانية. في مخططات أصحاب الاحتياطي الفيدرالي.

وها هي أمواج الغضب الشعبي تحاول الإطاحة برئيس وزراء اليونان شخصياً، الذي وقع هذه العقود "الضارة"!

2008/12/7"بدأت اضطرابات جماهيرية في أثينا وسالونيك في اليونان بعد أن أطلق البوليس الأثيني النار على فتى في السادسة عشر"[2].

لم يكن تنظيم قتل أحد المحتجين معقداً يوماً بالنسبة للمخابرات السرية. والمحتجون يبدؤون بالمطالبة باستقالة رئيس الوزراء بالتحديد، رغم أن السلطات اليونانية تحاول تهدئة فورة التوترات.

"النتائج الأولية للتحقيق القضائي والطبي بينت أن الرصاصة أصابت الكساندروسل غريغوروبوليس بعد أن ارتدت من مكان ما، أخبرت وكالة فرانس برس استناداً إلى مصادر في أوساط مؤسسات الدفاع عن الحقوق في اليونان"[3].

انظروا إلى مسار أنبوب "المسيل الجنوبي" وسوف تتمكنون أن تعرفوا. أين بدأت الاضطرابات بعد ذلك- يذهب الأنبوب أولاً إلى بلغاريا؟ بالضبط.

2009/1/15 ((اعتقل 158 شخصاً أثناء الاضطرابات في عاصمة بلغاريا صوفيا... لوحظ بين المتظاهرين أناس يحملون شعارات من أحد الأحزاب اليمينية

---

[1] http://russian.people.com.cn/31519/g32311.html.

[2] http://www.lenta.au/news/2008/12/07/riot/.

[3] http://lento.ru/news/2008/12/10/ricochet/.

"ديمقراطيون من أجل بلغاريا قوية". كانوا يطالبون باستقالة رئيس الوزراء سيرغي ستانيشيف))[1]. يطالبون دائماً باستقالة رئيس الوزراء بالتحديد، لأنه هو الذي يوقع العقود الضارة.

فهمت كل من اليونان وبلغاريا التلميح ولم تعودا راغبتين جداً بشراء الغاز الروسي.

((خلال بضع سنوات قادمة تنوي الحكومة خفض التبعية للغاز الروسي من 70% بواقع 2008 إلى 45%. تنويع مصادر الطاقة أصبح يشكل أولوية عالمية بعد أزمة الطاقة بين أوكرانيا وروسيا القريبة العهد، والتي جعلت أوروبا "تبرد"- ورد في تعليق محطة تلفزيونية. أخبرت وزارة التطوير اليونانية في تحقيق صحفي أن الوزيرين اليوناني والإيطالي ناقشا إمكانية بدء إقامة فرع يوناني- إيطالي من أنبوب غاز TGI. الذي ينقل الغاز من أذربيجان وتركيا ويجب أن يذهب إلى أوروبا))[2].

((أشار إلى نية بلغاريا بالمشاركة في مشاريع الغاز الإيرانية. وأخبر فيساي- زاده أن شركة "بلغارغاز" بصفتها ممثلة للطرف البلغاري أعلنت عن استعدادها للمشاركة في إقامة أنبوب الغاز المخصص لتصدير الغاز الإيراني))[3].

في كل هذه الأنباء يجري الحديث عن شراء الغاز الإيراني، وليس الروسي. وهذه هي المرحلة الثالثة- إثارة النزاعات بين منظمي أوبك الغاز والتحريض على القطيعة بينهما. أي أن على روسيا أن تكون بأقصى الانتباه. يجب القول أن السلطات الروسية تتوخى أقصى الحذر في تصريحاتها- على سبيل المثال أطلقت عندنا على أوبك الغاز تسمية "ثلاثية الغاز الكبرى". في إشارة إلى أن روسيا وإيران وقطر تسيطر على حوالي 60% من احتياطيات الغاز العالمية.

تشعر سلطتنا، لحسن الحظ، بحرية كافية في تصرفاتها وأفعالها. وكما في لعبة الهوكي تجيب على الضربة أو الدفعة بالمقدار ذاته. آخر قصة معبِّرة عن الصراع من أجل "الغاز" كان عرض رأس السنة الذي قدمته أوكرانيا الديمقراطية

---

1 http://www.rb.ru/topstory/incidents/2009/01/095925.html.

2 http://www.oilru.com/news/1035.

3 http://www.oilru.com/news/107799.

والحرة. أوقفت كييف صادرات الغاز إلى أوروبا. ووضعت الأوربيين وروسيا وأوكرانيا ذاتها بوضع معقد. لماذا فعلت ذلك ومن ربح منه؟ تلك أسئلة تقلق الكثيرين اليوم.

لنحاول أن نقدم الأجوبة. لنبدأ من سؤال لماذا أساءت كييف إلى سمعتها كمصدر ثقة للغاز إلى أوروبا. ليس الغرب اليوم توحيداً لدول متساوية أبداً. فهناك أصحاب العمل وهناك الزبائن. هناك مجموعة "الست". سوف يراودنا كثيراً شعور بأننا، لنكن صادقين، مختلفين عنهم بطريقة ما. هم كلهم "مع" أمر ما ونحن لسبب ما "ضده". وإذا كانوا هم "ضد" نكون نحن "مع". لا تخدعنكم زركشة المعاطف والأردية، التي تختلط بفساتين سهرة فارهة. كل هؤلاء ليسوا سياسيين مستقلين، وإنما هم مدراء مأجورون. فقد استأجروا ميخائيل سوكاتشفيلي ليعمل كرئيس لجورجيا، وفيكتور يوشينكو- رئيس أوكرانيا، والسيد كاتشينسكي- رئيساً لبولونيا. هل يمكن أن يكون لهم وجهات نظر مختلفة حول السياسة العالمية؟ إذا كانوا يحصلون على الرواتب من مكان واحد؟ بديهي أنه لا يمكن. إنهم فريق واحد ولكن الأردية والفساتين تخفي تحتها قمصان الفريق الواحد. إنهم جوقة المسرح السياسي ذاته. وهذا ليس عشرين من الآراء المختلفة للدول، وإنما رأي واحد لدولة واحدة. أخضعت الآخرين لنفوذها وجعلتهم منفذين مطواعين لسياستها. وإذا رأينا بلداً غير خاضع لسلطة "الآلة الطابعة"، نرى أنها لا تدعم دون مناقشة كل ما تفعله الولايات المتحدة.

((القصة هي كما يلي: تضع روسيا، رغم المقاومة، مخططاً وتبني أنبوبين لنقل الغاز. فإذا دخل السيل الشمالي والجنوبي حيز العمل. فسيكون من المعقد جداً وضع العوائق أمام تصدير الغاز إلى ألمانيا وإيطاليا. ليس صدفة يتجنب مسارهما كل بلدان "الديمقراطية الفتية" حيث استأجرت "الآلة الطابعة" سياسيين ذوي مظهر أنيق ولسان ذلق ليعملوا لديها كرؤساء لتلك البلدان. في المستقبل لن يكون ممكناً إيقاف نقل الغاز. لأنه الأنبوب يمر بقاع البحر. يعني أنه لا بد من إعاقته الآن. عدا عن أن المشروع الشهير "نابوكو" سيدفن في حالة نجاح مشروعنا. وفي النهاية لا بد من حجة لكي ترفض اليونان وبلغاريا وغيرهما مرور أنبوب الغاز في أراضيها

وهذه الدول يجري ترهيبها "بالاضطرابات الشعبية". وأية حجة أفضل من عد وثوقية الصادرات من روسيا؟ وتصنع كييف عدم الوثوقية هذا بإغلاقها صنبور الغاز))[1].

تكون انطباع، أنه تم الاتصال ببساطة، من واشنطن بقادة أوكرانيا أن يغلقوا الصنبور وليخترعوا أية حجة للقيام بذلك. وأخذ الأوكرانيون بالاختراع مما أذهل سفير روسيا لدى أوكرانيا تشيرنوميردين، الذي أقام بنفسه شبكة الغاز في الاتحاد السوفيتي، ولذلك هو يفهم أكثر من يوشنكو وتيموشنكو عما يجري الحديث.

"يعتبر أن كل شيء يبدأ من قيادة أوكرانيا. إما أنهم لا يفهمون ما يفعلون. وإما أنهم يفعلون ذلك عن سابق قصد"[2].

صنع الأوكرانيون من الحبة قبة. أي جعلوا من أمر تافه مشكلة. ولو يدهش ألا يتذكره أحد الآن لتفاهته وعدم جديته. السبب الأخير لوقف تدفق الغاز كان غياب ما يسمى "الغاز التقني". مستحيل بدونه! بعد يومين تصل تيموشنكو إلى موسكو فتوقع اتفاقية الغاز مع روسيا. عن الغاز العظيم والجبار الذي لم يكن بدونه شيء مستحيلاً بالأمس القريب. ولم يكن أحد يذكره. كما أنه لم يصدر إلى أوكرانيا يوماً.

ما الذي حصل؟ لماذا استسلمت كييف فجأة؟ هل خافت على سمعتها؟ هذا مضحك فسمعة الرئيس الأوكرايني ملطخة بمختلف الفضائح وصارت شبيهة بالحساء الأوكراني الأحمر الشهير. يكفي أن نذكر بعض القصص المشبوهة في الفترة الأخيرة. كلها تتعلق بالسلاح.

20 آب 2008 السفينة "فاينا" التي أصبحت شهيرة الآن. غادرت ميناء أوكتبا برسك في محافظة نيكولايفسك في أوكرانيا. مع تعاظم الفضيحة المتعلقة بإبحارها كانت كمية والأهم نوعية حمولتها تكشف عن تفاصيل متصاعدة في الأهمية. تبين في البداية أن على متنها 33 دبابة أو أكثر من دبابات ت - 72. ثم تبين

[1] بالمناسبة كانت المعاناة الأكبر من حصة بلغاريا من الانقطاعات في تصدير الغاز الروسي. وهاكم الحجة وسيتفهم سكان بلغاريا أنه يجب رفض التعاون مع الروس غير المضمونين.

[2] http://www.gazeta.ru/news/lenta/2009/01/19/n_1318803.shtml.

بعد ذلك أن على متنها رشاشات م/ط وقـواذف وقـذائف بكمية ضخمة. انـقضى أسـبوع آخـر وتبين أن على متنها أيضـاً كانـت راجـمات صـواريخ وذخـيرة كافيـة لهـا. مـن خـلال المعلومـات الشحيحة المتسربة لوسائل الإعلام أصبح مفهوماً أن الحديث عن راجمات "غراد" وكأنها السـلاح المتفوق القاتل الذي بواسطته أحال سوكاتشفيلي مدينة سخينفال المزدهـرة إلى أنقـاض ينبعـث منها الدخان.

25 أيلـول 2008 اختطـف القراصـنة الصـوماليون سـفينة "فاينـا". التزمـت السـلطات الأوكرانية الرسمية الصمت. بدلاً من التوضيح الـدقيق. عـن الـذي جـرى وأيـة سـفينة اختطـف القراصنة. سيطر الصمت في البداية. يبدو أن فريقاً من السلطة لم يكن يعلم بذلك. أمـا الفريـق الآخر الي يعلم جمد من الصدمة من توقع الفضيحة القادمة. حتى منتصف النهار فهم الفريـق "العالم بالأمر" عدم جدوى الصمت. وقد توضح له أن الأسوأ قد حصل فعـلاً بفضـل الصـوماليين الشجعان سـوف تعلـن تفاصـيل إبحـار "فانيـا" حـتماً - صرح ذلـك الفريـق بمـا يـلي: "إن وزارة الخارجية الأوكرانية تكتفي الآن بالإخبـار عـن أن القضـية قـد وضـعت تحـت المتابعـة الخاصـة والتحقيقات جارية. وقد كلف الرئيس كل المراجع المختصـة باتخـاذ الإجـراءات اللازمـة لإطـلاق سراح البحارة"[1].

وقد كان ما يوجب القلق. فقد أصبحت الأسئلة تطرح تلقائياً حتى لدى النظرة السريعة على المشـكلة الحاصـلة. الروايـة الرسـمية المتولـدة بعـد صـمت الصـدمة الأولى. كانـت شـبيهة بأسطورة ساذجة: القراصنة الأشرار اختطفوا سـفينة مسـالمة، تبـين بمحـض الصـدفة أنهـا تحمـل دبابات.

تناولت بعد الألسن الحاقدة بحدة هذا الموضوع. حيث زعمـوا أن هـذه الـدبابات هـي التـي كانت تمر بساحة كريشاتكا في العرض العسكري الأخير في عيد الاستقلال. وقد ذهبت فوراً من العـرض إلى التحميل على سفينة "فانيا". طبعاً، ليس الأمر كذلك فعيد الاستقلال في 24 آب. وأبحرت "فانيا" في 2 آب. بالمقابل كل "الافتراءات" بحق سلطات كييف تشبه الحقيقة إلى مدى بعيد. ذات الألسن الحاقـدة

[1] http://news.ntv.ru/141065/.

تقول أن منظومات الدفاع الجوي والذخيرة التي أبحرت إلى إفريقيا. "احترقت" في 27 آب 2008 في حريق في مستودع الذخيرة في قاعدة التخزين 61 لقيادة العمليات الجنوبية في القوات البرية الأوكرانية الواقعة في محطة لوزوفايا. ظهرت رواية الحريق هذه على الفور تقريباً.

((الحريق في مستودعات الذخيرة قرب مدينة لوزوفايا في أوكرانيا قد يكون ناجماً عن الحرق المتعمد لإخفاء النقص في الذخيرة تخبر وكالة newsru.ua استناداً إلى رأي المقدم غينادي لوبودا الذي خدم فترة طويلة في التشكيلات الصاروخية الإستراتيجية "أنا أعتقد أن الكارثة حدثت بسبب إهمال العسكريين، هذا أولاً، وثانياً قد يكون المستود ع قد أحرق عمداً. لإخفاء نقص الذخيرة. عندما تختفي الذخيرة، أفضل طريقة لإبعاد الشبهات عن الذات- أن يفجر شيء ما وينسق النقص في الحادثة" - هذا ما يعتبره المقدم))[1].

في قاعدة مساحتها 494 هكتار خزن حوالي 100 ألف طن من الذخيرة[2]. حريق واحد- ويمكن تحميل قافلة سفن وليس "فانيا" وحدها. هذا واضح ليس لكم وحدكم، أعزائي القراء بل وللبرلمانيين الأوكرانيين. لذلك لم يكد رماد المستودع يبرد حتى شكلت في 2 أيلول لجنة تحقيق مؤقتة من مجلس الرادا الأعلى "مئة ألف طن كانت في المستودع. بقي تسعة. أي أن 91 ألف طن احترقت".- صرح رئيس اللجنة كونوفاليوك. حسب كلام النائب. أحرقوا المستودعات لطمس آثار التهريب. لا يمكن للنار أن تنتقل تلقائياً من المباني الملحقة إلى القاعدة وتقطع مسافة 500م[3].

عندما كانت اللجنة تتفحص الأنقاض التي ينبعث منها الدخان لم تكن على علم بأن الإثارة الأكبر - أي مفاجآت "فانيا" وتحقيقاتها - أمامهم. اهتم النواب بتفاصيل توريدات السلاح من أوكرانيا إلى نظام ساكاتشفيلي الذي وجه في 8 آب ضربة إلى أوسيتيا الجنوبية. وكان هناك ما يذهل:

---

[1] حصل الحريق في 27 آب. وفي 1 أيلول كانت تلك التصريحات الصحفية:
http://www.newsru.com/world/0/sep2008/podjog2.html.

[2] http://www.kommersamt.ua/doc.html?docld=1017305.

[3] http://www.ng.ru/nvo/2008-10-08/100_ukraina.html.

- الجزء الأكبر من الوحدات الأوكرانية تستخدم دبابات ت - 64. أما الدبابات الجديدة ت - 72 فقد بيعت إلى ساكاتشفيلي؛

- باعوا لجورجيا أفضل الأنظمة المدفعية وتركوا القديمة؛

- تقاسموا كالإخوة أنظمة الدفاع الجوي "كولتشوفا"، فأرسلوا أربعة منها إلى جورجيا، وتركوا لأوكرانيا الأم أربعة أيضاً؛

- لكي يبيعوا أنظمة الدفاع الجوي "بوك - م" لساكاتشفيلي تعين عليهم نزعها من المناوبة القتالية.في النتيجة بقي في أوكرانيا ثمانية أنظمة من أصل خمسة عشر نظاماً. أما السبعة الباقية فصارت إلى جورجيا. مع أنه منذ أربع سنوات عرضت باكستان شراء كتيبة من هذا النظام المضاد للطيران بمبلغ 150 مليون دولار، ورفضوا. أما لجورجيا فقد تنازلوا عن كتيبتين كاملتين مقابل 28 مليون دولار فقط[1].

ما يجب أن نتذكره: أوكرانيا سلحت بلداً آخر بما يضر بقدراتها الدفاعية الخاصة. نزعت سلاحها. ولكن سلحت جورجيا. كيف ذلك؟ ولماذا؟ أيعقل أن كييف تحب تبليسي أكثر من نفسها؟

حسب معطيات فاليري كونوفاليوك، دفعة من 40 دبابة من طراز ت - 72، التي سوف تحمل على سفينة "فانيا". بيعت لجورجيا مقابل 9 مليون دولار أي بمبلغ 225 ألف دولار للواحدة. و15 دبابة أخرى بمبلغ 135 ألف دولار فقط للواحدة. بينما سعر السوق للدبابة ت - 72 حوالي 1 مليون دولار. هذه ليست أحدث النماذج ولكنها ليست خردة قديمة. كل الدبابات خضعت للتحديث. وجهزت بأحدث أجهزة التسديد الإلكترونية، وبدروع فعالة ومنظومات توجيه جديدة. وبعد كل ذلك بيعت أرخص من ثمنها بخمس مرات؟ من أين جاء كل هذا الكرم؟ ما الذي أو بالأحرى من الذي يرغم الرئيس الأوكرايني أن يبيع السلاح بثمن بخس، أن ينتزعها من المناوبة القتالية ويخرب القدرات الدفاعية لدولته من أجل أحد ما آخر؟

ما من دولة تنزع سلاحها لتسلح دولة أخرى. طبعاً إذا كانت الدولة مستقلة بالفعل. ولكن إذا كان على رأسها دمية أمريكية، فكل المقالب واردة. يقول ذلك

---

[1] صحيفة إزفيستيا 2008/10/17.

أيضاً النائب الأوكرايني فاليريكونوفاليوك: "فقدت أوكرانيا جزءاً كبيراً من سيادتها عندما نصبت يوشينكو رئيساً لها. رئيس الدولة ينفذ سياسة عملية، تخدم الخطط الإستراتيجية لشركاء من وراء المحيط"[1].

وسنبقي هذا في الذاكرة أيضاً: عندما يتصرف رئيس دولة، مثل لص صغير، ويصنع بأفعاله تصوراً بأنه "ينشل" ببساطة أموال الدولة إلى جيبه. فإنه يقوم بذلك رغماً عنه وليس على رغبته الشخصية.

لقد رأينا ذلك في تاريخنا، عندما اشترى لينين وتروتسكي "القطارات الذهبية". والانتخابات الأكثر ديمقراطية في العالم للرئيس "البرتغالي"، التي حدثت لأول مرة في التاريخ الإنساني من ثلاث جولات(!). تعلمنا بوجودها.

يتصرف رئيس أوكرانيا ضد مصلحة دولته بشكل واضح قد يكون يسعى لمصلحته الشخصية؟ هذا بالطبع ليس جميلاً. ولكنه قد يكون مفهوماً. وماذا؟ إن يوشنكو بتجاربه بالسلاح بأسعار غريبة الانخفاض. يضع نفسه في مرمى نيران النقد القاتلة. ويعطي خصومه أوراقاً رابحة ممتازة. إنه يخاطر بمستقبله السياسي وسمعته، يعني بأكثر الأمور أهمية بالنسبة للسياسي- المكانة. أي أنه لا يتصرف لمصالحه الشخصية!

ما الذي يحصل؟ لا لنفسه، ولا لبلده. لمن إذن؟

أما زلتم مندهشين، من أن أوكرانيا بناء على طلب أمريكا "الحليف" قطعت مرور غازنا؟

آمل أن هذه القصة أصبحت أوضح. والآن نجيب على سؤال كيف تمكنت روسيا من فتح صنبور الغاز؟

من أجل ذلك تعين على فلاديمير بوتين أن يذهب إلى ألمانيا في زيارة ليوم واحد. ألمانيا ذات المصلحة الكبرى في إنشاء أنبوب الغاز الروسي "السيل الشمالي". يجدر القول بأن أنابيب الغاز السوفيتية كانت نتيجة التعاون مع الألمان بالتحديد. منذ أن كنا نبني الاشتراكية الناضجة على سوى اليابسة، وفي الغرب الرأسمالية الناضجة. أراد الألمان بشدة الحديث عن الغاز الطبيعي. والأمريكان لم يكونوا

---

[1] صحيفة إزفيتستيا 2008/10/17.

يريدون ذلك: بالنسبة لهم يشكل تعاون روسيا وألمانيا- كابوس الأنكلوساكسون الأبدي، حتى منذ أزمنة الحربين العالميتين. على الرغم من الإعاقة الأمريكية. أنشأ الاتحاد السوفيتي أنبوب الغاز وفق صيغة "الغاز مقابل الأنابيب". لم تكن صناعتنا قادرة على إنتاج أنابيب من القطر المطلوب. وبالحصول عليها من الألمان نفذ الاتحاد السوفيتي ما كان يفكر به. ولكن الزمن تغير- فأوكرانيا "المستقلة" تغلق الصنبور على هذا الأنبوب.

توقف ضخ الغاز إلى أوروبا في 7 كانون الثاني. عندما استنفدت كل الوسائل الممكنة لاستئناف الضخ في 16 كانون الثاني وصل بوتين إلى ألمانيا كان برنامج الزيارة مكثفاً جداً: محادثات مع المستشارة أنجيلا ميريكل، لقاءات مع ممثلي وسائل الإعلام الألمانية، زيارة المعرض الدولي للصناعات الزراعية "الأسبوع الأخضر". أصبحت كلمات أنجيلا ميريكل نتيجة رئيسة للزيارة. لقد أكدت عدم وجود مشكلة في وثوقية التوريدات من روسيا، وأعربت عن أملها باستئناف نقل الغاز بأسرع ما يمكن وأعلنت عن ضرورة متابعة إنشاء "السيل الشمالي". في الجوهر وقفت ألمانيا تماماً إلى جانب روسيا في لعبة "أنبوب الغاز" الدقيقة، التي أدارتها الولايات المتحدة. ولكن قبل ذلك كان موقف الاتحاد الأوروبي مختلفاً: "يدعم الاتحاد الأوروبي في الحقيقة موقف أوكرانيا في جدل الغاز، واضعاً موسكو وكييف على قدم المساواة"[1]- صرح فلاديمير بوتين. وقد أبرز موقف المستشارة الألمانية موقفاً لا يصدق: وقفت ألمانيا موقفاً مناقضاً تماماً لموقف الاتحاد الأوروبي. الذي تسيطر عليه واشنطن!

نتيجة تصريح ميريكل تم عقد اتفاق مع أوكرانيا. لم يعد بإمكان كييف "وضع المتفجرات" لألمانيا. وصلت تيموشنكو إلى موسكو وفي 19 كانون الثاني وقعت الاتفاقية.

أظهرت ألمانيا استقلالية. وألمانيا خلطت الأوراق. وتجرأت على الوقوف إلى جانب روسيا. يجب أن تعاقب ألمانيا. فأصحاب الاحتياطي الفيدرالي لا يغفرون الاعتداء على أسس هيمنتهم في العالم.

---

[1] http://www.gazeta.ru/news/lenta/2009/01/16/n_1318198.shtml.

في 16 كانون الثاني 2009 في مؤتمر صحفي بوتين وميريكيل قلبا الوضع بخصوص حصار الغاز لصالح روسيا (وألمانيا).

في 17 كانون الثاني 2009 حوالي الساعة 9 و45 دقيقة بالتوقيت المحلي 7 و45 بتوقيت موسكو حصل انفجار قوي قرب السفارة الألمانية في كابول.

هذا تحذير. علامة سوداء. ولكي يفهم بشكل صحيح ألحق بتحذير آخر.

في 29 كانون الثاني 2009 استولى قراصنة صوماليون على ناقلة ألمانية تحمل الغاز السائل!

هل يعقل أن هذه سلسلة مصادفات متطابقة؟

السياسة قاسية. لا لزوم للأوهام. يجري صراع دون ضوابط.

لكي نصور الوضع السياسي المعاصر حتى النهاية، لا يجوز ألا نذكر صراع أمريكا مع الصين. أين يحدث؟ يمكن أن يحدث في أي مكان ولكنه الآن يجري بشكل أساسي في إفريقيا. إلى أين أبحرت "فانيا" المحملة بالدبابات ومختلف الأسلحة؟ حسب الرواية الرسمية التي ظهرت متأخرة بشكل يدعو إلى الشك- إلى كينيا. ولكن في الواقع إلى أين؟ يقال إنها ذاهبة إلى جنوب السودان الذي يخوض صراعاً طويلاً من أجل الانفصال عن السودان. وقد أرسل الصينيون منذ زمن بعيد جذورهم في هذه البلاد ويقومون بنشاط، باستخراج الثروات الباطنية. يوجد هنا النفط والغاز. "تحتل الصين مكان الصدارة لأكثر من عام بفارق كبير بين المصدرين إلى السودان، أما مصر المجاورة فتحتل المركز الخامس فقط (الصين 20.7% - السعودية 9.4%، الإمارات- 5.9%، مصر- 5.5%. اليابان 5.1%، إيطاليا- 4.8%). تمتص الصين أكثر من 71% من الصادرات السودانية (اليابان في المركز الثاني- 12%، السعودية 2.8%)"[1].

يعطي السودان أهمية خاصة قربه من مصر الموالية لأمريكا، حيث توجد قناة السويس. وهذا مفتاح لامتلاك السيطرة على أهم الطرق التجارية. وجوهر النزاع السوداني من وجهة نظر جيوسياسية بسيط جداً: "الصين وإيران يشكلان حليفين مفتاحيين للسودان"[2]. أما الولايات المتحدة فتدعم الانفصاليين من محافظة دارفور،

[1] http://www.rpmonitor.ru/ru/detail_m-php?ID=3003.

[2] http://www.rpmonitor.ru/detail_m.php?ID=3003.

وهي تستطيع بواسطتهم تمزيق البلاد إلى أجزاء والإطاحة بالنظام الموالي للصين في الخرطوم.

الدبابات الأوكراينية ذاهبة. إلى هناك. وما شأن أوكرانيا بالسودان؟ لا شأن لأوكرانيا. ولكن هناك شأن لأمريكا. المشكلة في كون تصدير السلاح إلى السودان ممنوع لذلك تستخدم أمريكا دماها لتنفيذ أقذر الأعمال. وتبقى هي صانعة سلام بثياب بيضاء.

ولكن ليس كل السلاح على متن "فانيا" ذاهب إلى السودان. إلى أين بعد؟ سنفهم الآن:

"ازداد حجم التجارة بين الصين وإفريقيا خلال النصف الأول من العام 2006 بمقدار 39% ووصل تقريباً إلى 20 مليار دولار"[1].

"أعلن متمردو الكونغو شروط وقف إطلاق النار. أعلن الجنرال المتمرد لوران نكوندا قائد تجمع مقاتلي قبائل التوتسي الشروط التي إذا تحققت يوقف مقاتلوه الزحف إلى المناطق الشرقية من جمهورية الكونغو الديمقراطية. وهي ضمان أمن أبناء قبيلته. الذين يزعم أنهم يعانون من إرهاب منافسيهم الهوتو، وإعادة النظر بعقد تصدير خامات النحاس والكوبالت بين الكونغو والصين، وهو عقد بقيمة المليارات، وهكذا إذن. يتبين أن قلق الجنرال على مصير التوتسي ليس سوى حجة مريحة للمطالبة بحصة من الكعكة الاقتصادية الكونغولية". "لقد وقعت الحكومة في كينشاسا اتفاقاً مجحف بحق البلاد مع الصين. أنا أعارض أن تحصل الصين على تراخيص استخراج خامات النحاس والكوبالت كلها. وسوف أكافح من أجل إلغاء هذا الاتفاق، لأنه مربح فقط لنخبة العاصمة"[2].

هؤلاء هم متمردو إفريقيا. مطلبهم الأساسي فسخ الاتفاق مع الصين. كيف لا يساعد الأمريكان هؤلاء الشباب الطيبين بمضادات الطائرات والدبابات والقواذف؟ وخصوصاً إذا كان ذلك بأيدي آخرين.

لقد اكتملت تقريباً الآن صورة العالم المعاصرة. بقي أمر واحد. اشتعلت فجأة حماسة أوباما تجاه إيران. وهذا ملحوظ خصوصاً على خلفية الهيستيريا المضادة

---

1 http://www.rpmonitor.ru/detail-m.php?ID=3003.

2 http://www.rbcdaily.ru/2008/11/01/focus/389045.

لإيران في إدارة جورج بوش. تعرض أمريكا على إيران أن تبيع غازها. عن طريق ضخه في أنبوب "نابوكو". وأن تعيش بسلام دائم. والغاية هنا ليس فقط خنق المشروع الإيراني الروسي- أوبك الغاز، في مرحلته الجنينية. المشكلة في أن الولايات المتحدة لا تستطيع إخضاع إيران عسكرياً. أو أن ذلك قد يضع الاقتصاد العالمي برمته على حافة الكارثة. فما الذي حدث؟

"أنشأت إيران قاعدة عسكرية في مدينة جاسك الإيرانية في الخليج العربي... هذه القاعدة هامة ليس فقط من وجهة نظر حماية أمن هذا البلد. "إنها يمكن أن تكون أيضاً جاهزاً على طريق تحرك وسائط النقل عبر الخليج"- أشار مدير مركز دراسة إيران المعاصرة رجب سافاروف في حديث إعلامي. تمر عبر مضيق هرمز 40% من النفط المستهلك في العالم. لذلك، كما أضاف المحلل، فإغلاقه يهدد اقتصادات كثيرة في العالم بالانكماش"[1].

هذا هو سبب الحب الأمريكي للسلام المنبعث فجأة. سوف تتحدث أمريكا من الآن فصاعداً كثيراً عن نزع السلاح والتعاون السلمي. ولا شيء تقريباً عن البرنامج النووي الإيراني، الذي يشبه السلاح الكيماوي في العراق الذي لم يوجد. والذي زعمت أمريكا أنها دخلت العراق للبحث عنه. ولكن الأمريكيين سيتكلمون هكذا فقط لأنهم عاجزون حتى الآن عن تسديد ضربة لإيران. سوف تتحدث عن "الثنائي الكبير" أمريكا- الصين، ولكنها سوف تتابع وضع العصي في عجلات الصينيين في كل مكان تستطيع سوف تمول انفصاليي التيبت. وتخصص الأموال لانفصال مقاطعة أويغور عن الصين. وفي حالة عدم تمكن اقتصاد الصين الصاعد من إيجاد الموارد، وعندما يبدأ اقتصادها بالاختناق، يستطيع الأصدقاء من واشنطن أن يرشدوهم إلى المخرج من الوضع المعقد. إنه توسع نحو الشرق، نحونا. إلى روسيا. سوف تحاول أمريكا من جديد تنفيذ المقلب الأنكلوساكسوني القديم. عندما حرضت أمريكا وبريطانيا ألمانيا وروسيا ضد بعضهما استطاعتا أن تحلا مسائل جيوسياسة كثيرة. ولكنهم الآن يجعلون الصين تلعب دور ألمانيا سابقاً. آمل أن يكون لدى قيادة الحزب الشيوعي الصيني ما يكفي

---

[1] http://www.rbcdaily.ru/index4.shtml.

من الحكمة والتجربة التاريخية لكي لا تأكل طعم حب الغرب المصطنع للسلام.

وضعنا ليس بسيطاً. والأرجح أنه لم يكن يوماً هيناً. المهم- التقييم الصحيح له. فهم الغايات الحقيقية للاعبين على رقعة الشطرنج العالمية. وأن نكون حذرين جداً.

أنا متفائل رغم كل شيء. لماذا؟ لأن روسيا تتصرف بحذر. "سوف نستمر لتطوير الدرع الصاروخي. لمواجهة قدرات إيران المتصاعدة. إذا برهنت هذه التكنولوجيا على قدرتها العملية وجدارتها بالأموال التي أنفقت عليها"- صرح بذلك في 8 شباط 2009 نائب الرئيس الأمريكي جوزيف بايدن في ميونخن. انتبهوا: "إذا برهنت هذه التكنولوجيا على قدرتها العملية وجدارتها بالنفقات"، أمريكا ستطورها.

أما إذا جرى برهان عكس ذلك؟ إذا برهنت على عدم قدرتها على العمل، عدم الجدارة بالنفقات؟

"في 10 شباط 2009 في الساعة 19 و56 دقيقة بتوقيت موسكو. على ارتفاع 800 كيلومتر حدث اصطدام بين قمرين صناعيين إيريديوم (أمريكي) وكوسموس- 2251 (روسي)[1]. لأول مرة في التاريخ يصطدم قمران صناعيان كبيران- مخصصان للاتصالات- على المدار! يا له من تطابق تراجيدي.

ما هذه الأقمار؟ الأمريكي- ليس قمراً سلمياً للاتصالات أبداً. قام الأمريكان بعمل خبيث أدخل نظام "إيريديوم" الخدمة في 1 تشرين الثاني 1998. وقد وصل إلى الإفلاس في 13 آب 1999. بعد ذلك اشترته وزارة الدفاع الأمريكية. في الظاهر هو قمر اتصالات، ولكنه في الحقيقة قمر تجسس حديث.

قمرنا عسكري أيضاً. وقد أطلق "كوسموس 2251" في عام 1993. وقد تم إخراجه من قوام المجموعة المدارية الروسية. ولم يستخدم حتى الآن". - قال رئيس أركان قوات روسيا الفضائية[2].

لدينا الكثير من الأقمار الصناعية القديمة التي أخرجت من الخدمة. يدور الكثير من الأشياء المنسقة القديمة في المدارات، وكل شيء محتمل.

ربما يحجمون عن إقامة الدرع الصاروخي؟

وهنا كيف لا أكون متفائلاً.

---

[1] http://www.rian.ru/scince/20090212/161892062.html.

[2] -http://www.rian.ru/science/20090212/161892062.html.

خاتمة

إذا لم تفهموا كيف يتشكل عالمنا الحالي. إذا كانت قاعدة فهمكم للحياة كاذبة، فإنكم تقيمون بنيانكم من الرمل. إن الجهل بأسباب الأحداث وبالقوى المحركة وآليات السياسة العالمية تقود إلى عدم فهم الغايات. نسمع كثيراً آراء ساذجة تقول بأنه يمكننا أن نتفق ونعيش جميعاً معاً بصداقة. للأسف، هذا مستحيل. فروما لا يمكن أن تتفق مع قرطاجة. من حيث المبدأ لا تستطيع. بنية العالم هكذا. إذا كنت لا تسيطر على شيء ما فإن أحداً ما آخر سوف يسيطر على ذلك الشيء. الفراغ موجود فقط في الفيزياء. وهو غير موجود في السياسة والاقتصاد. أنت إما مسيطر أو منافس. إذا أقلعت عن الصراع، وأخذت تغني أغاني جميلة عن البيت الإنساني الشامل، وعن السلام في العالم كله- سينتهي هذا بكارثة تحل بك وبانتصار منافسك. للسياسة منطقها: لا يكفي أن تهزم الخصم، بل يجب بعد ذلك إضعافه، تمزيقه، إخضاعه. هل تشكون؟ تذكروا إذن المصير المحزن للاتحاد السوفيتي. فقد كان رئيسه يتحدث بكل تلك الكلمات الجميلة التي لا تعني شيئاً لسياسيي الغرب. لم يكونوا ينوون أن يغيروا شيئاً عندهم، وإنما ببساطة انتظروا عندما يغير غورباتشوف كل شيء عندنا، مما أدى حتماً إلى هلاك البلد. لا يعرف التاريخ أمثلة عن خصمين متساويين، تساويا في المعايير وتعايشا لاحقاً متساويين. فدائماً خضع أحدهما للآخر.

يمكن التفاوض مع الغرب ويجب ذلك، ولكن لا يمكن الاتفاق معه!

لأننا لن نجد أبداً لغة مشتركة معه في القضايا الإستراتيجية علينا أن نبحث عنها في القضايا التكتيكية. طاولة المفاوضات- هي العنصر الحتمي الذي لا بديل عنه في علاقاتنا المتبادلة.

ربما كان علينا أن نخضع؟ كلا، تذكروا التاريخ - ليس فيه ولم يكن أبداً شركاء متساوون في الحقوق متساوون في القوة. نحن أكبر من أن نكون تابعاً لهم، فلو خضعنا كما كنا منذ فترة- لما أزيلت مسألة تجزئتنا عن جدول أعمالهم.

الجهل بالأهداف التي يسعى لتحقيقها منظمو الكوارث الكبرى العالمية. سواء كانت حرباً عالمية أو أزمة اقتصادية يؤدي إلى تخطيط خاطئ للأفعال. التي يجب القيام بها لتجاوز المشاكل. وها هو رئيس الاتحاد السوفيتي. ستالين، لكي يوقف النازية، اضطر أن "يتصادق" مع الديمقراطية الغربية التي أنشأت هتلر أمام عينيه ليقضي على روسيا. أما اليوم إذا اتبعنا منطق الغرب التعيس، علينا أن نتوقف عن ممارسة الحماقات وأن نفعل كل شيء كما يفعلون عندهم بشكل صحيح، في واشنطن، التوقف عن مجابهة الغرب ولكن هذا يعني بكل بساطة تسليم روسيا أيضاً لأولئك المصرفيين أصحاب النظام الاحتياطي الفيدرالي، والتي انتزعت منهم بصعوبة شديدة. إلا أن من يجهل "خصوصيات تكوين العالم" لا يفهم ذلك حتى روسيا لم تنتزع منهم بشكل نهائي وكامل وما زالت بعيدة عن ذلك.

الحالة متقلقلة، والميزان يتأرجح. عندئذٍ يبدؤون الأزمة لكي تميل كفة الميزان إلى جانبهم... فهم يحتاجوننا، يحتاجوننا جداً.

في المعركة القادمة مع الصين هم بحاجة للجنود، للكثير من الجنود. وهم لا يحبون القتال بأنفسهم، وبعد ثلاثين سنة لن يكون في مقدورهم القتال.

إنهم بحاجة لثرواتنا الباطنية، لأنفسهم ولكي لا يحصل عليها الصينيون.

إنهم بحاجة لأراضينا المترامية الأطراف. لكي يتمكنوا من دفن النفايات وسواها من القذارات. والحقيقة لا تتسع أوروبا الصغيرة للمدافن والمقابر الكيماوية؟

إنهم بحاجة لمائنا العذب النظيف. ويحتاجون عموماً لكل ما لدينا. لكل ما يوجد عندنا. وبشكل أعم لكل ما هو موجود في كوكبنا.

شيء واحد لا يحتاجونه- هو نحن أنفسنا وأطفالنا. وآباؤنا الشيوخ... ومقابر آبائنا وأجدادنا. تاريخنا العريق. كل هذا زائد عن الحاجة، لا لزوم له.

لا يجوز التنحي جانباً في هـذا الصراع. فـأنتم إمـا إلى جانـب بلادكـم. أو إلى جانـب غـير بلادكم. لا ثالث للخيارين. لقد غسلوا أدمغة مـواطنيهم وشـوهوا عقـولهم وهـم الآن يحـاولون التسلل إلى رؤوسنا.

ماذا نفعل؟ يجب أن نـدرك. أن نفـتح أعيننـا ونجهـد عقولنـا - فأفعـالهم ليسـت بتلـك البراعة في الخداع، ببساطة لا يجب أن نخاف من الحقيقة المخيفة. إن عالمنا المحـيط لـيس كـما كنا نتصوره.

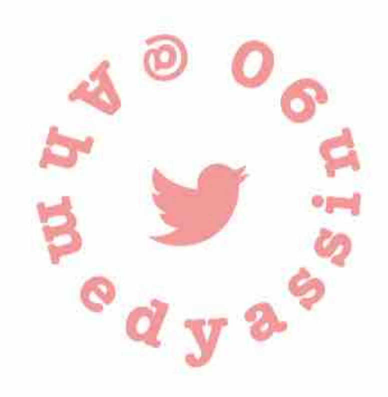
أرجو التوفيق لنا جميعاً.

سيكون المؤلف ممتناً لملاحظاتكم

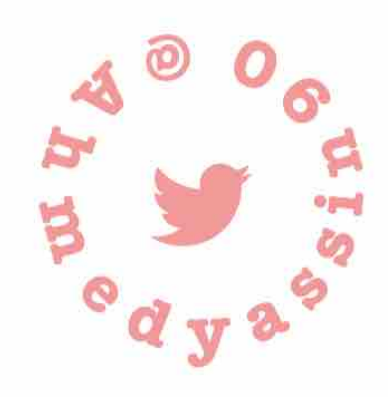
www.nstarikov.ru

nstarikov@bk.ru

mail@nstarikov.ru


@Ahmedyassin90

المحتويات


@Ahmedyassin90